

"الرموز والأمثال اللاهوتية في الأنوار المجردة الملكوتية"
تأليف الحكم الإلهي والعالم الإشراقي
شمس الدين الشهرزوري (ت 675هـ) القرن السابع الهجري
دراسة وتحقيق

أ / هالة محجوب خضر
كلية الآداب – جامعة كفر الشيخ

تاريخ النشر: 2020/02/11	تاريخ القبول: 2020/01/10	تاريخ الإرسال: 2020/01/09
ملخص: عنوان هذا المخطوط هو "الرموز والأمثال اللاهوتية في الأنوار المجردة الملكوتية" للحكم الإلهي والعالم الإشراقي شمس الدين الشهرزوري، المتوفى 675هـ. وترجع أهمية هذه الدراسة للمكانة العظيمة التي حظي بها الشهرزوري أول أعلام المدرسة الإشراقية بعد أستاذه السهروردي المقتول، متناولاً فيه حقيقة النفس الإنسانية؛ حيث كان يعتبرها جوهرًا روحانيًا نورانيًا ليس بجسم كما أنه أبرز العلاقة التي توجد بين النفس والجسم واتحادهما معًا. كما تناول موضوع حدوث النفس وخلودها، وقد توصل إلى أن الإنسان تام الاستعداد لشروق الأنوار القدسية عليه، متناولاً ذلك بإسهاب في ستة وعشرين فصلاً موضحاً خلالها آراؤه التي تأثر بها بأستاذه، وخصوصاً من مؤلفه "حكمة الإشراق"، وأيضاً تأثره بالحكيم الفيلسوف ابن سينا وانفاقه واختلافه في بعض آراء أفلاطون وأرسطو. The title of this manuscript is "Theological Symbols and Proverbs in the Kingdom's Illuminated Lights" of Divine Rule and the Illuminati Scholar, Shams al-Din Shahrazuri, died 675 AH. The importance of this study is due to the great position that Shahrazuri had received, the first flags of the school of Islam after his murdered Suhrawardi professor, in which he realized the reality of the human soul, as he considered it a spiritual light that is not a body, as it highlighted the relationship that exists between the soul and the body and their		

union with each other. He also dealt with the issue of the occurrence of the soul and its immortality, and he concluded that a person is fully prepared for the shining lights of the divine lights on him, reaching this extensively in twenty-six chapters clarifying their views during which he was influenced by his teacher, especially from his author "The wisdom of brightness", and also influenced by the wise philosopher Ibn Sina and his agreement and difference In some opinions of Plato and Aristotle.

الكلمات المفتاحية: الشهرزوري - حقيقة النفس عند الشهرزوري - النفس الناطقة - علاقة الاتحاد بين النفس والجسم - تأثر الشهرزوري بأراء أفلاطون وأرسطو في النفس.

إن هذا المخطوط الذي قامت الباحثة بتحقيقه عنوانه "الرموز والأمثال اللاهوتية في الأنوار المجردة الملكوتية" للحكم الإلهي والعالم الإشرافي شمس الدين الشهرزوري، المتوفى 675هـ. وترجع أهمية هذه الدراسة للمكانة العظيمة والهامة التي حظي بها الشهرزوري أول أعلام المدرسة الإشرافية بعد أستاذه السهروردي. الذي استطاع أن يتناول النفس الإنسانية من منظور إشرافي جديد لم يتطرق إليه أحد من السابقين عليه. والحقيقة أنني كنت أتمنى أن أحصل على النسخة الأم الأصلية للمخطوط، أي تلك التي كتبها أو أملاها الشهرزوري بنفسه في عصره، ولكنني حصلت على نسختين: -

الأولى: بعنوان "الرموز والأمثال اللاهوتية في الأنوار المجردة الملكوتية للحكم الإلهي والعالم الإشرافي شمس الدين الشهرزوري"، وتاريخ النسخ (729هـ).

أما النسخة الثانية: وهي بعنوان "الرموز والأمثال للحكم الإلهي والعالم الإشرافي شمس الدين الشهرزوري"، وتاريخ النسخ الخاص بها هو (1011هـ).

ورغم أنها الأحدث إلا أن النسخة الأولى القديمة أفضل منها في ترتيب الصفحات، وأما النسخة الأحدث فوجدت في بعض الصفحات العديد من الكلمات المطموسة بالحبر الأسود بصورة يصعب التعرف عليها، كما أنها تحتوي على آثار رطوبة فكانت النسخة القديمة مُمَيَّنَةً لي كثيراً. ولقد تم نسخ المخطوط للمرة الأولى عام 729هـ وتم نسخه للمرة الثانية عام 1011هـ، أي أن بين هذين التاريخين 282 عام هجري وأما الباحثة فقد قامت بتحقيق هذا المخطوط عام 1441هـ أي بعد حوالي 430 عام هجري من نسخه آخر مرة.

أما الموضوعات التي تناولها الشهرزوري في هذا المخطوط فهي: -

1. حقيقة النفس الإنسانية؛ حيث كان يعتبرها جوهرًا روحانيًا نورانيًا ليس بجسم ولا جسماني، ثم ثلثها محاولته لإثبات وجود النفس وإثبات روحانيته.
2. تناوله وحدة النفس الإنسانية والأخلاق غير المحمودة الموجودة داخلها، والمتمثلة في: الجهل، والشهوة، والغضب. وكذلك الأخلاق المحمودة: كالعلم، والحلم، والسخاء، والشجاعة.
3. إبرازه للعلاقة التي توجد بين النفس والجسم والاتحاد بينهما؛ فهو يرى أن الإنسان قد يتعب نفسه في طلب الحكمة وتحصيلها وفهم مقاصد الحكماء المشائين، ولا يجد نفسه قانعة وراضية، بل يجدها متشوقة دائماً إلى أمور أعظم من ذلك قدرًا بكثير.

4. تناوله لموضوع حدوث النفس، وتأثره بآراء سابقيه واختلافه عنهم، مثل: رفضه رأي أفلاطون في النفس، وموافقته لرأي كل من الحكيم "ابن سينا"، وأستاذه "السهروردي". أما خلود النفس فكان يؤكد على أنها باقية ولا تقنى بفناء البدن كما ذكر سابقيه.

5. يرى الشهرزوري أن الإنسان لطيف المزاج شديد الذكاء تام الاستعداد لشروق الأنوار القدسية عليه، وفي ذات الوقت يكون عظيم الميل إلى معاينة الجواهر العقلية والذوات العلوية، عندئذ يكون الإنسان من أولي العزم والصبر على الخلوات والرياضيات.

وسوف نتناول الباحثة في هذه الدراسة العناصر التالية: -

أولاً: المبحث الأول: مدخل.

سوف أتناول في هذا المبحث العناصر التالية: -

1. التعريف بالمخطوط وصاحبه.
2. أهمية المخطوط.
3. وصف المخطوط.
4. منهج التحقيق.
5. كشف الرموز والإرشادات المستخدمة في التحقيق.

التعريف بالمخطوط وصاحبه: -

يشتمل هذا المخطوط على فصول عديدة، ولم يذكر كاتبه لأي من هذه الفصول عنوان. فكان يكتفي فقط بذكر كلمة (فصل)، ثم يبدأ في تناوله للموضوع الذي يريد عرضه بصورة مباشرة، مثل: قوله: "فصل" إن النفس لا يمكن ولا تيسر لأحد معرفتها، والذات البدنية مُستعلية على ذاته الفردانية والشهوات الجسمانية". وبهذا التصور الذي وضعه الشهرزوري يكون هذا المخطوط قد اشتمل على عدد (26) فصل.

أما صاحب المخطوط: فهو محمد بن محمود شمس الدين الشهرزوري ⁽¹⁾ Shamsoddin Shahrazuri (القرن الثالث عشر الميلادي - السابع الهجري). وشهرزوري هو لقب نسبة إلى قرية شهرزور ⁽²⁾. "وهي بلد تقع بين أربل وهمدان. بناها زور بن الضحاك، فقبل شهر زور، ومعناه مدينة زور.

(1) خير الدين بن محمود الزركلي، الأعلام، ج 7 (مطبعة دار العلم للملايين، بيروت، د.ت) ص 87

(2) عباس القمي، القنى والألقاب، ج 2 (المطبعة الحيدرية، النجف، 1965) ص 343

وأهل هذه المدينة كلهم أكراد⁽¹⁾. كما أنه اسم يقترب ببيت الشهرزوري قضاة الشام والموصل والجزيرة. وقد "تقَدَّ القضاء واشتغل بالفقه والحديث، فضلاً عن اهتمامه بالأدب والشعر والتراث والتأليف"⁽²⁾. وهو يُعَدُّ من كبار فلاسفة الإسلام، واشتهر بالفلسفة الإشراقية، وكان فيلسوفاً مشائياً، وقد استطاع أن يجمع بين الاتجاه الإشراقي والاتجاه الفلسفي المشائي، إلا أنه أفلاطوني النزعة. فقد كان متأثراً به وخصوصاً عند تناوله للنفس الإنسانية، "فأكد على أن العلم يتم عن طريق تذكُّر الحقائق الأولية المنقوشة في الوجود المطلق"⁽³⁾.

ومن المثير للدهشة أن علامة مثل الشهرزوري لم أجد أي تفاصيل عن حياته؛ فهي مجهولة بمجملها، ولم تذكر أي من كتب التراجم أي معلومات عن تاريخ مولده أو تفاصيل حياته وتعليمه، أو أسماء تلاميذه، أو تنقلاته، أو أساتذته الذين تتلمذ على أيديهم. ومن المؤكد أنه كان له أساتذة استفاد منهم وعرف من خلالهم المعرفة الفلسفية والمنطقية، فقال عن نفسه: "وكنيت في الأول مشغوقاً بطريقة البحث والجدال، شديد الميل إلى القيل والقال، وبقيت مدة متحيراً في أمري لعدم حصول اليقين والمطالب المهمة الإلهية بمجرد مطالعة تلك الزخارف والعبارات التي لا تكاد تسلم من التنبهات والشكوك"⁽⁴⁾.

فقد أصيب الشهرزوري بعد تعمُّقه في الفلسفة والجدل بالحيرة والشك، بدل من أن يصل إلى اليقين التام. فبدأ يبحث عن منهج جديد غير طريق الفلسفة، "فما لبث أن سمع مصطلحات جديدة مثل: الإشراق والنور، الحكماء التألهين، السلوك القدسي، الكشف الذوقي"⁽⁵⁾. فبدأ بالافتداء بأستاذه، فقال: "قبظهور هذا الرجل الفاضل كثرت الرغبة فيه وفي كتبه وكلامه، وتوفرت الدواعي على استعارة طرقه ومذاهبه ولاسيما كتاب (حكمة الإشراق)"⁽⁶⁾. وهو يقصد هنا "أبو الفتوح يحيى ابن حبش بن أميرك"، الملقب "بشهاب الدين

(1) ياقوت الحموي شهاب الدين أبي عبد الله، معجم البلدان، ج3، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت) ص425

(2) شمس الدين الشهرزوري، تاريخ الحكماء قبل ظهور الإسلام وبعده نزهة الأرواح وروضة الأفراح، تحقيق د/ عبد الكريم أبو شويرب (دار بيبلون، باريس، 2007) ص18

(3) زوني إيلي ألفا، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، قدّمه الرئيس شارل الحلو، مراجعة جورج نخل (دار الكتب العلمية، بيروت، 1992) ص38 فقره 727

(4) الشهرزوري، الرموز والأمثال اللاهوتية، مخطوط، ص4

(5) زين الدين مصطفى الخطيب، الشهرزوري وآرائه في النفس الإنسانية من خلال مخطوط الرموز والأمثال اللاهوتية (دار الحضارة للطباعة والنشر، طنطا، 1995) ص11

(6) الشهرزوري، مقدمة الشهرزوري لشرح حكمة الإشراق، ص5

السهروردي"، المقتول المتوفى عام (587هـ).

ومذهبه يدور على محور واحد هو "النور"، وهو على مراتب هي في حقيقتها مراتب الوجود العلوية والسفلية وأنوارها على الإطلاق. هذا النور هو نور الأنوار الذي يحيط بجميع الأنوار الأخرى؛ لشدة ظهوره وكمال إشراقه والذي يجب وجوده بذاته ويجب به وجود غيره⁽¹⁾، وإليه تنسب "الطريقة السهروردية" ومذاهبها في الفيض أو "الظهور المستمر"، أو يطلق عليها أيضًا اسم "مدرسة الإشراق الفلسفية". وتدل مصنفاته الكثيرة على حكمته الإشراقية الرائعة التي جمع فيها بين "الحكمة الفلسفية والحكمة الذوقية".

أما بخصوص تاريخ ميلاد الشهرزوري، فمن المؤكد لنا "أنه كان حيًا في عام 687هـ، وهي السنة التي أُلّف فيها كتابه "حكمة الإشراق". أما تاريخ وفاته فمعلوم، حيث توفي في "شوال سنة خمس وسبعين وستمائة"⁽²⁾. وقد ذكر في كتاب "طبقات الشافعية الكبرى"، بأنه كان مدرسًا بمدرسة "القيمية" بدمشق وأبو مدرستها الصلاح، وقد أنشأ هذه المدرسة "الأمير ناصر الدين الحسين بن عبد العزيز بن أبي الفوارس الكردي سنة (650هـ / 1252م)"⁽³⁾.

وكان ذلك في أواخر العهد الأيوبي، ويذكر الذهبي عن الشهرزوري "بأنه شيخٌ فقيهٌ إمامٌ عارفٌ بالمذهب موصوف بجودة النقل حسن الديانة قوي النفس ذو هيبة ووقار، فبنى الأمير ناصر الدين القيمي مدرسته بالحريميين بدمشق وفوض تدريسها إليه وإلى أولي الأهلية من ذريته، وقد ناب في القضاء عن ابن خلكان وتكلم بدار العدل بحضرة الملك الظاهر عندما احتاط على الغوطة فقال: الماء والكأ والمرعى لله لا يملك، وكل من بيده ملكٌ فهو له، فبهت السلطان لكلامه وانفصل الأمر على هذا المعنى"⁽⁴⁾.

وقد ذكر البعض أن الشهرزوري هو تلميذ السهروردي المقتول وأنه كان معاصرًا له، فقال د/ عبد الرحمن بدوي في مؤلفه "شخصيات قلقة في الإسلام": "إن لدينا وثيقة ترجع أهميتها الكبيرة إلى صدورها عن تلميذ مباشر هو الشهرزوري المتوفى 648هـ - 1250م، وهو شارح مؤلفات أستاذه ومؤلف هو نفسه

(1) محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الأول (أ- س) (الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، دار الجيل، 1990) ص 1026

(2) جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي، طبقات الشافعية، تحقيق كمال يوسف، ج 2 (دار الكتب العلمية، بيروت، 1964) ص 32 فقرة 717

(3) أبي عبد الله محمد بن علي ابن شداد، الأعلام الخطيرة، تحقيق دومينيك سورديل (المعهد الفرنسي، دمشق، 1953) ص 245

(4) جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي، مصدر سابق، فقرة رقم 1203

لكتاب "بروج المذهب" (الشجرة الإلهية)⁽¹⁾. وقد اتفق معه دكتور محمد علي أبو ريان في ذلك فقال: "إن الشهرزوري كان من أكثر تلاميذ الشهروردي اتصالاً به وبكتبه"⁽²⁾.

ونتساءل: كيف ذلك وقد قُتل الشهروردي عام (587هـ) وتوفي الشهرزوري عام (675هـ)، فكيف يكون حياً بعد مائة عام؟ على اعتبار أنه كان في عام وفاة الشهروردي شاباً يافعاً في العشرين من عمره يتلقّى العلم. لكن من المنطقي أن نقول: إن الشهرزوري قد تأثر بالشهروردي من خلال مؤلفاته وآرائه الفلسفية الإشراقية، وسار على نهجه من خلال أعماله فقط، حتى أنه وُضع في المنزلة الثانية بعد الشهروردي بين حكماء الإشراق، ولكنه لم يكن معاصراً له في حياته.

تلاميذ الشهرزوري: -

يذكر هنري كوربان في مؤلفه "تاريخ الفلسفة الإسلامية": أن هناك اثنين من تلاميذ الشهرزوري ممن جاءوا في عقبة ويعتبرهم من تلاميذه، هما: "ابن كمونة المتوفى عام (683هـ - 1284م) في شرحه لكتاب (التلويحات)، وثانيهما: قطب الدين الشيرازي في شرحه لكتاب (حكمة الإشراق)، وقد انتهى من تأليفه عام 694هـ - 1295م"⁽³⁾.

مصنفاته: -

قدّم الشهرزوري للإنسانية مجموعة قيمة من المؤلفات التي إن دلّت على شيء فإنما تدل على أنه كان حكيماً ذو منزلة عظيمة في الفكر الفلسفي الإسلامي. فهو قامة وقيمة علمية وفلسفية ودينية لا يستطيع أحد إنكارها. ولقد استفاد من علمه من خلال أعماله التي تركها كل من جاء بعده من الفلاسفة والحكماء واستندوا إليها في مؤلفاتهم، وهي التي استطعنا الحصول عليها وأصبحت بين أيدينا وفي متناولها، وهي مرتبة ترتيباً زمنياً حسب أسبقية التصنيف، وهي:-

1. "نزّهة الأرواح وروضة الأفراح": وفي هذا الكتاب تناول الشهرزوري معرفة النفس وطبيعتها ومصيرها، وذكر رأيه في الفلسفة اليونانية ونقد أقوالهم وصولهم وآراءهم في أمور

(1) عبد الرحمن بدوي، شخصيات قلقة في الإسلام (دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، القاهرة، 1964) ص 96
(2) محمد علي أبو ريان، أصول الفلسفة الإشراقية عند شهاب الدين الشهروردي (مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، القاهرة، 1959) ص 44
(3) هنري كوربان، تاريخ الفلسفة الإسلامية منذ الينابيع حتى وفاة ابن رشد 1198، ترجمة نصير مروءة، حسين قببسي، راجعه وقدم له الإمام موسى الصدر، الأمير عمارة تامر (دار عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 1998) ص 325

الدنيا والآخرة، وبذلك يعرف منزلة الشهرزوري في الفلاسفة وحكماء الإسلام⁽¹⁾. وقد استعان في عرض هذا المؤلف باستخدام "تسلسل تاريخي مبتدئاً من آدم للفلاسفة والأنبياء، ولهذا الترتيب أهمية من أجل تحديد إسناد المذهب الإشرافي في نظر هذا التلميذ الذي تأثر بأستاذة السهروردي"⁽²⁾. كما أنه احتوى على مائة وإحدى عشر ترجمة لفلاسفة يونانيين وهنود ورومان وإسلاميين، وقد فرغ منه الشهرزوري عام 672هـ.

2. "الرموز والأمثال اللاهوتية"⁽³⁾: وفي كتابه هذا كما ذكر دكتور/ زين الدين مصطفى الخطيب "بأنه كان يرى أن النفس جوهر روحاني من العالم المجردة، وكان يعتمد في تلك الدراسة إلى حد كبير على الأقناع النفسي أكثر مما يعتمد على البرهان، ومن ثم جاءت أدلته إقناعية غير برهانية"⁽⁴⁾. ويقول الشهرزوري بنفسه عن هذا الكتاب: إنه وضعه "بحيث يكون ذخراً للطلابين المحققين وعدة كاملة للحكماء المتألهين، وسيعلم المستبصر الخائض فيه عظم شأنه وصحة برهانه وكونه وافيًا بلباب القواعد الإلهية والمعارف الربانية التي خلت عنها مبسوطات كتب الحكماء ومختصرات ومؤلفات العلماء وكل من أن يصرح بها أحد غيرنا لشرفها ولعظمتها"⁽⁵⁾.

3. "الشجرة الإلهية في علوم الحقائق الربانية" في طوبقوبو: إن هذا المؤلف هو موسوعة فلسفية

لاهوتية يحتوي على خمس رسائل: -

(1) الرسالة الأولى: في المقدمة وتقسيم العلوم.

(2) الرسالة الثانية: في المنطق تصوراً وتصديقاً.

(3) الرسالة الثالثة: في علم الأخلاق.

(4) الرسالة الرابعة: في العلم الطبيعي.

(5) الرسالة الخامسة: في العلم الإلهي.

وقد فرغ منه الشهرزوري عام 680 هـ "وهي تنتسج لكل ما جاء عند سابقه من تعاليم ومبادئ، ويكثر

(1) شمس الدين محمد بن محمود الشهرزوري، نزهة الأرواح وروضة الأفراح في تاريخ الحكماء والفلاسفة، صححه السيد خورشيد أحمد (مطابع وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية تحت إدارة شرف الدين أحمد، ط1، الهند، 1976) ص ي

(2) عبد الرحمن بدوي، مرجع سابق، ص 97

(3) إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، المجلد الثاني (طبع بعناية وكالة المعارف الجلية في مطبعتها البهية، إستانبول، 1955) ص 136

(4) زين الدين مصطفى الخطيب، مرجع سابق، ص ب

(5) الشهرزوري، الرموز والأمثال، ص 5

فيها ذكر إخوان الصفا، ابن سينا، السهروردي⁽¹⁾.

4. "شرح حكمة الإشراق": وفي هذا الكتاب قام الشهرزوري "بشرح كتاب أستاذه السهروردي (حكمة

الإشراق)، ووضع أصول المذهب الإشراقي واستطاع أن يحل رموزه وإشاراته، كما دافع عن

المذهب الإشراقي ورد فيه على خصومه⁽²⁾.

5. "تواريخ الحكماء".

6. "التنقيحات" (شرح التلويحات).

نلاحظ مما سبق سرده عن مؤلفات الشهرزوري، أن بين كتاب "نزهة الأرواح وروضة الأفراح"،

والذي فرغ منه عام 672هـ، وكتاب "الشجرة الإلهية في علوم الحقائق الربانية"، والذي فرغ منه عام 680

هـ ثماني سنوات. وهذا يوضح أن الشهرزوري كانت له بالتأكيد مؤلفات قبل عام 672هـ ولولا الظروف

السياسية السيئة التي أحاطت بظروف عصره بسبب المغول "الذين قضوا على المدارس والمكتبات ومراكز

العلم أيضاً، حتى أن المشتغلين بالعلوم قُتلوا أو فروا وتشتتوا"⁽³⁾. كل هذا كان السبب الرئيسي والذي نتج

عنه أن قضى على العديد من أعمال الشهرزوري.

أستاذة الشهرزوري :-

من المؤسف أنه لم يتم العثور في أي من المؤلفات أو التراجم التي تشير إلى أسماء لأستاذة تعلم

الشهرزوري على أيديهم الفلسفة والجدل، ولا حتى في كتبه لم يشر هو أيضاً إلى ذلك، إلا أنه قدّم وصفاً

صادقاً نبيلاً للعلاقة الفكرية والفلسفية التي كانت تربطه بأستاذه السهروردي، نذكرها كما أوردها الباحث/

محمد محمود محمد أحمد، في رسالته للماجستير بقول الشهرزوري: "إلا أنى لكثرة الأسفار والجولان في

البلدان.... ظهر هذا الرجل الفاضل وكثرت الرغبة فيه وفي كتبه... وتوفرت الدواعي على استعارة طرقه

ومذاهبه ولاسيما كتاب حكمة الإشراق. وهذا النص يؤكد تبعته لأستاذه جزئياً وكلياً وبهذه السيطرة النفسية

والعلمية لم يعد عنده مكان لأستاذ آخر"⁽⁴⁾. كما عرّفه الشهرزوري ذاته بقوله: "إنه الحكيم الرباني المعظم

(1) هنري كوريان، مصدر سابق، ص326

(2) زين الدين مصطفى الخطيب، مرجع سابق، ص20

(3) قاسم غنى، تاريخ التصوف في الإسلام، ترجمه عن الفارسية صادق نشأت (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970) ص697

(4) محمد محمود محمد أحمد، منهج الشهرزوري وآراؤه الكلامية، (رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة المنصورة،

مصر، 2017) ص26

والفيلسوف المكرم الشيخ الرباني والمتأله الروحاني الفاضل الكامل شهاب الملة والحق والدين⁽¹⁾.
يتبين لنا مما ورد في المصادر والتي كانت بين أيدينا، أن الشهرزوري نهل ثقافته وعلمه من مؤلفات
السهروردي المقتول فقط، سواء في الفلسفة الإشراقية أو الإسلامية، وأنه لم يكن معاصراً له أو تتلمذ على
يديه بصورة مباشرة كما اعتقد البعض، ولكنه عرفه من خلال مؤلفاته. وإن هذا لم يقلل من شأنه في
شيء، بل بالعكس ربما إيمانه الشديد بأستاذه وبفكره جعل له هذه المكانة الكبيرة في حكمة الإشراق.
ووصفه هنري كوربان، "بأنه أول الإشراقيين من حيث التاريخ الذي يتصف بإخلاصه لشخص شيخ
الإشراق"⁽²⁾.

أهمية المخطوط: -

ترجع أهمية هذا المخطوط في أنه أحد المصنفات المهمة التي ترجع إلى العلامة الشهرزوري،
والذي اهتم اهتماماً خاصاً بمذهب الإشراق أو الفلسفة الإشراقية التي نهل منها من فلسفة أستاذه
السهروردي المقتول، ولقيمة هذا المخطوط وما يُمتلئ من أهمية كبرى في الفلسفة، كان حري بي أن أقوم
بتحقيق هذا العمل الفلسفي العظيم ليستفاد منه فيما بعد لمن يتناول هذا الاتجاه الفلسفي في دراسته.

الحياة الثقافية في القرن السابع الهجري في دمشق: -

لقد كانت الحياة الثقافية مزدهرة في القرن السابع الهجري في دمشق ازدهاراً كبيراً، حيث كانت
تُسيطر في هذه الفترة على الجميع روح العلم والتعلم. وكان يوجد في مدينة دمشق "ما ينوف عن مائة
وخمسين مدرسة، هذا إلى جانب دور القرآن والحديث والمساجد والربط والخوانق. وهذه المدارس كان قد
درس فيها ما يزيد عن ألف من كبار العلماء والمشاهير الذين تركوا بعد وفاتهم أثراً يذكر مذهباً يعرف أو
فضلاً ينوه به"⁽³⁾. وقد وُلد ذلك لدى العامة من الناس "رغبة جامحة في التعليم والتعلم، وأصبح يوجد
نشاطاً ليس له مثيل في ميدان الكتابة والتأليف"⁽⁴⁾. ومن اختيروا للتدريس في هذه المدارس، كانوا من
أفضل الأساتذة وأكثرهم علماً. أما السمة التي يجب أن يتصف بها المعلم الذي يقوم بالتدريس فهي القبول
من المتلقين للعلم.

ولكن لوحظ أن العلوم الفلسفية تسير في طريق، والعلوم الدينية تسير في طريق آخر؛ لأن من كان

(1) المرجع السابق، ص 27

(2) هنري كوربان، المصدر السابق، ص 325

(3) حسن شميماني، مدارس دمشق في العصر الأيوبي (دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983) ص 20

(4) علي سالم النباهين، نظام التربية الإسلامية في عصر دولة المماليك (دار الفكر العربي، مصر، 1981) ص 121

يشتغل بالثانية كان "يرقى المناصب العليا: كالقضاء والإمامة والتدريس والوعظ ورواية الحديث، ويكون مقرَّباً من الأمراء، والحكام يغدقون عليه الرواتب والهدايا ويقربونه من مجالسهم ويستفتونه في أمورهم الدينية، وينصرونه على مخالفته"⁽¹⁾. ورغم ذلك فقد صدرت أمهات الكتب في كافة مجالات العلم المختلفة مثل: العلوم الشرعية، والفلسفة، والطب، والأدب، والتاريخ. كما برزت أسماء لعلماء عظماء وشخصيات استطاعت أن تؤثر في عصرها بما قدَّمته من مؤلفات قيمة ومنهم: صاحب هذا المخطوط العلامة محمد بن محمود شمس الدين الشهرزوري.

النفس عند الشهرزوري: -

عندما تناول الشهرزوري النفس في مصنفه "الرموز والأمثال اللاهوتية"، لم يَقم بتعريفها بتعريف معين كما سلك السابقون عليه من الفلاسفة، وإنما جعل دراسته لها تقوم على الاقتناع النفسي، فلم يدخل النفس ضمن العلم الطبيعي؛ لأنه كما يراها هي في موقع وسطي بين العالم العلوي (ويقصد به الله)، والعالم السفلي (ويقصد به النفس). وهي جوهر روحاني له دراسة عالية خاصة قائمة على الإشراق الروحاني والصفاء النوراني، فيقول: "فالعلة الدائمة من الباري سبحانه والعقول الثانية والمعلول الجسم والمتوسط بينهما فهو النفس، وإذا أدركنا المتوسط أدركنا الطرفين يكون العقل مضيئاً بالنور العالي الأول الذي لا يشوبه ظلمة ولا مكدّر أصلاً، ومعرفته من أول فعله من غير متوسط ستوكل ضياء والجسم وأقواه لا علم ولا معرفة لها لكثرة القشور والأدناس، فبقيت النفس متوسطة بين العالم العلوي الأول والعالم السفلي الثاني الذي هو الجسم، وهي تكتسب من جهة ضياء العقل"⁽²⁾.

وكان يؤكد على أن من يحاول من الفلاسفة تقديم تعريف للنفس معين ثابت يتفق عليه الجميع فهذا هراء؛ لأن تعريفها إذا كان بالحد أو بالرسم لا يؤدي إلى معرفة حقيقتها، فقال: "إن الحد مركب من جنس الشيء وفصله، وذلك يحوج إلى التركيب، والنفس جوهر بسيط لا جزء له في الخارج ولا جزء له في العقل؛ لأن الصورة الذهنية يجب أن تطابق الخارجية، ولولا المطابقة ما كانت صادقة، وإذا لم يكن لها جزء في الخارج ولا في الذهن فلا جنسي ولا فصل، فلا حد على سياق ما ذكره؛ لأن الحد قول دال على حقيقة الشيء"⁽³⁾.

(1) محمد محمود محمد أحمد، رسالة ماجستير، ص48، نقلاً عن كتاب ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مجلد 12، تحقيق

عمر عبد السلام تدمري (دار الكتاب العربي، بيروت، 1997) ص132

(2) الشهرزوري، الرموز والأمثال، ص3

(3) المصدر نفسه، ص11

وعندما تناول حقيقة شرف النفس الناطقة قال: "إنها من الجواهر الربانية اللاهوتية، وهي سر الله وخليفته في أرضه، غير جسم ولا جسماني ولا داخل في البدن ولا خارج، وبالجملة مسلوب عنه الجسم وصفاته"⁽¹⁾. إن النفس كما تصورها الشهرزوري ما هي إلا جوهر نوراني رباني روحاني ليس بجسم ولا جسماني.

إن النفس الناطقة عند الشهرزوري شيء واحد وحقيقته واحدة، لذلك قال عنها: "إن النفس الناطقة غير منقسمة بوجه من الوجوه لا عقلاً ولا وهمًا ولا حسًا، وبرهان ذلك أنه يحل فيها المعقولات العامة المطلقة غير المنقسمة: كالأجناس والأنواع والفصول وسائر الكليات العقلية، وكل ما حل فيه غير المنقسم، فمحل المعقولات الذي هو النفس الناطقة غير منقسمة"⁽²⁾.

وقد استشهد بأحاديث رسول الله في معرفة النفس الإنسانية مثل: "من عرف نفسه فقد عرف ربه". وأيضًا "أعرفكم بنفسه أعرّفكم بربه". وذكر من فوائد النفس التي تحدث للإنسان: "أن من حصل له معرفة النفس فقد حصل له السعادة الأزلية والمملكة الأبدية وسهل عليه الارتقاء النورانية الدائمة الأزلية الروحانية ذوات الترتيب العجيب والنظام المتقن الغريب"⁽³⁾.

ونتساءل: هل السبيل إلى معرفة النفس بالأمر الهين أو اليسير؟ في الحقيقة يرى الشهرزوري أن هناك أمورًا يجب على الإنسان الابتعاد عنها حتى يعرف حقيقة نفسه فقال: "إن النفس لا يمكن ولا تيسر لأحد معرفتها، واللذات البدنية مستعلية على ذاته الفردانية، والشهوات الجسمانية مستولية على نفسه الوجدانية، بل ينبغي لمن اشتاق إلى معرفتها أن يروض نفسه رياضة الحكماء ويجتهد اجتهد العلماء العظماء حتى يستولي جوهر النفس الناطقة على جميع القوى الظلمانية ولا تطلق من الشهوات شيئًا إلا عند الضرورة العظيمة، ويجتهد على قطع الخواطر الرديئة التي تجر إلى هذا العالم السفلي ويضعف حواسه. وإذا داوم مدة على هذا وحصل لنفسه ملك الفكر في المعقولات المجردة فيثمر له هذه الأشياء خفة البدن وصفاء الذهن واستتارة القوى وصحة الفكر وإصابة الحس. فتقوى عند ذلك على النهوض إلى ذلك العالم الأعلى الروحاني وذوات الجناح لما لطف مزاجها وخف طعمها قويت على الارتقاء في الجو والطيران في الهواء"⁽⁴⁾.

(1) المصدر نفسه، ص9

(2) المصدر نفسه، ص25

(3) المصدر نفسه، ص9

(4) المصدر نفسه، ص10

أما علاقة الاتحاد في الوجود بين النفس والجسم، فهو يؤكد على أن النفس لا يمكن أن تتواجد إلا لجسم قد اكتمل وأصبح صالحاً لكي يستقبلها فقال: "فتطلب النفس قضايا وأحكاماً غير مجهولة عندها أي ظاهرة منورة. إما أولية نباتها أو قد صارت كذلك تكسب فترتيب ومخصوصاً مناسباً للمطلوب، فيستعد بذلك العمل الإشراف نور العقل على تلك القضية المجهولة وعلى النفس فتصير معلومة ظاهرة، فيكون نور العقل مثال الشمس والألوان الكافية في الظلمة المجهولة"⁽¹⁾. هذا يوضح أن علاقة الاتحاد بين النفس والجسم تعتمد على مداومة الملاحظة والإشراف عليه، وأن الإنسان ما هو إلا جسم ونفس معاً.

أما حدوث النفس فقد كان الشهرزوري متردداً في القول بحدوث النفس أم بقدمها، إلى أن انتهى إلى أن أثبت قدم النفس، وبرهن على قوله هذا بالدليل القاطع، ويستدل على ذلك بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خلق الله الأرواح قبل الأجساد بألفي عام". بمعنى أن الأرواح خلقت قبل أن تخلق البشرية وعاشت في السماء وتحابت وتباغضت وبعدها زُرعت في أجساد البشر لتبدأ الحياة على الأرض بنمطها الاعتيادي.

وصف المخطوط: -

رجعنا في تحقيق هذا النص إلى نسختين للمخطوط: -

النسخة الأولى: والتي حصلت عليها من مكتبة الإسكندرية. ومصدرها معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، وهو بعنوان "الرموز والأمثال للحكم الإلهي والعالم الإشرافي شمس الدين الشهرزوري". والرقم الخاص بهذا المخطوط (33) م عربي، ورقم الميكروفيلم (336). نوع الخط معتاد عربي، نسخه جيدة، وإن كان به بعض الصفحات الكلمات بها ممحاة. كما أنها مطموسة بالسواد في كثير من المواضع، والتي ترتب عليها استحالة قراءتها. أما عدد الأوراق فهي 93 لوحة، والمقاس 15 x 20,5 سم. وهذه النسخة تبدأ ب: "العظمة شعارك اللهم والكبرياء دنارك والعوالم العقلية أنوارك". وآخره: "ونسأل الله عز وجل أن يؤيدنا بالملكوت وينصرنا من أفق الجبروت. والحمد لله رب العالمين". كتبت على يمين الصفحة.

أما الصفحة المواجهة لها وهي الصفحة التي على جهة اليسار، فكتب فيها: "الحمد لله وجب والصلاة والسلام على من لا نبي بعده". أما بعد هذا كتاب الرموز والأمثال وأحوال خطه، كان البدله للفاضل الأرضي مرتضى سيد عارف ابن حيدر باشا البغدادي في خمسة عشر ذي الحجة الحراج عام 1319 هجرية على يد عبد الله أفضل الصلاة وأدكى التحية عليه السلام، يوم الخميس ليلة الجمعة وموقع

(1) المصدر نفسه، ص39

باسم محمد الخليج، وهي موجودة أصلاً في الخزانة العامة بالرباط بقسم التصوير photo lamrabet- Abd Elkader برقم 2506 في المكتبة العامة بعثة المغرب الأولى وتاريخ النسخ 1011هـ.

ثم يلي ذلك غلاف المخطوط ومكتوب فيه اسم المخطوط "الرموز والأمثال للحكم الإلهي والعالم الإشرافي للشيخ شمس الدين الشهرزوري قدس الله ثراه وجعل الجنة مثقله ومثواه بجاه محمد وآلة أمين". وبجوار هذا العنوان ختم ببيضاوي الشكل يصعب قراءته، كما يوجد ختم المكتبة الكتانية لمالكها محمد عبد الحي الكتاني*. بفا وكتب أيضاً "الحمد لله والملك لله" بخط يد مختلف عن الخط المكتوب به اسم المخطوط. وأسفل الصفحة مكتوب اسم دار النشر باللغة الفرنسية Arifbey, Filla de Haidar Pacha Taneer- Morac وفي أعلى الصفحة على اليسار يوجد رقمين 140 - 15 وبجوارهما ختم بشكل مربع يصعب قراءته.

ثم تبدأ الصفحة الأولى للمخطوط، وقد وجدت أن كل ورقة في المخطوط ذات صفحتين متقابلتين وكل صفحة تشتمل على خمسة عشر سطراً، وعدد كلمات السطر الواحد تسع كلمات ومسطرتها مختلفة. وهذه النسخة مكررة فيها الصفحات (7، 10، 69، 75). كما لا يوجد ترقيم للصفحات، وهذه النسخة هي أول نسخة أحصل عليها وقمت بالعمل عليها قبل أن يتثنى لي الحصول على النسخة الأخرى التي ساعدتني كثيراً في تحقيق هذا المخطوط والتي اعتمدت عليها وجعلتها هي المصدر الذي أعود إليه عند عدم التعرف على الكثير من الكلمات في هذه النسخة فرغم أنها الأقدم إلا أنها أفضل بكثير من الأحدث. أما النسخة الثانية فقد حصلت عليها من على موقع www.Scrib.com، واسم المخطوط فيها هو "الرموز والأمثال اللاهوتية في الأنوار المجردة الملكوتية للحكم الإلهي والعالم الإشرافي شمس الدين الشهرزوري". وتاريخ النسخ الخاص بها هو (729هـ)، وعدد الأوراق (317)، وعدد الأسطر في كل صفحه (11) سطر، وكل سطر يحتوي على ثمان كلمات. أما ترقيم الصفحات فهو مكتوب بالقلم الرصاص أعلى الصفحة على اليسار في بعض الصفحات. وقد كتب في صفحة الغلاف ناحية اليمين في

* محمد عبد الحي الكتاني: هو العلامة المحدث الحافظ السيد الشريف محمد عبد الحي بن عبد الكبير بن محمد الحسني الإدريسي. ولد عام 1883م - وتوفي عام 1962م في باريس. تتلمذ على يد كبار علماء ومشايخ عصره مثل: العلامة محمد بن قاسم القادري، محمد بن المدني قنون، وعبد السلام الهواري. ولد بمدينة فاس ونشأ في أسرة علمية في كنف أبيه وأخيه وخاله، وهم من كبار علماء بلادهم، وسافر إلى مصر ودرس بالأزهر والشام وأوروبا وورما، ودرس بالسوربون. للمزيد انظر: محمد صالح فوزي الخطيب، الحافظ محمد عبد الحي الكتاني وجهوده في الحديث وعلومه (رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة أم درمان، جمهورية السودان، 2009). ص 17، 18 وأيضاً انظر: محمد زياد، ترجمة العلامة عبد الحي الكتاني، 2010/11/11 www.Alukah.net تاريخ الدخول على الموقع: 10 يونيو 2019

الأعلى رقم (300) ت وكلمة دست قروش كما يوجد ختم مربع.

ثمَّ يلي ذلك هذه العبارات "اللهم العنهما فقد خربا بيت النبوة والحقا سماءه بأرضه وعلوه بسفله وشاخصه بخافضه وسنقاتل أهله وإبادة أنصاره وإشاعة ونقضا شرعه وهما سقفه وضربا بابه وغضبا سلطانه وقهرا سدانه وأخليا محضره وشوها منظره وكابدا حقه وظلما أميره واضطهدا دينه وقتلا طفله وجرحا شهوده وانتبها ماله وقطع الاختلاف إليه". كما يوجد رقم 38م، ق 188، 19573. وكتبت كلمة (حكمة إشراق)، وكذلك يوجد ثلاثة أختام مكتوب عليها كتب بخانة عبد الوهاب فريد التتكايني*، وبعض العبارات باللغة الفارسية.

وهذه النسخة أفضل بكثير من النسخة الموجودة في مكتبة الإسكندرية، كما أنني لاحظت أن ترتيب الصفحات في هذا المخطوط مختلف كثيرا عن النسخة الأولى، وقد كُتِبَ ترتيب بعض الصفحات بالقلم الرصاص في أعلى الصفحة اليسار، وبعد المقارنة بينهما وجدتُ أن هذه النسخة هي الأصح في ترتيبها، ولهذا اعتمدتُ عليها في التسلسل الذي يجب أن يسير العمل بمقتضاه.

وهنا ملاحظة أخرى يُجدر الإشارة إليها، وهي أن هناك بعض الصفحات في مخطوط الإنترنت لا توجد فيها كلمة (فصل)، بالرغم من أن مكانها موجود ولكنه فارغ ولم يكتب فيه شيئا. وكلمة فصل هي الكلمة التي ينتقل فيها الشهرزوري للحديث من موضوع لموضوع آخر، وقد يكون مختلفا تماما عن سابقه، وهي تعد نقطة فاصلة بين الانتهاء من قضية فلسفية وبداية أخرى لقضية جديدة. كما أنه لم يضع عنوانا لأي فصل يشرع في الكتابة فيه، ولكنه يبدأ دائما بهذه الجملة بعد كلمه فصل: "اعلم أيديك الله وإيانا". وقد تمَّ البحث عن نسخ أخرى في المكتبة البريطانية ومكتبة الإسكوريال بإسبانيا، ومكتبة الظاهرية بالقاهرة، ومجموعة جمعة الماجد، ولم أجد فيهم أي نسخ.

* عبد الوهاب فريد التتكايني: هو أحد المصلحين الذي ظهوروا في القرن الهجري الرابع عشر بين الشيعة الإمامية في إيران. ودعوا إلى النقد الذاتي وإعادة النظر في العقائد والممارسات الشيعية الموروثة، ونبذ البدع الطارئة والخرافات الدخيلة، وإصلاح مذهب العترة النبوية بإزالة ما تراكم فوق وجهه الناصع منذ العصور القديمة من طبقات كثيفة من غبار العقائد الغالية والأعمال الشركية والبدعية، والأحاديث الخرافية والآثار والكتب الموضوعية، والعودة إلى منابع الإسلام الأصيلة: القرآن الكريم وما وافقه من الصحيح المقطوع به من السنة المحمدية الشريفة وما أيدهما من صحيح هدي أئمة العترة الطاهرة وسيرتهم، ومن مؤلفاته كتاب: "الإسلام والرجعة"، الذي ردَّ فيه عقيدة الرجعة. للمزيد انظر: عبد الوهاب فريد التتكايني 2010/3/25 www.islamhouse.com تاريخ الدخول على الموقع: 11 يونيو 2019

المراد من هذا التحقيق هو إخراج المخطوط على الصورة التي يرتضيها المؤلف رحمه الله مع تحقيقه تحقيقاً علمياً مبنياً على أصول التحقيق وقواعده، ثم طبعه ونشره حتى تتم الاستفادة. أما منهجيتي في هذا التحقيق؛ فقد اتبعت في تحقيق مخطوط (الرموز والأمثال اللاهوتية في الأنوار المجردة الملكوتية للحكم الإلهي والعالم الإشرافي شمس الدين الشهرزوري) الخطوات التالية: -

1. لما كانت النسخة الثانية والتي حصلت عليها من على الإنترنت هي النسخة الأصل والأقدم والأصح في الترتيب، فقد حاولت قدر جهدي أن أقدم النص الذي خُيِّل إلي أنه يفصح عن رأي المؤلف وينقل عباراته نقلاً كاملاً فاجتهدت ما وسعني ذلك وعانيت أن أثبت في الهامش الرواية المعدول عنها وأذكر الصواب، فقمْتُ بالمقابلة بين النسختين مع إثبات في كل واحدة منها من الزيادة والنقصان في الهامش مع التنبيه على الصواب والصحيح من الخطأ التي وردت في إحدى النسختين.

2. لما كان من الضروري أن أخرج النص بروح عصرنا وعلى طريقته فقد عمدتُ إلى ما استحدثت من علامات أو نقاط، فقد تكون نقطة تغير المعنى المقصود، وقد شرحت بعض الألفاظ وعلقت على بعض الأمور وهو ما سيجده القارئ في هامش البحث.

3. تخريج الأحاديث الواردة في المخطوط وكذلك الآيات القرآنية الواردة في المخطوط.

4. قدمتُ ترجمة للرجال والحكماء والأعلام الواردة في المتن مع مراعاة الإيجاز في ذلك.

5. شرحتُ الغامض من الألفاظ والمعاني الواردة في متن الكتاب والتي قد تكون من الكلمات التي لا نستخدمها في عصرنا الحديث.

6. حرصتُ على وضع الفواصل بين الجمل.

7. الاستعانة والرجوع إلى المصادر التي رجع إليها المؤلف، لاستدراك ما عسى أن يقع فيه الناسخ من أخطاء وهي قليلة.

8. وجدت أن الناسخ كان يضع لكلمة (غير) حرفي الألف واللام فكانت تكتب (الغير) فكان من اللازم على أن احذف هذين الحرفين وأضيفهم على الكلمة التي تليها حتى تكون الجملة لغوياً صحيحاً لهذا لزم التنويه عنه.

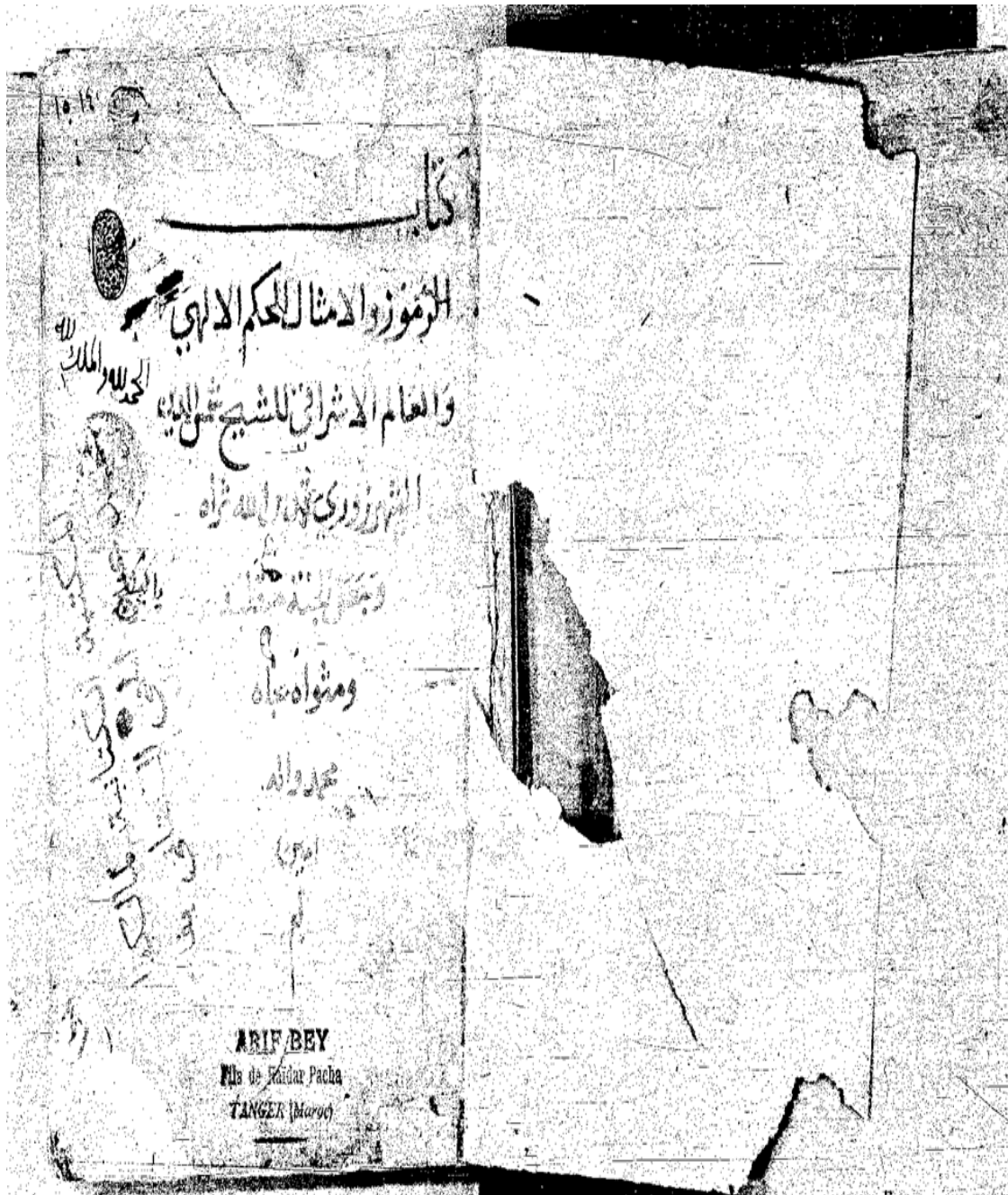
ويبقى أن نقول: إن الغاية من تحقيق هذا المخطوط هي تقديم نص صحيح ما أمكن بعيداً عن التغيير والتعديل. والله نسأل أن يكتب لنا التوفيق فيما نحاول والله من وراء القصد له الحمد والشكر.

كشّاف الرموز والإرشادات المستخدمة في التحقيق: -

- يشير العدد المكتوب بخط صغير ولأعلى إلى بداية صفحة جديدة بالمخطوط.
- () يشير هذا الرمز إلى الكلمات أو الحروف الموضوعة بين هذين القوسين المعقوفين زناها أو صحنها ليتضح المعنى.
- { } يشير هذا الرمز إلى الكلمات المطموسة .
- [] يشير هذا الرمز إلى الفراغ في الأصل.
- (.....) يشير هذا الرمز إلى كلمة غير مقروءة.
- < > يشير هذا الرمز إلى تفسير أسماء الأعلام التي ذكرت في هذا المخطوط.
- (س) يشير هذا الرمز لنسخة مكتبة الإسكندرية.
- (ن) يشير هذا الرمز لنسخة الإنترنت.

ثانياً: المبحث الثاني: متن المخطوط

وهو متن المخطوط بعد تحقيقه مشفوع بهوامش مرجعية، وأخرى تعريفية، وثالثة تعليلية.





نسخة مكتبة الإسكندرية

يرمز لها بحرف (س)





نسخة الإنترنت

يرمز لها بحرف (ن)

المخطوط

(الحمد لله وجب، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. وبعد ونبدأ كتاب الرموز والأمثال في أهوال مع خطه كان البدلة للفاضل الأرضي مرتضى سيد عارف ابن حيدر باشا البغدادي بتاريخ خمسة عشر ذو الحجة عام 1319 هجرية عليه عبد الله أفضل الصلاة وأزكى التحية عليه السلام محمد الخليل يوم الخميس ليلة الجمعة⁽¹⁾).

كتاب الرموز والأمثال للحكم الإلهي والعالم الإشراقي للشيخ شمس الدين الشهرزوري، قدس الله ثراه وجعل الجنة مقبله ومثواه بجاه محمد وآله، أمين⁽²⁾).

(اللهم العنهما؛ فقد أخربا بيت النبوة، وألحقا سماءه بأرضه، وعلوه بسفله، وشاخصه بخافضه. وسنقاتل أهله وإبادة أنصاره وإشاعة ونقضا شرعه وهدما سقفه وضربا بابه، وغضبا سلطانه، وقهرا سدّانه، وأخليا محضره، وشوّها منظره، وكابدا حقه، وظلما أميره، واضطهدا دينه، وقتلا طفله، وجرحا شهوده، وانتبها ماله، وقطع الاختلاف إليه⁽⁴⁾).

بسم الله الرحمن الرحيم

العظمة شعارك اللهم والكبرياء دثارك والعوالم العقلية¹ أنوارك والأجرام الفلكية دائرة⁽⁵⁾ بسر من أسرارك⁽⁶⁾، والنفوس الحيوانية والنباتية⁽⁷⁾ أثر من آثارك تسربت باللاهوتية الأزلية وتفردت بالديمومة⁽⁸⁾ الأبدية وتعززت بالربوبية السرمدية، تباركت في ملكك وملكوتك وتقدس في عظمتك وجبروتك، أنت ينبوع الحياة⁽⁹⁾

(1) هذا الكلام كُتب في الصفحة قبل الغلاف من المخطوط (س).

(2) هذا الكلام كُتب في صفحة الغلاف من المخطوط (س).

(3) هذا الكلام ذكر في المخطوط (س) فقط.

(4) هذا الكلام كُتب في صفحة العنوان، في المخطوط (ن).

(5) في المخطوط (ن) حائرة، وفي المخطوط (س) دائرة وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(6) في المخطوط (ن) السر من أسرارك، وفي المخطوط (س) بسر من أسرارك، وهي الأصح.

(7) في المخطوط (س) النباتية والحيوانية، وفي المخطوط (ن) الحيوانية والنباتية، وهي الأصح.

(8) في الأصل (بالديمومية) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(9) في الأصل (الحيوة) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

وقاسم الأرزاق والأقوات ومدير الأزمنة والأوقات⁽¹⁾، نور الأنوار، ومدير⁽²⁾ كل دوار وقاصم كل متكبر جبار، سبحانه مبدع العقل الأول⁽³⁾ الأكمل الأفضل، ثم الذي يليه من الذوات⁽⁴⁾ المجردة (النورانية الدائمة)⁽⁵⁾ الأزلية الروحانية ذات الترتيب العجيب والنظام المتقن الغريب، أدمت الحركات الفلكية بدوام الإشراقات العلوية، وحفظت الأركان السفلية بالأنوار الشارقة القدسية، فلك الطول الأعظم يا رب العجائب⁽⁶⁾ الملكوتية ومفيض النفوس الناطقة البشرية، نسألك أن توجهنا بالأنوار المشرقات وتؤيدنا⁽⁷⁾ بالعوالم العلويات وتطهرنا من رجس الطبائع⁽⁸⁾ السفليات، يا إله الأرض والسموات ومن إليه ترد الباقيات الصالحات أحمذك واجب الوجود، وأشكرك على ما أنعمت من الجود، وأصلي على الفضلاء⁽⁹⁾ الكاملين العاملين المخصصين خصوصاً، على سيد المرسلين وإمام المتقين وقائد⁽¹⁰⁾ العز المحجلين، محمد المصطفى خاتم النبيين وأفضل الأولين والآخرين، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين. أما بعد هذه نفائس⁽¹¹⁾ الكلمات في أحوال النفس لمن له الفهم والبصيرة، أعلم أن معرفة النفس واجب، بل فرض على كل فرد من أفراد الإنسان؛ فإنه موقوف عليها معرفة الرب جل جلاله، ومعرفة الرب على العبد فرض عين، وعين فرض كما أشار بها خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام، فيما قال من عرف نفسه فقد عرف ربه. فجمعت في هذه الرسالة⁽¹²⁾ سير بعض ما يشير بأحوال النفس تبصرة للطالبين، وبعد فإن الحكمة أم الفضائل⁽¹³⁾

(1) في المخطوط (س) الأوقات، وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(2) في المخطوط (ن) مدير، وفي المخطوط (س) مدير، وهي الأصح.

(3) في المخطوط (ن) الأول العنصر، وفي المخطوط (س) العقل الأول، وهي الأصح.

(4) في المخطوط (س) الذات، وفي المخطوط (ن) الذوات، وهي الأصح.

(5) كانت الدائمة والصواب ما أثبتته.

(6) في الأصل (العجائب) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(7) في الأصل (تأيدنا) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(8) في الأصل (الطبايع) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(9) في الأصل (الفضلا) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(10) في الأصل (قائد) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(11) في الأصل (نفائس) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(12) كلمة (الرسالة) كتبت في هامش الصفحة على اليسار.

(13) في الأصل (الفضائل) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

ومعرفتها بعده عن جميع الرذائل⁽¹⁾ وموصلة (الجباول)⁽²⁾ الأوائل⁽³⁾ ويلزمها صفات كريمة شريفة حدها أنها تتور النفس بالنور الإلهي الأزلي حتى يطلع نورها وضياؤها⁽⁴⁾ فيشرق على جميع المجبولات العلمية، فيجتلي حينئذ علماً أو حكمة ونوراً، فلا يخفى عليها شيء من المجهولات، وثانيها أنها تزهد في هذا العالم وتحفره عند النفس، وثالثها أنها ترغب في الرحلة عن هذا العالم إلى ذلك العالم وأيضاً تعرفنا والأعيان له ما علة هذا كله. هذا العالم وما معلوله، وما متوسطه بين العلة والمعلول. فالعلة الدائمة⁽⁵⁾ من الباري سبحانه والعقول الثانية والمعلول الجسم والمتوسط بينهما فهو النفس، وإذا أدركنا المتوسط أدركنا الطرفين يكون العقل مضيئاً بالنور العالي الأول الذي لا يشوبه ظلمة ولا مكدراً أصلاً، ومعرفته من أول فعله من غير متوسط ستوكل ضياء⁽⁶⁾ والجسم وأقواه لا علم ولا معرفة لها لكثرة القشور والأدناس، فبقيت النفس متوسطة بين العالم العلوي⁽⁷⁾ الأول والعالم السفلي الثاني الذي هو الجسم، وهي تكتسب² من جهة ضياء⁽⁸⁾ العقل؛ لأنها في أفقه وتصل إليها من ظلمة الطبيعة لأنها في أفقها، ولكن لما كانت مجردة قل قشرها وكثر ضياؤها⁽⁹⁾ تيسر لها بقوة نورها إدراك الطرفين وأهلها خواص الله وأصفياءه⁽¹⁰⁾ وأحباب الرب وأوليائه⁽¹¹⁾ وهم خلاصة الوجود وصفة⁽¹²⁾ الموجود، وهي تنقسم إلى⁽¹³⁾ قسمين: ذوقية، وبحثية. وأعني بالذوقية معاينة الموجودات⁽¹⁴⁾ ومعرفتها بالكشف لا بفكر⁽¹⁵⁾

(1) في الأصل (الرذائل) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(2) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(3) في الأصل (الأوائل) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(4) في الأصل (وضياؤها) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(5) في الأصل (الدائمة) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(6) في الأصل (ضياء) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(7) هذا الجزء ذكر في المخطوط (س) فقط.

(8) في المخطوط (س) ضياء، وفي المخطوط (ن) ضياء، وهي الأصح.

(9) في الأصل (ضياؤها) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(10) في الأصل (أصفياءه) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(11) في الأصل (أوليائه) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(12) في المخطوط (ن) صفوة، وفي المخطوط (س) صفة، وهي الأصح.

(13) في المخطوط (س) على، وفي المخطوط (ن) إلى، وهي الأصح.

(14) في المخطوط (ن) المجردات، وفي المخطوط (س) الموجودات، وهي الأصح.

(15) في المخطوط (س) ينكر، وفي المخطوط (ن) بفكر، وهي الأصح.

ولا دليل ولا نظر⁽¹⁾ وترتيب جد واسم⁽²⁾ بل بنور يقذفه الله في القلب، وهذا النور لا يحصل بالمنى⁽³⁾ ولا ينال بالهويناء، بل يحصل بالرياضيات المتتالية والمجاهدات المتوالية والانسلاخ من الدنيا بالكلية والحكمة البحثية متعينة⁽⁴⁾ في هذا القسم، وهذا النور ينبغي أن يطلب معرفة نفسه وربه ولا يعرفها حق المعرفة إلا به كما جاء في الخبر أنه صلى الله عليه وسلم، سئل عن الشرح في قوله تعالى: "أفمن شرح الله³ صدره للإسلام (فهو على نور من ربه)"⁽⁵⁾، فقال هو نور يقذفه الله في القلب وعلامته التجافي من دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والعلوم المقدسة الحقيقية الأزلية لا تحصل إلا بهذا النور ومنه تظهر المكاشفات الربانية والمشاهدات الروحانية، ومنه علوم الأنبياء المرسلين والحكماء المتألهين⁽⁷⁾، وأعني بالحكمة البحثية ما يعرف بنصب دليل وإقامة برهان وذكر حد ورسم، ويحتاج الإنسان في هذا القسم إلى استعمال الآلات البدنية ودرس الكتب الحكمية، وصاحب الذوق منزّه عن هذا إذ علومه تحصل بالمكاشفة والمشاهدة، وهنالك نحمد جميع القوى الحسية والخيالية ويستولي سلطان قهر⁽⁸⁾ الربوبية (وعظيم []⁽⁹⁾ والحكمة البحثية، طريقة الحكماء المتأخرين)⁽¹⁰⁾. فأصحاب الذوق معانين مشاهدون وأصحاب البحث مستدلون متحIRON⁽¹¹⁾ وبينهما بون عظيم، والحكمة البحثية طريقة⁴ الحكماء المتأخرين المعروفين بالمشائين وهم شيعة <أرسطو⁽¹²⁾ طاليس> وأتباعه الذين عجزوا عن الارتقاء إلى مشاهدة الأنوار الإلهية ومالوا إلى اللذات الحسية وقنعوا من الحكمة بإرداء الأقسام ومن السعادة الأبدية بأضغاث الأحلام، ولكون هذا القسم يتعلق بتصرف الوهم والخيال ويبني على مباشرة القيل والقال يدخله شبه ومغالطات (وأسئلة)⁽¹³⁾

(1) في المخطوط (ن) ونظم دليل، وفي المخطوط (س) لا دليل ولا نظر، وهي الأصح.

(2) في المخطوط (س) جد واسم، وفي المخطوط (ن) جد ورسم، وهي الأصح.

(3) في مخطوط (س) بالمناء، وفي مخطوط (ن) بالمنى، وهي الأصح.

(4) في مخطوط (ن) معينة، وفي مخطوط (س) متعينة، وهي الأصح.

(5) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(6) سورة الزمر، آية 22

(7) في الأصل (المتألهين) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(8) في المخطوط (ن) القهر، وفي المخطوط (س) قهر، وهي الأصح.

(9) كلمة ممحاة.

(10) ذكر في المخطوط (س) فقط.

(11) في المخطوط (ن) محIRON، وفي المخطوط (س) متحIRON، وهي الأصح.

(12) في الأصل (أرسطا) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(13) في الأصل (أسولة) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

وإبرادات يعسر بها على أكثر الخلق حصول اليقين في الآراء الإلهية من هذا القسم، وأما الحكمة الذوقية فلا يقع فيها ذلك لأنها مبنية على المشاهدات الحقيقية والمكاشفات العلوية، وكنت في الأول مشغولاً بطريقة البحث والجدال، شديد الميل إلى (مباشرة)⁽¹⁾ القيل والقال، وبقيت مدة متحيراً في أمري لعدم حصول اليقين والمطالب المهمة الإلهية بمجرد مطالعة تلك الزخارف والعبارات التي لا تكاد تسلم⁵ من التنبيهات والشكوك من غير سلوك قدسي وكشف ذوقي حتى أعان الله تعالى حصول اليقين التام في جميع المطالب العظيمة المهمة الإلهية بأمور أخرى وراء ما ذكرت، "ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور"⁽²⁾. ونحن نريد أن نذكر شيئاً من العوالم المجردة الروحانية لا سيما في معرفة النفس الناطقة الإنسانية بحسب ما وصل إليه سيدنا وقويت عليه نيتنا بحيث يكون ذخراً للطالبين المحققين وعدة كاملة للحكماء المتألهين، وسيعلم المستبصر الخائض⁽³⁾ فيه عظم شأنه وصحة برهانه وكونه وافيّاً بلباب القواعد الإلهية والمعارف الربانية التي خلت عنها مبسوطات كتب الحكماء ومختصرات ومؤلفات العلماء وكل من أن يصرح بها أحد غيرنا لشرفها ولعظمتها (نفعاً نفعنا الله به وسائر إخواننا عنه وكرمه وقبل الشروع في المقصود نقدم مقدمة نذكر فيها شيئاً من الكلام الإلهي والحديث النبوي وتنبيهات (الحكماء)⁽⁴⁾ وإشارات الفضلاء يستدل به على أن معرفة النفس أم الحكمة وأساس (الفضائل)⁽⁵⁾ ومعرفتها مفتاح باب الملكوت وفتق باب عظيم من أبواب الجبروت⁽⁶⁾، وإن لم يتقن معرفتها حق الإتيان لا تيسر له معرفة الله عز وجل ولا معرفة (ملائكته)⁽⁷⁾ ولا حقيقة النور بل لا يعرف سياقات ما فهمت ما أقوله من الرموز والإشارات في هذه السلسلة معرفة صحتها والدعوى، وأعلم أيديك الله أن من حصل له معرفة النفس فقد حصل له السعادة الأزلية والمملكة الأبدية وسهل عليه (الارتقاء)⁽⁸⁾ النورانية (الدائمة)⁽⁹⁾ الأزلية الروحانية ذوات

(1) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(2) سورة النور، آية 40

(3) في المخطوط (س) الحابر، وفي المخطوط (ن) الخايز، وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(4) في الأصل (الحكما) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(5) في الأصل (الفضائل) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(6) في الأصل (الجبروت) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(7) في الأصل (ملائكته) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(8) في الأصل (الارتقا) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(9) في الأصل (الدائمة) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

الترتيب العجيب والنظام المتقن الغريب أدمت الحركات الفلكية بدوام الإشراقات العلوية وحفظت الأركان السفلية بالأنوار المفارقة القدسية فلك الطول الأعظم يا رب (العجائب)⁽¹⁾ الملكوتية ومفيض النفوس الناطقة البشرية، نسألك أن تواجهنا بالأنوار والمشرقات وتوتدنا العوالم العلويات وتطهرنا عن رجس (الطبايع)⁽²⁾ (الغاليات)⁽³⁾ يا إله الأرض والسموات ومن إليه مرد الباقيات الصالحات أحمدك واجب الوجود، وأشكرك على ما أنعمت من الجود، وأصلي على الفضلاء الكاملين العالمين الطالبين المخلصين خصوصاً على سيد المرسلين وإمام المتقين وقائد العز المحجلين محمد المصطفى خاتم النبيين وأفضل الأولين والآخرين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد فإن الحكمة أم (الفضائل)⁽⁴⁾ ومعرفتها مبعدة عن (الردائل)⁽⁵⁾ وموصلة إلى أول الأوائل⁽⁶⁾ ويلزمها صفات شريفة كريمة، أحدهما إنها كانت تتور النفس بالنور الإلهي الأزلي حتى يطلع نورها وضياؤها⁽⁷⁾ فتشرق على جميع المجهولات العلمية، فيمتلئ حينئذ علماً وحكمة ونوراً فلا يخفى عليها شيء من المجهولات، وثانيها أنها يزهد في هذا العالم ويحقره عند النفس، وثالثها يرغب في الرحلة عن هذا العالم إلى ذلك العالم وأيضاً يعرفنا ما علة هذا العالم وما معلوله المتوسط بين العلة والمعلول والعلة الدائمة⁽⁸⁾ هي الباري والعقول الثابتة والمعلول الجسم والمتوسط بينهما هو النفس، وإذا أدركنا المتوسط أدركنا الطرفين لكون العقل مضيقاً⁽⁹⁾ بالنور العالي الأول لا يشق به ظلمة وكدر أصلاً ومعرفته من أول وهلة من غير متوسط مشكل جداً والجسم وقواه لا علم ولا معرفة لها لكثرة القشور والأدناس فبقيت النفس متوسطة رأيت فيها نفسك الناطقة وقد طبق نورها الأفاق وبهر ضوءها الأحداق فلتعلم حينئذ شرف النفس وعلوها وكونها من الجواهر الربانية (اللاهوتية)⁽¹⁰⁾ وهي سر الله وخليفته في أرضه غير جسم ولا جسماني ولا داخل في البدن ولا خارج وبالجمله مسلوب عنه الجسم

- (1) في الأصل (العجائب) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.
- (2) في الأصل (الطبايع) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.
- (3) في الأصل (الغليات) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.
- (4) في الأصل (الفضائل) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.
- (5) في الأصل (الردائل) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.
- (6) في الأصل (الأوائل) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.
- (7) في الأصل (ضياؤها) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.
- (8) في الأصل (الدائمة) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.
- (9) في الأصل (مضيقاً) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.
- (10) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

وصفاته وعند تقظنك لهذا الجوهر وإطلاعك على حسنه وجماله وكماله تصير من القوم الذين قال القرآن فيهم: "رضى الله عنهم ورضوا عنه"، وأشرف على جميع أسرار الحكمة والحكماء، وأما أكبر الناس لجهلهم بالأمور العقلية وانهماكهم في الشهوات الجسمانية وشدة ميلهم إلى اللذات الظلمانية قد خلوا عن معرفتها⁽¹⁾ ظللاً مبيئاً وخسروا خساراً عظيماً ووقعوا في الحرمان الأبدي وانحرفوا عن النعيم السرمدى، وقد وصفهم البارى جل اسمه بقوله: "تسوا الله فأنساكم أنفسكم أولئك هم الفاسقون"، وبقوله: "أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون (إن هم)⁽²⁾ إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً". فنفسهم لما ذكرنا من العلة صارت كأنها منطبعة في أجسامهم الكثيفة.. وسهل عليه (الارتقاء)⁽³⁾ إلى ما فوقها من العوالم المجردة الروحانية ومعرفة أكبر (الحقائق)⁽⁴⁾ متوقفة على معرفتها وهي من أمهات المسائل الحقيقية ولا يجوز أن يُسمى الإنسان باسم من أسامي الحكماء والأولياء وهو جاهل بها وبتجربتها، ومعرفتها الحقيقية لا يكون بمجرد البرهان بل بالكشف الحقيقي والأمر المحقق الذوقى. فإن معرفتها بالحجج والبراهين إنما هو (للمبتدئين)⁽⁵⁾ والمتعلمين، وأكثر الحكماء المشائين (العلماء)⁽⁶⁾ يجهلون حقيقتها وماهيتها، وحاصل ما يعرفون من أمرها أنهم يكتبون بالبرهان وجود أمر مجرد عن المواد والجهات متعلق بالبدن مُدبر له لا يموت بموت البدن. أما حقيقة هذا الشيء الموصوف بهذه الصفات فلا خبر عندهم منه ولا علم ولا جل جهلهم بها كانت حكمتهم (بتراء)⁽⁷⁾ غير صحيح وأكثر ما ذكره⁽⁸⁾ (في كتبهم في الإلهيات فاسد، وأما المتكلمون فإنهم {أقل من أن يعدوا}⁽⁹⁾ من أرباب النظر والفضل؛ إذ لا ميزان عندهم {للبحث والبرهان}⁽¹⁰⁾ ولا حصل لهم ما حصل للأئمة الصوفية من الذوق والعرفان. {والذي يدل على صحة}⁽¹¹⁾ ما ذكرنا من أن معرفة النفس

(1) في الأصل (معرفها) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(2) في الأصل (أنهم) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(3) في الأصل (الارتقاء) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(4) في الأصل (الحقايق) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(5) في الأصل (المبتدئين) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(6) في الأصل (المشايين العلماء) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(7) في المخطوط (س) نسوا، وفي المخطوط (ن) بتراء، وهي الأصح.

(8) هذا الجزء ذكر في موضع آخر في المخطوط (ن) في صفحة 13، 14

(9) مطموسة من المخطوط (س).

(10) مطموسة من المخطوط (س).

(11) مطموسة من المخطوط (س).

فيها هذه الفوائد⁽¹⁾ والمنافع {شواهد من العقل}⁽²⁾ الصريح والنقل الصحيح⁽³⁾ وكلام أرباب الذوق والكشف، منها {قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "من عرف نفسه فقد عرف ربه"⁽⁴⁾ (5)، وكذلك قوله: "أعرفكم بنفسه أعرّفكم بربه"⁽⁶⁾، {وفي خبر آخر⁽⁷⁾: "من عرف نفسه لم يشق"، وفي الوحي القديم: "أعرف نفسك يا إنسان تعرف ربك"⁽⁸⁾، وقوله تعالى: "بل الإنسان على الآخر قبول نفسه بصيرة"⁽⁹⁾، وقوله: "وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون"⁽¹⁰⁾، وقوله: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق"⁽¹¹⁾، وقوله: "ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم"⁽¹²⁾، وغير ذلك من الآيات الدالة على أن معرفة الله مقرونة بمعرفة النفس، وكذلك معرفة أعيان الموجودات [سيما الروحانيات]⁽¹³⁾، وأن من جهل نفسه⁷ فهو بغيره أجهل، وكيف تثق بمعرفة شيء من لا خبر له

(1) في الأصل (الفوائد) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(2) مطموسة من المخطوط (س).

(3) في المخطوط (ن) الفصيح، وفي المخطوط (س) الصحيح، وهي الأصح.

(4) مطموسة من المخطوط (س).

(5) حديث "من عرف نفسه عرف ربه" باطل لا أصل له. قال ابن تيمية: "وَبَعْضُ النَّاسِ يَرْوِي هَذَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَيْسَ هَذَا مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا هُوَ فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ الْحَدِيثِ وَلَا يُعْرَفُ لَهُ إِسْنَادٌ". وسئل ابن حجر الهيتمي عنه كما في فتاواه (677/1) فقال: "لا أصل له، وإنما يحكى من كلام يحيى بن معاذ الرازي الصوفي، ومعناه: من عرف نفسه بالعجز والافتقار والتقصير والذلة والانكسار عرف ربه بصفات الجلالة والجمالة على ما ينبغي لهما". وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (رقم 1149): "قال أبو المظفر بن السمعاني في الكلام على التحسين والتقبيح العقلي من القواطع إنه لا يعرف مرفوعاً وإنما يحكى عن يحيى بن معاذ الرازي يعني من قوله وكذا قال النووي إنه ليس بثابت وقيل في تأويله من عرف نفسه بالحدوث عرف ربه بالقدم ومن عرف نفسه بالفناء عرف ربه بالبقاء". وتبعهم في الإنكار على القاري في "المصنوع" (رقم 348)، وإسماعيل بن محمد العجلوني، في كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس (مكتبة القدسي، القاهرة، 1351هـ) حديث رقم (2532) و(343/2) ص 262

(6) هذا الأثر لم أجد له مصادر ولا مراجع.

(7) مطموسة من المخطوط (س).

(8) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، ميزان العمل (مكتبة الجندي، القاهرة، 1973)

(9) سورة القيامة، آية 14

(10) سورة الذاريات، آية 20، 21

(11) سورة فصلت، آية 53

(12) سورة الكهف، آية 51

(13) محاة من المخطوط (س).

من ذاته⁽¹⁾ بذاته. وفي (الوحي)⁽²⁾ القديم أيضاً: "من لم يعرف نفسه مادامت في جسده فلا سبيل له إلى معرفتها بعد مفارقتها جسده"⁽³⁾، وقال تعالى: "نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون"⁽⁴⁾. فقد علق نسيان الله تعالى بنسيان أنفسهم وذلك بذلك على شدة المناسبة بين الباري (جل ذكره)⁽⁵⁾ وبين النفس الناطقة في التجرد عن العلائق⁽⁶⁾ البدنية ويؤيده⁽⁷⁾ (ذلك)⁽⁸⁾ قوله صلى الله عليه وسلم⁽⁹⁾ في حديث (أحزان الله)⁽¹⁰⁾: "خلق آدم على صورته وأشبهه شيء خلق الله به آدم"⁽¹¹⁾، وقال بعض الحكماء: "ما لم تعرف نفسك فأنت ضال"⁽¹²⁾، وقول أبي يزيد (يغني الله عنه)⁽¹³⁾: "سافروا بأنفسكم تجدوها"⁽¹⁴⁾، وقوله أيضاً: "طريق السالك إلى الله نفسه ومنازله معرفة أحواله"⁽¹⁵⁾، وقوله أيضاً: "انتهى سفر الطالبين إلى

(1) في المخطوط (س) بذاته، وفي المخطوط (ن) من ذاته، وهي الأصح.

(2) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(3) حكمة لسقراط.

(4) سورة الحشر، آية 19

(5) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(6) في الأصل (العلائق) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(7) في الأصل (يؤيده) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(8) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(9) ذكرت في مخطوط (س) عليه الصلاة والسلام.

(10) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(11) روى البخاري (6227) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ أَذْهَبَ فَسَلِّمْ عَلَى أَوْلَئِكَ النَّفَرِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ فَاسْتَمِعَ مَا يُحْيُونَكَ فَإِنَّهَا تَحْيِيَّتُكَ وَتَحْيِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَقَالُوا السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ فَلَمْ يَزَلْ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدَ حَتَّى الْآنَ. أخرجه البخاري (49)، كتاب العتق، باب إذا ضرب العبد فليجتنب الوجه

(12) في المخطوط (س) دجال، وفي المخطوط (ن) ضال، وهي الأصح.

(13) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(14) "سافروا بأنفسكم تجدوها"، هي من قوله تعالى: "وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً" سورة المزمل، آية 20

(15) "طريق السالك إلى الله نفسه ومنازله معرفة أحواله"، هذا قول أبو يزيد البسطامي -قدس سره- لأن سفر السالكين ينتهي إلى الظفر بنفوسهم، وإذا ظفروا بنفوسهم فقد وصلوا. وقال أيضاً: "شاقوا أنفسهم تجدوها"، يعني تعرفوها. والحاصل أنه لا بد للسالك في معرفة حقيقة روحه بطريق الوقوف القلبي أن يتجرد عن المواد الجسمانية ولواقعها. انظر: ضياء الدين أحمد بن مصطفى بن عبد الرحمن الكمشخاني النقشبندي المجددي الخالدي المتوفى عام 1311 هـ، جامع الأصول في الأولياء وأنواعهم وأوصافهم وأصول كل طريق ومهمات المريد وشروط الشيخ وكلمات الصوفية واصطلاحهم وأنواع

الظفر بنفوسهم وإذا ظفروا بنفوسهم فقد وصلوا⁽¹⁾. يدل هذا على أن من حصل معرفة النفس فقد حصل جميع المعارف الإلهية ولم يبق له إلا التمسك بأذيال⁸ التجريد والمواظبة عليه إلى آخر العمر لتمضي من هذا العالم غير مجروح ولا له تشوق ولا تطلع إليه. وقال بعض الحكماء: "ينبغي لنا أن نبتدئ⁽²⁾ (أولاً)⁽³⁾ بمعرفة أنفسنا من قبل أن نترقى إلى معرفة غيرنا"، وقال سقراط⁽⁴⁾: "من عرف نفسه فقد تمت فضيلته"، وقال أيضاً: "النفس جامعة لكل شيء فمن عرف نفسه عرف كل شيء، ومن جهل نفسه جهل كل شيء"⁽⁵⁾، وقال <أفلاطون>⁽⁶⁾: "معرفة الإنسان بنفسه هي الفضيلة العظمى"⁽⁷⁾، وأمثال هذا كثير كقول سقراط⁽⁸⁾: "ما ضاع من عرف نفسه، وما أضيع من جهل نفسه"⁽⁹⁾، وكقوله: "النفس عوض من كل شيء ولا شيء عوض من النفس، فمضيع نفسه مضيع لكل شيء، وحافظ نفسه حافظ لكل شيء"⁽¹⁰⁾، وغير ذلك.

التصوف ويلييه متممات كتاب جامع الأصول في الأولياء وأنواعهم، تحقيق وتعليق أحمد فريد المزيدي (دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، 2010) ص209

(1) "انتهى سفر الطالبين إلى الظفر بنفوسهم وإذا ظفروا بنفوسهم فقد وصلوا"، بمعنى أنه لا يمكن للصوفي أن يبلغ مراتب الصفاء إلا بخلو الصدا عن المرأة نفسه وإنبات بذور الوصول منها. فإذا أدام العبد هذه الحالة فهو صاحب تمكين. انظر: زين الدين، الرسالة القشيرية للإمام زين الدين إلى القاسم القشيري عليها تعليقات لشيخ الإسلام القاضي زكريا بن محمد الأنصاري رضي الله تعالى عنهما (دار جوامع الحكم، القاهرة، 1940) ص44

(2) في الأصل (نبتدئ) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(3) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(4) في المخطوط (س) بقراط، وفي المخطوط (ن) سقراط، وهي الأصح. (469 ق.م - 399 ق.م).

(5) "النفس جامعة لكل شيء فمن عرف نفسه عرف كل شيء، ومن جهل نفسه جهل كل شيء". هذه المقولة ذكرت في: موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة (ت 688هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ضبطه محمد باسل عيون السود (دار الكتب العلمية، بيروت، 1998) ص65

(6) (427 ق.م - 347 ق.م).

(7) "معرفة الإنسان بنفسه هي الفضيلة العظمى"، هذه المقولة ذكرت في: موفق الدين أبي العباس، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، المرجع السابق، ص99

(8) في المخطوط (س) أبقرط، وفي المخطوط (ن) سقراط، وهي الأصح.

(9) "ما ضاع من عرف نفسه، وما أضيع من جهل نفسه"، هذه المقولة ذكرت في: موفق الدين أبي العباس، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، المرجع السابق، ص65

(10) "النفس عوض من كل شيء ولا شيء عوض من النفس، فمضيع نفسه مضيع لكل شيء، وحافظ نفسه حافظ لكل شيء"، هذه المقولة ذكرت في: أبو الوفاء المبشر بن فاتك (ت 500هـ)، مختار الحكم ومحاسن الكلم، تحقيق عبد الله محمود محمد عمر (دار الكتب العلمية، بيروت، 1971) ص75

[فصل] (1) إن النفس لا يمكن ولا تيسر لأحد معرفتها، واللذات البدنية مستغلبة على ذاته الفردانية، والشهوات الجسمانية مستولية على نفس الوجدانية، بل ينبغي لمن اشتاق إلى معرفتها⁹ أن يروض نفسه رياضة الحكماء (2) ويجتهد اجتهد العلماء (3) حتى يستولي جوهر النفس الناطقة على جميع القوى الظلمانية ولا تطلق من الشهوات شيئاً إلا عند الضرورة العظيمة، ويجتهد على قطع الخواطر الرديئة (4) التي تجر إلى هذا العالم السفلي ويضعف حواسه، وإذا داوم (5) مدة على هذا وحصل لنفسه ملك الفكر في المعقولات المجردة فيثمر له هذه الأشياء خفة البدن وصفاء (6) الذهن واستتارة القوى وصحة الفكر وإصابة الحدس، فتقوى عند ذلك على النهوض إلى ذلك العالم (الأعلى) (7) الروحاني وذوات الجناح لما لطف مزاجها وخف طعمها قدرت (8) على الارتقاء (9) في الجو والطيران في الهواء، فعليك أيها الطالب بتزكية نفسك وطهارتها وصونها (10) عن ما يكدرها ويميتها فربما وقع لك خلسة من الخلسات. (نفعا الله به ولسائر إخواننا المقترحين علينا ذلك بمنه وكرمه¹⁰ وسميته كتاب الرموز والأمثال اللاهوتية في الأنوار المجردة الملكوتية والله المستعان وعليه التوكلا وهو حسبي ونعم الوكيل .

[فصل] (11) وقبل الشروع في المقصود نقدم مقدمة نذكر فيها شيئاً من الكلام الإلهي والحديث النبوي وتببيهاات الحكماء وإشارات الفضلاء يستدل به على أن معرفة النفس أم الحكمة وأساس الفضائل وأن معرفتها مفتاح الملكوت وفتح باب عظيم من أبواب الجبروت ومن لم يتقن معرفتها حق الإتيان لا يتيسر له معرفة الله عز وجل ولا معرفة ملائكته ولا حقيقة النبوة بل لا يعرف الحكمة أصلاً ولا

(1) ممحاة من المخطوط (ن).

(2) في الأصل (الحكما) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(3) في الأصل (العلما) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(4) في الأصل (الرديه) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(5) في المخطوط (ن) دام، وفي المخطوط (س) داوم، وهي الأصح.

(6) في الأصل (وصفا) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(7) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(8) في المخطوط (س) قويت، وفي المخطوط (ن) قدرت، وهي الأصح.

(9) في المخطوط (س) الارتقا، وفي المخطوط (ن) الارتقاء، وهي الأصح.

(10) في المخطوط (س) صرفها، وفي المخطوط (ن) صونها، وهي الأصح.

(11) ممحاة من المخطوط (ن).

يعد من الفضلاء المتألهين ولا من الحكماء المستبصرين وإن فهمت ما أقوله من الرموز والإشارات في هذا الكتاب فستعرف صحة هذه الدعاوي. واعلم أيّدك الله من حصل معرفة النفس قد حصل السعادة¹¹ الأزلية والمملكة الأبدية وسهل على {الارتقاء إلى ما فوقها}⁽¹⁾ من العوالم المجردة الروحانية ومعرفة أكبر الحقائق {متوقفة على معرفتها وهي}⁽²⁾ من أمهات المسائل الحقيقية ولا يجوز أن يسمى الإنسان {باسم من أسماء الحكماء}⁽³⁾ والأولياء وهو جاهل بها ويتجردها ومعرفتها {الحقيقية لا يكون بمجرد}⁽⁴⁾ البرهان بل بالكشف الحقيقي والأمر المحقق {الذوقي فإن معرفتها}⁽⁵⁾ في الحجج والبراهين إنما هو للمبتدئين والمتعلمين {وأكثر الحكماء}⁽⁶⁾ مشائين يجهلون حقيقتها وماهيتها وحاصل ما يعرفون {من أمرها أنهم يكتبون}⁽⁷⁾ بالبرهان وجود أمر مجرد عن المواد والجهات متعلق بالبدن يدبر له لا يموت بموت البدن، أما حقيقة هذا الشيء الموصوف بهذه الصفات فلا خبر عندهم منه ولا علم ولا جل جهلهم بها كانت حكمتهم بتراء غير صحيحة وأكثر ما ذكره النورانية الدائمة الأزلية الروحانية ذوات الترتيب العجيب والنظام¹² المتقن الغريب أدمت الحركات الفلكية بدوام الإشراقات العلوية وحفظت الأركان السفلية بالأنوار المفارقة القدسية فلك الطول الأعظم يا رب العجائب الملوكوتية ومفيض النفوس الناطقة البشرية نسألك أن توجهنا بالأنوار المشرقات وتودتنا بالعوالم العلويات وتطهرنا عن رجس الطبائع الغاليات يا إله الأرض والسماوات ومن إليه مرد الباقيات الصالحات أحمذك واجب الوجود وأشكرك على ما أنعمت من الجود وأصلي على الفضلاء الكاملين العالمين الطالبين الخالصين خصوصاً على سيد المرسلين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين محمد المصطفى خاتم النبيين وأفضل الأولين والآخرين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وبعد فإن الحكمة أم الفضائل ومعرفتها مبعدة عن الرذائل وموصلة إلى أول الأوائل ويلزمها صفات شريفة كريمة أحدهما¹³ أنها كانت بنور النفس بالنور الإلهي الأزلي حتى تطلع نورها وضياؤها فتشرق على جميع المجهولات العلمية فيمتلئ حينئذ علماً وحكمة ونوراً فلا يخفى عليها شيء من

(1) مطموسة من المخطوط (س).

(2) مطموسة من المخطوط (س).

(3) مطموسة من المخطوط (س).

(4) مطموسة من المخطوط (س).

(5) مطموسة من المخطوط (س).

(6) مطموسة من المخطوط (س).

(7) مطموسة من المخطوط (س).

المجهولات، وثانيها أنها يزهد في هذا العالم ويحقره عند النفس، وثالثها يرغب في الرحلة عن هذا العالم إلى ذلك العالم وأيضاً يعرفنا ما علة هذا العالم وما معلوله المتوسط بين العلة والمعلول. والعلة الدائمة هي الباري والعقول الثابتة والمعلول الجسم والمتوسط بينهما هو النفس، وإذا أدركنا المتوسط أدركنا الطرفين لكون العقل مضيئاً بالنور العالي الأول لا يشق به ظلمة وكدر أصلاً ومعرفتها من أول وهلة من غير متوسط مشكل جداً والجسم وقواه لا علم ولا معرفة لها لكثرة القشور والأدناس فبقية النفس متوسطة رأيت فيها نفسك الناطقة وقد طبق نورها الآفاق وبهر ضوءها الأحداق¹⁴ فتعلم حينئذ شرف النفس وعلوها وكونها من الجواهر الربانية اللاهوتية، وهي سر الله وخليفته في أرضه غير جسم ولا جسماني ولا داخل في البدن ولا خارج وبالجمله مسلوب عنه الجسم وصفاته وعند يفتنك لهذا الجوهر واطلاعه على حسنه وجماله وكماله يصير من القوم الذين قال القرآن فيهم: "رضي الله عنهم ورضوا عنه"، ويشرف على جميع أسرار الحكمة والحكماء، وأما أكثر الناس لجهلهم بالأمور العقلية وانهماكهم في الشهوات الجسمانية وشدة ميلهم إلى اللذات الظلمانية قد ضلوا عن معرفتها ضلالاً مبيئاً وخسروا خساراً عظيماً ووقعوا في الحرمان الأبدي وانحرفوا عن النعيم السرمدي وقد وصفهم الباري جل اسمه بقوله: "نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون"، وبقوله: "أم يحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إنهم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً"، فنفسهم¹⁵ لما ذكرنا من العلة صارت كأنها منطبعة في أجسامهم الكثيفة.

[فصل لـ⁽¹⁾ أعلم أن معرفة الله عز وجل والعقول المجردة والنفوس الناطقة وبالجمله كل مجرد عن المادة بالكلية لا يتصور أن يكون بالحس، إذ الحس لا يدرك الكليات العقلية فبقي أن نكون بالعقل، والعقل إذا أدرك شيئاً فإما أن تكون بالاستدلال البرهاني أو بالإشراق الروحاني المعبر عنه بنفس الظهور، فإن ظهر ذاته لذاته فقد أدرك ذاته، وإن ظهر له غيره فقد أدرك ذلك. ومعرفة ذوات هذه العوالم الثلاثة⁽²⁾ المذكورة بالطريق الأول محال لأن البرهان إنما يطلب الأعراض الذاتية للجواهر لا ذواتها والذي يعرف بالبرهان خواص ولوازم خارجة عن ذات الشيء ونحن إنما نطلب معرفة ذوات هذه العوالم لا شيئاً يحمل عليها ويوصف بها فهو خارج عن ذاته إذا حمل شيء عن نفسه محال والطالب لمعرفة هذه الأمور أن العالم عالمان: عالم الأمر، وعالم الخلق. أما عالم الخلق فهو كل ما له مقدار¹⁶

(1) ممحاة من المخطوط (ن).

(2) في الأصل (الثلاثة) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

ومساحة ويلزمه بالضرورة لون وشكل ونهاية وسائر⁽¹⁾ العوارض اللارته للجسم، وهذا العالم متفاوت بالطاقة⁽²⁾ والكثافة، أما المركبات العنصرية ففي غاية الكثافة والضابط في معرفة الكسف. إن الذي في الغاية يكون ذلك الشيء يدركه جميع الحواس الظاهرة والباطنة، وهذا كالمجردات المفارقة واللطف من وجه دون وجه أن ندركه بعض الحواس دون البعض كالأجرام الفلكية وبعض البسائط⁽³⁾. فالأول جسم محض، والثاني روحاني محض، والثالث جرم بين الروحانية والجسمانية، وأما البسائط⁽⁴⁾ فأكتفها⁽⁵⁾ الأرض لرسوبها في المركز، وكلما طفا عليها إلى نحو المحيط كان ألطف كالماء، فإنه ألطف من الأرض والهواء من الماء والنار من الهواء، والأفلاك ألطف من جميع العناصر، وهي أعني الأفلاك (متفاوتة في اللطافة وكلما كان الفلك معنا في العلو¹⁷ والارتقاء كان أكثر لطفاً؛ لأن العلو النورية للفلك العالي أشد وأقوى من العلية من علة الفلك السافل فيكون معلوله ألطف من)⁽⁶⁾ معلول النازل وأقوى، ولما كان الباري جل ذكره ألطف الموجودات وأتمها كملاً لا بل هو أعظم وأجل من أن يقاس عليه شيء، كيف وهو مبدع سائر⁽⁷⁾ الموجودات اللطيفة والكثيفة وجميع الممكنات رشح منه وأثر عنه، وكلما كان الموجود أقرب إليه كان ألطف من غيره وأشد نورته، والأنوار العارضة لا سيما نور الشمس والقمر وغيرهما أشد روحانية؛ فالنور والضياء⁽⁸⁾ المتعلقان بالأجسام لشدة بساطتهما ولطفهما كونهما ليس حقيقة وراء الظهور والنورية ونوديتهما نفس ظهورهما وإشراقهما لا غير يلحقان بالأمور الروحانية النورانية، فتتحدان بالأنوار العالية ويصيران نوراً واحداً بسيطاً وصير بنور العلم والبرهان من غير سلوك قدسي وكشف ذوقي، كالمطالب رؤية⁽⁹⁾ الشمس¹⁸ بنور المصباح. واعلم أن النور الأضعف لا يمكن أن يُحيط بالأقوى علماً ومعرفة، ولكن النور الأضعف إذا كان جوهرياً وله شعور بذاته المجردة يتصور له معرفة

(1) في الأصل (ساير) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(2) في الأصل (اللطافة) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(3) في الأصل (البسائط) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(4) في الأصل (البسائط) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(5) في الأصل (فأكتفها) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(6) هذا الجزء ذكر في المخطوط (ن) فقط.

(7) في الأصل (ساير) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(8) في الأصل (الضياء) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(9) في الأصل (رويه) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

النور الأقوى، ولكن لا يكون بذاته معرفة تامة وبحسب قوته وضعفه تزداد معرفته وتتنقص، وقد ذكرنا⁽¹⁾ أن الطريق إلى معرفة قدر الممكن من هذه العوالم ليس يمكن البرهان ولا بقوة فكرية فتعين أن يكون ذلك بتصفية الباطن بالرياضيات والمجاهدات وتلطيف السر بالأفكار اللطيفة المناسبة للأمر القدسي (ليستعد)⁽²⁾ (بذلك لنزول البارقات الإلهية وظهور الخطافات النورانية)⁽³⁾ الذي به (يزول الشكوك)⁽⁴⁾ عن القلوب ويحصل به الطمأنينة في الصدور. قال (الله)⁽⁵⁾ تعالى: "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا"⁽⁶⁾، وقال: "وجاهدوا في الله حق جهاده"⁽⁷⁾، وقال: "ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه (إن الله لغني عن العالمين)⁽⁸⁾"⁽⁹⁾، وقال عليه الصلاة والسلام: "من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم"⁽¹⁰⁾، وقال: "إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها"⁽¹¹⁾. [والبوميس]⁽¹²⁾ (والتعريض)¹⁹ ليس إلا⁽¹³⁾ الاستعداد بما ذكرنا من قبل. افهم⁽¹⁴⁾ هذه الأصول فإنها تتفكك نفعا عظيما إن كنت أهلا لها، وإذا حصل الإنسان ملكه معرفة هذه العوالم المجردة أطلع على أسرار الباري تعالى ووقف على إصابة من أصاب وخطأ من أخطأ، كما قال عليه الصلاة والسلام: "لا تعرف الحق بالرجال بل⁽¹⁵⁾

(1) في المخطوط (ن) بينا، وفي المخطوط (س) ذكرنا، وهي الأصح.

(2) في المخطوط (س) لتنفذ، وفي المخطوط (ن) ليستعد، وهي الأصح.

(3) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(4) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(5) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(6) سورة العنكبوت، آية 69

(7) سورة الحج، آية 78

(8) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(9) سورة العنكبوت، آية 6

(10) حديث ضعيف، رواه أبو نعيم، رقم (731)، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفى: 1250هـ)، الفوائد المجموعة، كتاب الفضائل، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1995).

(11) حديث ضعيف، ما أسند محمد بن مسلمة، حديث رقم (15257)، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الطبراني (ت 360هـ)، المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي (مكتبة العلوم والحكم، العراق، 1404هـ)

(12) ممحاة من المخطوط (ن).

(13) ممحاة من المخطوط (س).

(14) في المخطوط (س) فافهم، وفي المخطوط (ن) افهم، وهي الأصح.

(15) في مخطوط (ن) ولكن، وفي مخطوط (س) بل، وهي الأصح.

أعرف الحق تعرف أهله⁽¹⁾.

[فصل لـ]⁽²⁾ الحكماء حدوا النفس بأنها جوهر نوراني غير جسم ولا جسماني من شأنه أن يدرك المعقولات ويتصرف في الأجسام، وهو موجود لا في موضوع. وأقول هذا الكلام سقيم؛ لأنهم ذكروا أن الحد مركب من جنس الشيء وفصله، وذلك يحوج إلى التركيب، والنفس جوهر بسيط لا جزء له في الخارج ولا جزء له في العقل؛ لأن الصورة الذهنية يجب أن تطابق الخارجية، ولولا المطابقة ما كانت صادقة، وإذا لم يكن لها جزء في الخارج ولا في الذهن فلا جنسي ولا فصل، فلا حد على سياق ما ذكره؛ لأن الحد قول دال²⁰ على حقيقة الشيء، والقول بركب يدل كل جزء ومن اللفظ على جزء من المعنى وإلا لم يكن حدًا بل كل حقيقة بسيطة وجدانية ترسم ببعض اللوازم والخواص قاعدة عظيمة مهمة في الحدود زعم المشاؤون وإمامهم أرسطو طاليس أن المجهول لا يصير معلومًا إلا من معلومات سابقة متقدمة على المجهول وذلك فالجنس والفصل في الحدود والصغرى والكبرى في القياس البرهاني والجنس بانفراده لا يصلح للتعريف لعمومه والخاص المسمى بالفصل مجهولًا أيضًا في مواطن أخرى إذ ليس مدرجًا في الحس ولا مشاهدًا بالعقل لكونه ليس بحقيقة مستقلة موجودة بل هو اعتبار عقلي اعتبره جوهر النفس وهو مجهول فتحتاج إلى تعريف والكلام في المعرف الثاني كالكلام في الأول وأيضًا زعموا أن جميع المفارقات العلوية لها فصول مجهولة عندهم والأجسام البسيطة والمركبات العنصرية أكثر فصولها مجهولة والجواهر عرفوها بالقيود السلبي مع الوجود والوجود²¹ اعتبار عقلي لا هوية له في الخارج والأعراض كالسود والبياض وغيرهما من الأعراض عرفوها بالملاحظات العقلية مع بعض اللوازم كقولهم في السود: إنه لون يجمع البصر، وفي البياض: إنه لون يفرق البصر، واللونية لا هوية لها في الخارج يزيد على السود والبياض والجمع والتفريق عرضان لذتان، فالمجردات والأجسام البسيطة والمركبة وأعراضها على رأي هؤلاء لا يمكن معرفتها البتة والتصور باللوازم قد عرفت حاله وأيضًا للمنازع أن ينازع الجاد لجواز غفلته عن ذاتي آخر وكون الفصول كبيرًا ما يلتبس بالخواص، وحينئذ يسبب هذه الأمور التي ذكرناها تبقى الحقيقة غير معلومة وبصعب تصور الحقائق بهذا الطريق. والحكيم أرسطو أعترف بصعوبة الحدود، وعند هذا يلزم الرجوع إلى أصول أخرى شريفة، وهي أن الحقائق إما أن تكون روحانية أو جسمانية،

(1) هو قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، تحقيق عبد الحليم

محمود (دار المعارف، القاهرة، 1999) ص 53

(2) ممحاة من المخطوط (ن).

والروحانية لا سبيل إلى معرفتها إلا بالمشاهدة الكيفية وطريقة المجاهدات والأنواع الجسمانية وأعراضها البسيطة لا يمكن تعريفها²² لمن ليس مشاهداً لها، والمشاهد مستغني عن التعريف، إذ المحسوسات كلها فطرية وعلومنا منتزعة منها والمجهولات ينتهي إليها ولا تحتاج المحسوسات إلى معرفات أخرى والإلزام. أما الدور أو التسلسل وهما محلان والمركبات نعرفها إذا عرفنا مفرداتها فنعرف المجموع بالإجماع في مجموع واحد وسقط بهذا الأصل المشرقي عنا كلف ومشاق عظيمة من تطويلاتهم وخطبهم وتعسفاتهم في هذا الباب، والطالب أن يفتن وفهم هذا الفصل حق الفهم بحيث يشربه نفسه فقد فاز بشرط من الحقائق.

[فصل (1)] وإذا تفحصنا عن آخر هذا الحد المذكور يظهر لك فساد؛ لأن

(الجوهرية)⁽²⁾ أمر عقلي لا صورة لها في الخارج، وهذه الاعتبار التي يزعم أنها لا صورة لها تبين أحوالها في موضوع آخر (إن شاء الله)⁽³⁾ كونه غير جسم ولا (في)⁽⁴⁾ موضع أمران سلبيان⁽⁵⁾ خارجان عن الحقيقة ومن شأنه أن يدرك المعقولات ويتعرف في الأجسام وأمثالها أمور إضافية لا يتقوم بها²³ الحقيقة. وإن كنت غير غائب⁽⁶⁾ عن ذاتي دائماً ولا أغفل عنها نوماً ولا يقظة، فإنما أعرفها بعدم غيبيتي عنها فلا فضل ولا خصوصية أخرى ولا أدركتها حين أدركت ذاتي وما غبت عنها لأن الماهية لا تدرك مع الغيبة عن بعض أجزائها، ولما كان شعوري بذاتي دائماً مستمراً مع الغيب عن هذه الأشياء التي تقرض أجزاء فليس لها مدخل في الحقيقة الإنسانية فإذن لست أرى في ذاتي⁽⁷⁾ عند التفضيل إلا وجوداً وإدراكاً⁽⁸⁾، والإدراك لا يجوز أن يكون جزءاً لذاتك فتكون الأجزاء مجهولاً ولو كان زائداً على الذات يكون متأخراً عنها فيكون الذات قبل الإدراك مجهول وهو محال؛ فالإدراك والمدركية لا تزيد على أنايتي ومفهوم أنا نفسي حقيقة ذاتي إذ لو كان مفهوم أنا خارجاً عن ذاتي فأكون أدركت الشيء العرض لعدم الغيبة عنه

(1) ممحاة من المخطوط (ن).

(2) هذا الجزء ذكر في المخطوط (ن) فقط.

(3) ذكر في المخطوط (ن) فقط.

(4) ذكر في المخطوط (ن) فقط.

(5) في المخطوط (س) سبيلان، وفي المخطوط (ن) سلبيان، وهي الأصح.

(6) في الأصل (غائب) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(7) في المخطوط (س) فإن كنت أرى في ذاتي، وفي المخطوط (ن) فإذن لست أرى في ذاتي، وهي الأصح.

(8) في المخطوط (س) جزا وإدراكا، وفي المخطوط (ن) وجوداً وإدراكاً، وهي الأصح.

وغبت عن ذاتي المستمرة والشعور، وذلك محال فعلم من هذا التفصيل أن ذاتي نفس الوجود الصرف الوجداني ولم أر في ذاتي²⁴ بعد هذا التفحص إلا أمور سلبية وإضافية واعتبارات عقلية فحسب ومفهوم أنا عند التفصيل هو وجود إدراك وجوده، أي ذاته ولما أدركت هذا المفهوم فقط فالزائد⁽¹⁾ عليه من الاعتبارات المجهولة تكون خارجاً عن ماهيتي، فإن قلت هذا الذي ذكرته مزلة قدم (الحكماء)⁽²⁾ إذا شياطين الحكماء المتألهين ذكروا أن الباري (تعالى)⁽³⁾ هو نفس الوجود الصرف المحض، وأنت قد بينت أنك نفس⁽⁴⁾، فاسمع ما أقوله: وهو أنه ليس ما عين ماهيته الوجود في الوجود، بل ليس في الوجود إلا الحقائق⁽⁵⁾ المشاهدة، إما بالحس أو بالعقل والوجود من حيث إنه وجود اعتبار عقلي، وقد ذكرنا أننا إذا قلنا نفس الوجود أردنا بذلك الموجود عند نفسه، أي الظاهر لنفسه الشاعر لذاته سواء أطلق على الباري (تعالى)⁽⁶⁾ أو على العقل، والنفس إذا أشركت المجردات في هذا الوصف فالتمييز بينهما يكون في الحقائق⁽⁷⁾ والمراتب. فإن كل ما هو أعلى في مراق العلل كانت نوريته أشد وأتم وأكمل، وكلما (وكل)⁽⁸⁾ كان أشد انحطاطاً²⁵ في مراتب المعلولية⁽⁹⁾ كان أضعف وأنقص وللباري جل ذكره⁽¹⁰⁾ والعقول المقدسة والعقول القدسية والنفوس البشرية وإن أشركت في شيء وهو صدق الوجود المحض على كل فرد من أفرادها أي يصدق عليه أنه ظاهر عند نفسه لا يغيب ظهوره عنه أبداً. فالامتنياز بينهما ليس بأمر زائد⁽¹¹⁾ على الحقائق⁽¹²⁾ (بل بنفس تلك الحقائق⁽¹³⁾)⁽¹⁴⁾

(1) في الأصل (فالزائد) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(2) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(3) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(4) في المخطوط (ن) أنك نفس الوجود، وفي المخطوط (س) أنك نفس، وهي الأصح.

(5) في الأصل (الحقايق) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(6) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(7) في الأصل (الحقايق) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(8) ممحاة من المخطوط (ن).

(9) في المخطوط (س) العلوية، وفي المخطوط (ن) المعلولية، وهي الأصح.

(10) في المخطوط (س) تعالى، وفي المخطوط (ن) جل ذكره، وهي الأصح.

(11) في الأصل (زائد) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(12) في الأصل (الحقايق) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(13) في الأصل (الحقايق) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(14) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

إذا رأى فلاناً الامتياز ومراتبها فظهور الباري عز وجل⁽¹⁾ لذاته ولغيره أتم وأكمل وأشرف وأسمى من كل شيء⁽²⁾ وظهور (كيف)⁽³⁾ وظهوره لذاته ظهور عليه وظهور غيره وظهور معلوليه، وهو⁽⁴⁾ نور الأنوار وموحد جميع الهويات وما عداه⁽⁵⁾ شكله وشعاع ولمعة⁽⁶⁾ منه وإمكان هذه نقص وجودها ووجوبه⁽⁷⁾ كمال وجوده الذي لا أتم ولا أكمل منه ولا يغني بقولنا إن الامتياز بالحقائق⁽⁸⁾ والمراتب (إن)⁽⁹⁾ حقائقها⁽¹⁰⁾ مختلفة⁽¹¹⁾ كما بيّن الطعم والرائحة⁽¹²⁾ من الامتياز بالحقائق⁽¹³⁾، بل المراد من قولنا إن الامتياز بالحقائق⁽¹⁴⁾ أي بالذوات لأي شيء زائد⁽¹⁵⁾ على (نفس)⁽¹⁶⁾ الذوات وإلا فالأنوار الإلهية²⁶ سواء كانت مجردة قائمة⁽¹⁷⁾ بنفسها أو كانت (مجردة)⁽¹⁸⁾ محتاجة إلى حامل يحملها غير مختلفة الحقائق⁽¹⁹⁾ بل كلها مشتركة في الحقيقة النورية وإلا فالامتياز بينها بشدة الظهور ونقصانه، والشدة والضعف⁽²⁰⁾

(1) في المخطوط (ن) تعالى، وفي المخطوط (س) عز وجل، وهي الأصح.

(2) في المخطوط (س) وجود، وفي المخطوط (ن) شيء، وهي الأصح.

(3) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(4) في المخطوط (س) فهو، وفي المخطوط (ن) وهو، وهي الأصح.

(5) في المخطوط (ن) ما عدا، وفي المخطوط (س) ما عداه، وهي الأصح.

(6) في المخطوط (ن) ولمعة، وفي المخطوط (س) ولمعة، وهي الأصح.

(7) في المخطوط (ن) نقص وجودها ووجوبه، وفي المخطوط (س) من بعض الوجود ووجوب، وهي الأصح.

(8) في الأصل (بالحقائق) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(9) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(10) في الأصل (حقايقها) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(11) في المخطوط (س) المختلفة، وفي المخطوط (ن) مختلفة، وهي الأصح.

(12) في المخطوط (ن) الراححة، وفي المخطوط (س) الريح، وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(13) في الأصل (الحقايق) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(14) في الأصل (بالحقائق) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(15) في المخطوط (س) يزيد، وفي المخطوط (ن) زايد، وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(16) ممحاة من المخطوط (س).

(17) في الأصل (قائمة) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(18) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(19) في الأصل (الحقايق) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(20) في المخطوط (س) النقص، وفي المخطوط (ن) الضعف، وهي الأصح.

يحصل لها بواسطة ما اكتسبته من الخواص والملكات والهيئات⁽¹⁾ حين يعلقها بالبدن، إذ البدن آلة. (وهي متفاوتة في اللطافة، فكلما كان الفلك ممعناً في العلو والارتقاء كان أكبر لطفاً؛ لأن العلة النورية للفلك العالي أشد وأقوى في العلية من على الفلك السافل فيكون معلوله ألطف من)⁽²⁾ وسيلة⁽³⁾ لتحصيل ذلك (برهان عدم الاختلاف أنه يلزم من فرض الاختلاف أن يكون المجرد عن المادة فيه النورية وغيرها حتى تقع الاختلاف بين الأنوار وغير النوران كان هيئة في النور المجرد يكون خارجاً عن الحقيقة، إذ حصولها إنما هو بعد حصول النور المجرد، وذلك يوجب عدم الاختلاف وعكسه باطل، إذ يلزم أن يكون المجرد عن المادة غير مجرد وهو محال، وإن كان كل واحد مستقلاً بذاته فليس أحدهما قائماً بالآخر ولا هو شريكه في المحل فلا يعلق لأحدهما)⁽⁴⁾ بالآخر فلا اختلاف بين الأنوار المجردة أصلاً. برهان آخر أعم من هذه⁽⁵⁾ الأنوار سواء²⁷ كانت مجردة أو غير مفارقة لا تختلف إلا بالكمال والنقص وأمور خارجية عن حقيقة، إذ يلزم من الاختلاف ثبوت أمرين له وذاتك الأنوار إن كانا جوهرين عاشقين أو عرضيين مظلّمين والمجموع لا يكون نوراً في ذاته وقد فرض نوراً هذا خلف وإن كان أحدهما نوراً والآخر ظلمة فلا يكون الظلمة مدخل في الحقيقة النورية فالأنوار المجردة والعارضة حقائقها⁽⁶⁾ غير مختلفة. وإذا لم يبق من أجزاء الحد المذكور إلا نفس الوجود البحث، أي الموجود عند نفسه ظهر أن النفس حقيقتها حقيقة الظهور المستمر المطلق غير المقيد⁽⁷⁾ بشيء أصلاً، وإذا لم يغيب عن شيء ظاهر⁽⁸⁾ فأنت الظاهر⁽⁹⁾ لذاتك (لا بظهور آخر)⁽¹⁰⁾، بل أنت ظاهر بنفس ظهورك المطلق وهو عدم الغيبة عن ذاتك.

(1) في الأصل (الهيئات) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(2) ذكر في المخطوط (س) فقط.

(3) في المخطوط (ن) وشبكة، وفي المخطوط (س) وسيلة، وهي الأصح.

(4) ذكر في المخطوط (ن) فقط.

(5) في الأصل (هذا) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(6) في الأصل (حقايقها) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(7) في المخطوط (س) عن التقيد، وفي المخطوط (ن) غير المقيد، وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(8) في الأصل (ظاهر) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(9) في الأصل (الظاهر) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(10) ذكر في المخطوط (ن) فقط.

[فصل] (1) اعلم أن التمايز بين المشتركات في أمر كلي يكون بأربعة أمور، أحدهما بما ذكرناه من التمايز بين الأنوار المجردة من الأتميه وإلا نقصه، أعني الشدة والضعف²⁸ والمقدار الأصغر والأكبر. فلا يحتاج هذا القسم إلى مميز فصلي كما ذكره (2) [المشأؤون]⁽³⁾، والثاني إن الاشتراك إن كان في عرض لا يميز فيفترقان بنفس الماهية كالتمايز بين الطعم والرائحة⁽⁴⁾ الحاليين في جسم واحد، وإن لم يكن الاشتراك في عرض خارج فيفترقان بفصل أركان الاشتراك في معنى جسمي كالناطق الذي يميز الإنسان من بين سائر⁽⁵⁾ الحيوان أو عرض غير لازم للماهية إن كان الاشتراك⁽⁶⁾ في معنى نوعي: كالتمايز بين زيد وعمرو وغيرهما بالعواض غير اللازمة من السواد والبياض والمقادير، فإن قلت فأنت قد ذكرت أن النور كله صفة واحدة لا يختلف إلا بالأشدية والأضعفية، وأنوار العالم الجسماني أعراض لا تقوم بأنفسها، وإذا كانت الحقيقة واحدة واستغنى بعض الأنوار عن المحل وجب استغنى جميع إذ ما يجب لبعض من أفراد النوع يجب لسائر⁽⁷⁾ أفراد؛ لاستوائها في الطبيعة النوعية قلت²⁹ الاستغناء عن المحل لبعض الأنوار المجردة عن المادة، إنما كان لكمالها في ذاته، وكمالها إنما هو الجوهرية وينقص بعضها واحتياجها إلى القيام بالغير إنما هو الغاية نقصها بالعرضية، وإذا كان كذلك فلا يلزم من نقص بعض الأنوار لعدم قيامها بذاتها نص ما يشاركها من بعض الوجود، واعلم أن جميع الأنوار الإلهية المنبعثة من المبدأ الأول مرتبة في النزول (وكلما كان النور أعلى في مراتب العلل كان أتم وأقوى وأشد وأكمل)⁽⁸⁾ وكلما بُدع في مراتب المعلولية كان أضعف وأنقص حتى ينتهي النقص إلى أنوار لا تقوم بأنفسها، بل تكون هيئة تحتاج إلى حامل يحملها كأنوار الكواكب وغيرها، وعندها ينتهي عالم الأنوار الإلهية من جهة النزول ويتبدى عالم الأجرام أيضاً على الترتيب من الأشرف كالفلكيات على مراتبها حتى ينتهي

(1) ممحاة من المخطوط (ن).

(2) في الأصل (ذكروه) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(3) ممحاة من المخطوط (س).

(4) في الأصل (الرايحة) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(5) في الأصل (ساير) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(6) في المخطوط (س) كالاشتراك، وفي المخطوط (ن) إن كان الاشتراك، وهي الأصح.

(7) في الأصل (يساير) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(8) ذكر في المخطوط (س) فقط.

(الأمر)⁽¹⁾ إلى (الأحسن وهي)⁽²⁾ العناصر الفاسدة المتغيرة. ثم إن الأجرام السماوية تفعل في السفليات بواسطة الحركات أفعالاً مختلفة فيستعد بذلك في القبول (الأنوار)⁽³⁾ من العقل المفارق (ويبتدئ) القبول من الآخر حتى ينتهي إلى الأشرف³⁰ (من النفوس)⁽⁴⁾ النباتية ثم الحيوانية ثم النفوس الناطقة التي هي الغاية (في الشرف ثم أن النفس الناطقة)⁽⁵⁾ بترقي في مدارج النظر ومعارج الكمال فتكون أولاً (عقلاً هيولانياً)⁽⁶⁾ وذلك⁽⁷⁾ عند خلوها عن سائر العلوم ثم تصير عقلاً (بالعقل عند حصول العلوم الضرورية وعند تحصيل العلوم النظرية يصير عقلاً بالملكة فإذا كانت مشاهدة)⁽⁸⁾ جميع أنواع العلوم غير غائبة عنها يكون حينئذ عقلاً (مستقداً)⁽⁹⁾ وذلك غاية الترقى في الكمالات الإنسانية جلت عظمة الصانع جل وعز عن اسمه، كان من العقل ثم صار إلى العقل والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون. فإن قلت فأنت قد ذكرت أن التفاوت والتمايز بين المجردات إنما هو بالأشدية والأضعفية المعبر عنها بالأئمة والأنقصية، وقد قيل إنه لا اشتدته ولا أضعفيه فما يقوم بنفسه كالجواهر الروحانية والجسمانية، وتمسك هؤلاء بقولهم إن الجواهر كلها³¹ يسملها حد واحد وهو اقتصارهم على كون الجوهر موجوداً إلا في موضوع وهذا الحد لا يختلف به جوهر من هذه الجواهر ولا يتفاوت أصلاً بل تعمها على التساوي قلت هذا الحكم ليس بصحيح، لكونه ليس بحدٍ للجوهر بل هو تعريف ما ببعض الخواص. ومعنى الجوهرية غير هذا وذلك أن الوجود من الاعتبار الذهنية الذي تعتبره جوهر العقل إلا أن له صورة محققة في الخارج ولا ي موضوع أمر سلبي على ما ذكرناه سالفًا، والأمور السلبية لا ذات لها فلا تتقدم الماهيات

(1) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(2) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(3) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(4) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(5) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(6) الهبولي: لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة، وفي الاصطلاح هي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال، وهما أربعة أقسام، الأولى: جوهر غير جسم. والثانية: هي جسم قام به صورة كالأجسام. وثالثة: وهي الأجسام مع الصورة النوعية التي صارت محلاً لصور أخرى. رابعة: وهي أن يكون الجسم مع الصورتين، كالأعضاء لصورة البدن. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء الثاني (دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982) ص 536

(7) ذكر في المخطوط (ن) فقط.

(8) ذكر في المخطوط (ن) فقط.

(9) ذكر في المخطوط (ن) فقط.

بعضها على بعض بالوجود بل بالذوات والحقائق نفسها. واعلم أن جوهر المعلول كظل وصنم لجوهر العلة وجوهرية العلة أقدم وأتم وأكمل من جوهرية المعلول وما في المعلول مستفاد من العلة ومكسب منها وهو كظل لها، فكيف ساوى جوهر المعلول جوهر العلة في الجوهرية والكمال؟ هذا معنى قول الأقدمين إن الجواهر الجسمانية كظل للأمور العقلية، فعلم من هذا حصول التفاوت بين الجواهر³². وقد ذكرنا فيما تقدم أن الجواهر الروحانية غير مختلفة الحقائق فيلزم أن يكون التفاوت بما وراء الماهية، وذلك يكون بالأشدية والكمال، وهذا مذهب أفلاطون وكثير من الأوائل وهو يحذون أن يكون نفس أقوى من نفسٍ أخرى في جوهريتها، وكلام المشائين في الأشد والأضعف مبني على الاصطلاحات والتجاورات العرفية، فإن عند هؤلاء لا يكون حيوان أشد حيوانية من غيره، وهم يجدون الحيوان بأنه جسم ذو نفس حساس متحرك بالإرادة، فإذا كان بعض الحيوان نفسه على التحريك أقوى وحواسه أكثر وأشد قوة فيكون الحساسية والمتحركة فيه أتم وأقوى بلا شك، وإذا كان العرف لا يطلق هذا لا يلزم أن لا يطلق الحقيقة كون هذا أتم حيوانية من هذا وأشد متحركة، وكذا قولهم: إنه لا يقال إن هذه النار أشد نارية من هذه أو أشد مائية أو هوائية وغير ذلك لأجل إطلاق العرف المشهور كله باطل لعدم البرهان الموجب لإطلاق ذلك والحقائق العقلية لا تبنى على الاصطلاحات العرفية العامة، لما فيها من المساهلات والمسامحات.³³

[فصل (1) اعلم أنك لا تعلم ذاتك البسيطة الوجدانية النورانية بغير ذاتك المقدسة الفردانية الروحانية. إذ لو أدركنا ذاتك بصورة أو مثال لذاتك في ذاتك وصورة الذات ومثالها ليس هو الذات بل هو شبح الذات ومثالها فيلزم أن يكون (2) (إدراك) (3) الذات هو إدراك الغير وذلك محال (وأنا لا أشك) (4) في أنني أدرك ذاتي وأعلمها علماً مستمراً من غير احتياج إلى صورة وشبح ومثال فلا يكون إدراكك لذاتك إلا بنفس ذاتك ليس إلا. هذا بخلاف الخارجيات، فإن إدراك المثال والشبح بعينه هو إدراك الأمر الخارجي (إذ الصورة متنوعة) (5) منه فيكون إدراكها إدراكه وأما مثال النفس لو كان هو النفس لكنت أدركت نفسي بمثال وبتقدير أنني أدركت ذاتي بالمثال فيلزم أن يكون المثال غير النفس. فإدراك المثال

(1) ممحاة من المخطوط (ن).

(2) في الأصل (نكون) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(3) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(4) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(5) ذكر في المخطوط (ن) فقط.

غير إدراك النفس، وأيضاً أدركت ذاتي بالمثل³⁴ والصورة وكل ما هو في النفس من الصورة، فهي كلية بمعنى أنه يشترك فيها الكثيرون، وكل واحد يدرك ذاته المخصوصة الجزئية، وهي تمنع الشركة. فإدراكه لذاته لا يصح أن يكون بصورة ثم النفس تحرك بدنها الخاص وتدركه وتترك سائر⁽¹⁾ القوى من الخيال والوهم وغيرهما. فإدراكها لهذه الأمور إن كان بالصورة والصورة في النفس وهو كلية فتكون النفس مستعملة ومحركة للبدن الكلي ولقواه الكلية، فلا تكون مدركة لبدنها الجزئي⁽²⁾ ولا لقواها الجزئية وهو محال، ثم أن الوهم ينكر نفسه وينكر قواه الباطنية والقوى الجزئية لا تدرك شيء منها ذاته والنفس لا تدرك عند الكليات. فكان يجب ألا يدرك أحد بدنه الجزئي⁽³⁾ ولا شيء في قواه الجزئية بل يكون مستعملاً لبدن كلي وقوى كلية، وذلك محال. تعلم أن النفس تدرك ذاتها بنفس ذاتها لا بصورة ومثال، وأيضاً إن أدركت ذاتي بالمثل فإن لم أعلم أن ذلك مثال نفسي فلم أعلم نفسي بعد، وإن علمت أنه مثال لنفسي فقد علمت³⁵ نفسي لا بالمثل فالإنسان لا يتصور أن يعلم ذاته بغير ذاته الدائمة⁽⁴⁾ الشعور والظهور. فذاتي هي العالمة والمعلومة، والعلم أيضاً لو علمت ذاتي بشيء يزيد على ذاتي. فالزائد⁽⁵⁾ على الذات يكون صفة للذات حالاً فيها، فتكون قد أدركت الذات قبل جميع الصفات لوجوب تقدم الموصوف على الصفة، فإن لم تكن ذاتي مدركة بالصفات الزائدة وأنا لا أغيب عن ذاتي وعن إدراكي لها. وإن كان الشعور بالإدراك لا يثبت في⁽⁶⁾ القوة الحافظة، إذ الإدراك شيء والشعور بالإدراك شيء آخر ويعلم من هذا أن ما يغيب عنه في بعض الأوقات كسائر⁽⁷⁾ أعضاء البدن المرتبة وغيرها والقوى الظلمانية والنورانية⁽⁸⁾ ليست من ذاتك المجردة في شيء، فليست بجسم ولا هيئة في جسم ولا قوة في جسم ولا جزءاً⁽⁹⁾ من ذاتك وإلا ما غبت عنه⁽¹⁰⁾، إذ كان ذلك شعور بذاتك

(1) في الأصل (ساير) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(2) في الأصل (الجزئ) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(3) في الأصل (الجزئ) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(4) في الأصل (الدائمة) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(5) في الأصل (فالزائد) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(6) في المخطوط (س) لا يشتد، وفي المخطوط (ن) لا يثبت في، وهي الأصح.

(7) في الأصل (كساير) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(8) في الأصل (النورانية) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(9) في الأصل (جزا) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(10) في المخطوط (س) ولا ما عملت عنه، وفي المخطوط (ن) وإلا ما غبت عنه، وهي الأصح.

دائمًا⁽¹⁾ لا يزول فذلك عند الاستقصاء ليس الأشياء إدراك ذاته والمدركة ليست جزءًا⁽²⁾ من ذاتك، فيكون الجزء الآخر مجهولًا فتكون الذات مجهولة ولا بأمر زائد⁽³⁾ لما ذكرنا³⁶ أن إدراك الذات بنفس الذات لا بأمر يزيد على الذات وليست أيضًا حكمها حكم المدركة لا يزيد على الظاهر به. إذا حقيقة الإدراك هو نفس الظهور الذي هو عبارة عن النفس الناطقة فهو الظاهر في نفس الغير الغائب⁽⁴⁾ عن ذاته المظهرة لغيره، وليس الظهور صفة الشيء حتى تلزم أن يكون زائدًا⁽⁵⁾ فيكون الذات غير ظاهرة في حقيقتها بل هو حقيقة الظهور (لا غير)⁽⁶⁾، فهو نور لنفسه ولغيره، وحقيقة النور هو الظاهر في نفسه لا بظهور آخر، بل بنفس ظهوره والأنوار المعارضة هذا حكمها، أي أنها ظاهرة في حقيقة نفسها إلا بظهور، بل ظهورها نفس نوريتها، إلا أنها حيث كانت هيئة في الجرم لم تكن ظاهرة لنفسها بل لغيرها، لنقصانها وعدم إدراكها لذاتها. فاعلم مما قلناه وسطرناه أن ذاتي هو الظهور المحض والصفاء⁽⁷⁾ المحض والنور المحض، فإدراك وعلم محض لا إنها تكون صفات حالة في الذات افهم هذه الأبحاث الشريفة وكرر نظرك فيها كثيرًا لطف شرك³⁷ بالأسرار المناسبة⁽⁸⁾ للأمر القدسي بالأفكار وروض نفسك وبدنك واترك الشاغلات من الأسباب الظلمانية واقتل على المهمات من الأمور الروحانية واتصف بالآشواق النورانية فعسى تفهم شيئًا مما أشرنا إليه ورمزنا عليه⁽⁹⁾ فينفتح لك بذلك باب إلى الملكوت وتشرف حينئذ على أسرار اللاهوت وتحصل السعادة الأبدية والمملكة الأزلية، وإن لم تفعل ولم يتيسر لك ذلك فأنت من الغافلين المحرومين عن الأنوار الإلهية والذات العظيمة الربانية.

[فصل—⁽¹⁰⁾ اعلم أنك إذا أردت أن تعرف الأشياء من الأمور العالية عسر عليك إدراك الموجودات العلوية والسفلية. فأما العلوية فلذقتها ولطافتها وارتفاعها عن المحسوسات الجسمية

- (1) في الأصل (دائماً) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.
- (2) في الأصل (جزاً) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.
- (3) في الأصل (زائد) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.
- (4) في الأصل (الغايب) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.
- (5) في الأصل (زائداً) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.
- (6) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.
- (7) في المخطوط (س) الصفات، وفي المخطوط (ن) الصفاء، وهي الأصح.
- (8) في المخطوط (س) لطف أسرارك بأسرار المناسبة، وفي المخطوط (ن) لطف سترك بالأسرار المناسبة، وهي الأصح.
- (9) في المخطوط (س) مما قدرناه وأشرنا إليه ورمزناه، وفي المخطوط (ن) مما أشرنا إليه ورمزنا عليه، وهي الأصح.
- (10) محاة من المخطوط (ن).

وشدة صفائها وصعوبة التهدي⁽¹⁾ إليها لا سيما (وليس)⁽²⁾ هناك تدرّج علمي ولا ترقّي حكمي، وأما السفلية (فلعدم)⁽³⁾ مراعاة الترتيب في التعليم، وإن أردت أن تعرف (أو لا تعرف)⁽⁴⁾ الأشياء من الجواهر السفلية³⁸ صعب عليك معرفة الأمور المجردة لانتقالك من جوهر في غاية الكثافة إلى جواهر في غاية اللطافة والخفة⁽⁵⁾، بل إذا أردت أن تعلم الأشياء كما ينبغي فعليك بمعرفة المتوسط بينهما، وهو النفس الناطقة فحينئذ يسهل عليك إدراك الطرفين، أعني الروحاني والجسماني جميعاً، وهذا هو الترتيب الصحيح، وإن لم تعرف النفس الناطقة أولاً فلا يتهياً⁽⁶⁾ لك أن تعرف شيئاً من أسرار العالم الروحاني (وأسرار العالم الجسماني)⁽⁷⁾، وإن تكلمت في العلم الإلهي من غير أن تعرفه بالمعينة والكشف لا بالحد والرسم ولا القياس، فأنت في ذلك كالأعمى السائح⁽⁸⁾ في الأرض ولا يعرف أحد نفسه إلا إذا كانت النفس طاهرة نقية، مسئولة على بدنه، لطيفة، تتوقد ذكاء وفطنة، مستعدة لهذا الشأن العظيم، فحينئذ يراها رؤى⁽⁹⁾ حسيّاً روحانيّاً. يعلم أنه جوهر إلهي لا أشرف ولا أعظم منه، باق لا يموت. فأما جل الناس فلا خبرتهم بها لجهلهم وبلادتهم واستيلاء الظلمات على ذواتهم الملطخة بالقاذورات⁽¹⁰⁾ الجسدانية والشواغل الجسمانية³⁹ حتى كأنها قوالب لا أنفس لها، ذلك هو الخسران المبين.

[فصل——ل⁽¹¹⁾] فإذا حصل لك شوق مبرح إلى كنه معرفتها بعد وجدان الشروط المتقدمة فتجرد عن هذه الدنيا بقدر طاقتك واقطع كل خاطر تجر إلى هذا الظلماني، وانفذ إلى الخواطر الجاذبة⁽¹²⁾ إلى العالم العلوي، ولازم الجوع والسهر والفكر في العوالم المجردة الروحانية وتوهم نفسك مفارقة

(1) في المخطوط (س) الهدى، وفي المخطوط (ن) التهدي، وهي الأصح.

(2) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(3) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(4) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(5) في الأصل (والخفا) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(6) في الأصل (يتيهيا) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(7) ذكر في المخطوط (س) فقط.

(8) في الأصل (السايج) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(9) في الأصل (روا) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(10) في الأصل (بالكذورات) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(11) ممحاة من المخطوط (ن).

(12) في الأصل (الجاذبه) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

لكل قوة جسمانية لا سيما القوة المتخيلة إلى الجهل الحاصل بين العالم الحائل بين العالم الجسماني والروحاني وإدراك ما بقى بعد ذلك من الظهور المحض المستمر الشعور، فذلك عبارة عن النفس الناطقة فاعرفها ولا تغفل عنها، فالسعادة في معرفتها والشقاوة مقرونة بجهلها وظلمتها. قال تعالى: "قد أفلح من زكاها"⁽¹⁾، أي من عرفها، وكملها: "وقد خاب من دساها"⁽²⁾، أي جهلها وضيعها. واعلم (أن معرفتك)⁽³⁾ شعورك بذاتك هو إدراكك لذاتك بنفس ذاتك، والإدراك عبارة عن الظهور بالظهور لا يعرف شيئاً لأن سائر⁽⁴⁾ المجهولات⁴⁰ تنتهي في التعريف إلى الظهور، وليس صعوبة إدراك الإنسان نفسه لخفائها⁽⁵⁾ بل لشدة ظهورها وجلائها⁽⁶⁾، والشيء إذا تم ظهوره خفى، أما ترى الأنوار الحسية لما انتهت في الشدة والقوة إلى نور الشمس خفت عن الأعين فصار شدة ظهوره خفاؤها وحجابها وأيضاً أكثر الطالبين يطلبون معرفتها بقوة بنور الفكر والاستعانة بالقوى الجسماني، وذلك لا يحصل من معرفة أصلاً بل يحصل معرفة إضافية سلبية ولوازم قليلة خارجة عن حقيقة الذات، لأنه يعرف الذات بذلك ونور الفكر وكل قوة جسمانية بالنسبة إلى نور النفس مظلم ضعيف، فكيف يدرك به ما هو أشد منه وأقوى ضوءاً ونوراً ولأن الطالب لمعرفة النفس هو النفس، فالطالب هو المطلوب، وقد أضل الطلب عن الوجدان فينبغي (لمن أراد معرفتها)⁽⁷⁾ أن يتلطف ويعرف كيف يطلب وكيف لا يكون الطلب حجاباً بأمور ظاهرة وأخرى خفية يعرفها عياناً عند سلوك منهج الحق بالتجربة أن كنت لها أهلاً، وهنا أمور جليلة يعسر علي التصريح بها وقد أحسن بعض⁴¹ إخوان التجريد. حيث يقول: "إذا رأيت أنني وجدت فقد فقدت، وإن رأيت أنني قد فقدت فقد وجدت"، وهذه كلمة لها عور، وهو إشارة إلى بعض ما رمزنا عليه وأشرنا إليه.

[فصل لـ]⁽⁸⁾ فهذا الظهور الشعاعي لشدة ظهوره وإشراقه على ما دونه خفى ولكثرة الشواغل والمشوشات الواردة عليه من القوى البدنية الظلمانية ولا سيما المتخيلة والوهم الذي ينكر

(1) سورة الشمس، آية 9

(2) سورة الشمس، آية 10

(3) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(4) في الأصل (ساير) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(5) في الأصل (لخفايها) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(6) في الأصل (وجلاليها) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(7) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(8) ممحاة من المخطوط (ن).

المجردات ولا يتصورها أصلاً خفى عند نفسه. فإذا حارب الإنسان هذه القوى ودواعيها حتى قهرها وملكها فقد رفع الحجاب والمانع فيدرك حينئذ ظهور نفسه؛ لأن المانع عن ظهور ذاته لذاته هي القاذورات⁽¹⁾ الظلمانية الواصلة إلى النور اليقيني من أحوال البدن. وعند خمود هذه القوى يستولي الظهور الإنساني والإشراق الروحاني (النوراني)⁽²⁾، فيرى العجائب⁽³⁾ والفسحة والنور، فليس بينك وبين العالم المعنوي (العلوي)⁽⁴⁾ من الاستتار والحجب سوى شواغل البدن وظهور هذا النور أعني ذاتك موقوف على ظهور طور آخر⁴² وراء طور العقل الذي هو عبارة عن طور الفكر وهو طور ترتيب المقدمات وإنتاج النتائج، وهو ضيق الفسحة لا يمكنه إدراك كثير من الحقائق⁽⁵⁾: كمعرفة النفس وجميع المجردات، وعلم النفس بذاتها وبسائر⁽⁶⁾ المجردات، وعلم الباري بالكليات والجزئيات، وكذلك علوم المجردات بالأشياء، ومعرفة صور المرايا (والخيال)⁽⁷⁾ والمبصرات البصرية وكثير من دقائق⁽⁸⁾ العلوم من هذا القبيل، لا يظهر إلا بظهور الطور الآخر، وبه تتم⁽⁹⁾ المعارف والعلوم وتحصل الطمأنينة في القلوب، وإن لم يتيسر (لك)⁽¹⁰⁾ الوصول إليه فأنت مخبط في العلوم خبط عشواء ويكون مالك في آخر الأمر إلى الحيرة والضلالة كما أرى ذلك في أكثر العلماء والحكماء في هذا الزمان وفي غيره أيضاً، ولا تتوهم أن الظهور النوري شيء يزيد على النور بل هو نفسه (هو الظهور)⁽¹¹⁾، والنور عبارة عن نفس الظهور. فكل ظاهر لنفسه نور محض، وكل نور محض ظاهر لنفسه، وظهور ذاتك لذاتك (هو إدراكك)⁽¹²⁾ لها أو شعورك بها وعدم⁴³ الغيبة عنها وظهور الأشياء لك هو

(1) في الأصل (الكذورات) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(2) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(3) في الأصل (العجائب) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(4) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(5) في الأصل (الحقايق) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(6) في الأصل (وبسائر) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(7) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(8) في الأصل (دقايق) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(9) في المخطوط (س) ستم، وفي المخطوط (ن) تتم، وهي الأصح.

(10) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(11) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(12) في المخطوط (س) إدراك، وفي المخطوط (ن) إدراكك، وهي الأصح.

إدراكك⁽¹⁾ للموجودات بقوة ظهورك كما تظهر الألوان⁽²⁾ بنور الشمس. فهكذا تظهر الحقائق⁽³⁾ الإلهية من لدن مسبب الأسباب إلى أن تنتهي إلى الأجسام العنصرية الكثيفة بهذا الظهور⁽⁴⁾ (النوري) والإشراق العقلي، وهذا الإشراق الذي هو عبارة عن النفس الإنسانية شيء واحد وحقيقة واحدة بسيطة لا تركيب فيها بوجه من الوجوه ولا بعدد ولا بكثرة ولا تنقسم إلى أجزاء الكمية ولا أجزاء الكيفية ولا امتداد ولا بعد ولا جهة له وليس هو داخل في العالم ولا خارجاً عنه وبالجمله جميع الأجسام وصفات الأجسام مسلوقة عن هذا الجوهر، فإذا أدركت ظهورك الروحاني⁽⁵⁾ فلا تتوقف على إدراك أمر آخر له مدخل في حقيقتك النورانية غير ذلك الظهور، ولكني أراك أسيراً في يدي الوهم والخيال لا يتركناك، والاقتصار على نفس الظهور ولا يدعناك معرفة ذاتك لكونهما منطبعين في الجسم لا يدركان إلا ما له يعلق بالأجسام ولا⁴⁴ يتصور أن المجردات المحصنة الخالصة اللطيفة الخفية عن الحسيات؛ لدقتها وشدة ظهورها وارتفاعها عن العالم الحسي. فاجتهد في إبعادهما عنك عند إرادة إدراك هذا الجوهر البسيط المنزه عن مقولات الأجسام الخفية عن الخيالات والأوهام، فلست ترى عند قطع النظر عن سائر⁽⁶⁾ الأشياء إلا الإشراق المحض والظهور المطلق (المفسر)⁽⁷⁾ غير المقيد بشيء من الأجسام وتوابعها، وهذا الظهور والإشراق ليس كظهور الأنوار العرضية فإن ذلك⁽⁸⁾ إشراق وظهور للأجسام، وهذه الإشراقات على العقول وظهورها لك إذا تصورت الأنوار العرضية قد فارقت الأجسام وتجردت هي عن المواد غابت حينئذ عن الحس؛ لطافتها ودقتها، وكان ظهورها ظهوراً مطلقاً روحانياً شبيهاً بأنوار النفس والجوهر كالجوهر والإشراق كالإشراقات والنور العرضي نظير النور الجوهرية في نفس الصفاء والظهور. افهم هذا وإلا فلا حظ لك من الحكمة ووراء هذه الأشياء عجائب⁽⁹⁾

(1) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(2) في المخطوط (س) الأنوار، وفي المخطوط (ن) الألوان، وهي الأصح.

(3) في الأصل (الحقائق)، وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(4) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(5) في المخطوط (س) ظهور نوراني، وفي المخطوط (ن) ظهورك الروحاني.

(6) في الأصل (ساير) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(7) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(8) في المخطوط (س) فإنه، وفي المخطوط (ن) فإن ذلك، وهي الأصح.

(9) في الأصل (عجائب) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

يصعب على المستبصرين التعبير عنها لكن إن⁽¹⁾ تقطنت⁴⁵ لهذا القدر⁽²⁾ فيستوي بعد ذلك على الطيران بحيث تستخرج بنفسك كثيراً من الحقائق⁽³⁾ والدقائق⁽⁴⁾ التي يعجز عن إدراكها أفهام⁽⁵⁾ أكثر الحكماء وتخوض في بحر من العرفان لا ساجل له والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

[فصل لـ]⁽⁶⁾ واعلم أن النفس الناطقة إذا ألفت شيئاً في هذا العلم الظلماني ومالت إليه بوجه من الوجوه أضر ذلك بها وحجبها ومنعها عن أن تفعل أكثر أفعالها⁽⁷⁾ الفاضلة الشريفة بأهون السعي وعاقها ذلك أيضاً عن معرفة ذاتها⁽⁸⁾ البسيطة النورانية، وكيف لا يعوقها ذلك والظلمة حجاب النور والكشف حجاب اللطيف وجوهر النفس شديد الضوء والنور عظيم اللطف غاية في الدقة ونهاية في الرقة تسيل عن الأجسام لشدة طهوره ولطفه، والجواهر الجسمانية فيه⁽⁹⁾ بالعكس من ذلك؛ فإذا استغلت النفس بشيء من ذلك بواسطة استعمال القوى البدنية غاب⁽¹⁰⁾ نورها وخمد⁽¹¹⁾ ضوءها وغابت⁽¹²⁾ الذات عن ذاتها، ولا أقول إنها غابت عن نفس شعورها بذاتها، فإن⁴⁶ غيبتها عن ذاتها يلزم منه أن لا يكون في ذاتها ظاهرة عند ذاتها فتكون جسمًا أو هيئة، وقد بينا أن ذلك محال بل أقول إنها تغيب في بعض الأحيان عند شعورها بالشعور بالذات لأجل اشتغالها بالكثائف⁽¹³⁾ البدنية المذكورة فتصير كأنها لا إدراك لها لذاتها ولا شعور ولا ظهور ويتصور حينئذ أن النفس (ليست)⁽¹⁴⁾ شيئاً وراء البدن، لكون الجوهر اللطيف الروحاني. إذ إدراك شيئاً لا سيما إن كان محسوساً فيمنعه ذلك عن شعوره بذاته لاستيلاء الجواهر

(1) في المخطوط (س) فإن، وفي المخطوط (ن) لكن أن، وهي الأصح.

(2) في المخطوط (س) التدبير، وفي المخطوط (ن) القدر، وهي الأصح.

(3) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(4) في الأصل (الدقائق) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(5) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(6) ممحاة من المخطوط (ن).

(7) في الأصل (أفعالها) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(8) في المخطوط (س) نفسها، وفي المخطوط (ن) ذاتها، وهي الأصح.

(9) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(10) في المخطوط (س) فإن، وفي المخطوط (ن) غاب، وهي الأصح.

(11) في المخطوط (س) جهل، وفي المخطوط (ن) خمد، وهي الأصح.

(12) في المخطوط (س) غايب، وفي المخطوط (ن) غنت، وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(13) في المخطوط (س) باللطائف، وفي المخطوط (ن) الكثائف، وهي الأصح.

(14) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

الحسية على العقلية في هذا العالم إذ هي في مراكزها ومواطنها، وتلك في عالم الغربة. فإذا أرادت النفس أن تدرك ذاتها في حال الاختلاط بالشواغل الحسية فتحير في كيفية الإدراك لغلبة سلطان الوهم والخيال على النفس الناطقة، وكون النفس تطلب ذاتها بقوة الوهم والخيال اللذين لا يتصور أن لا الجسم أو ما هو منطبع في الجسم وما هو دونها به وكان من حصل للنفس بالبرهان من كونها غير منطبعة ولا ذات جهة وهي⁴⁷ ذات روحانية غير متناهية ولا أفق لها ولا يحدها النهايات والأقطار وليس لها من القوة ما يدرك ذاتها بنفسها بل يستعين بالوهم والخيال الجاهلين الغير المبصرين ولا جرم يعجز ويضعف ويصير حائرة في الإدراك وتعمى عن معرفة ذاتها لرجوعها عن الأجسام الكثيفة والقوى المنطبعة فيها إلى الجواهر المفارقة للأجسام المنزهة عن الجهات والمواد، وهذه الأمور خواص النفس الناطقة التي هي نفس الظهور والصفاء والإشراق. (واعم أن النفس)⁽¹⁾ لا تغيب قط عن شعورها بذاتها؛ لكونها نورًا مجردًا وكل مجرد لا يغيب ذاته عن ذاته دائمًا ولا يدخل من ظهورها وإشراقها غير مقيد بشيء عن الأشياء، والقوى البدنية⁽²⁾ لانطباعها في الأجسام وكثرة قشورها لا يترك النفس يقتصر في معرفة النفس على ذلك، بل يطلب شيئًا بينهم إلى ذلك يتحكم حينئذ حكمًا باطلًا بأن ذلك هو النفس لأنها لا تدرك إلا المركبات المتناهية، لكن الوهم والخيال يمنعانها. فإذا اجتهدت⁴⁸ أن يكون الوهم والخيال تابعين لأحكام النفس لا يخرجان عن أمره وينهيان عن نهيه، بحيث تستعبدهما النفس فحينئذ تستعد (لنزول البارقات الإلهية)⁽³⁾ ويسهل عليه معرفة المجردات الروحانية ويهون عليها التفتن للنفس الإنسانية، والحيلة في ذلك أن تقطع النظر عن الكثرة الجسمانية وإن صعب عليك ذلك لمنازعة الوهم والخيال⁽⁴⁾ فتلطف في انقياده وسلاسته للحكم العقلي وتصور نفسك خارجة عن الأقطار والجهات السماوية والأرضية وجميع ذلك المقادير الجسمانية، فإن دام لك هذا التوهم زمانًا مع الاستعداد لهذا الأمر العظيم والخطب المشكل إليهم فتحد ذاتًا لا يحويها مكان ولا يتسلط عليها زمان لا أحسن ولا أجمل منها ولشدة حسنه ولكمال إشراقه وتمازج المناسبة بين هذا الجوهر وبين الجواهر العالية الروحانية وقوة الاتحاد العقلي تقع لبعض المتألهين. فهو في بعض سكراته فينطلق

(1) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(2) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(3) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(4) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

لسانه بقوله: "أنا الحق وسبحاني ما أعظم شأنِي" (1) وأمثاله (2). فإذا (3) عاد إلى عقله الذي هو ميزان الله تعالى في أرضه وخليفته في خلقه استغفر من الله وتاب من خطاياهِ (4) وكان عذره في ذلك واضحاً إذا السكران يبيدي سرائره ولا يخفي (4) ضمائره (5).

[فصل لـ] (6) اعلم أن (7) النفس الناطقة غير منقسمة بوجه من الوجوه لا عقلاً ولا وهماً ولا حساً، وبرهان ذلك أنه يحل فيها المعقولات العامة المطلقة غير المنقسمة، كالأجناس والأنواع والفصول وسائر الكليات العقلية وكل ما حل فيه الغير المنقسم فهو غير المنقسم، فمحل المعقولات الذي هو النفس الناطقة غير منقسمة. أما بيان المقدمة الأولى فإننا نعقل الحيوانية والإنسانية المطلقتين غير المعتدين بمقدار ووضع وبالجملّة بعقلها مجردين عن جميع العوارض الغريبة، وما كان كذلك فهو غير منقسم بالضرورة. وهذه المقدمة بينة الصدق بنفسها، وأما المقدمة الثانية فلأن المعقولات العامة إذا حلت في منقسم فيلزم قسمته انقسام المعنى المعقول، أعني الحال (8). فإما أن تنقسم إلى جزأين (8) متشابهين أو غير متشابهين، والأول باطل الكون قسمه المحلي غير متناهية فيكون الحال كذلك ضرورة انقسام الحال بانقسام المحل فيكون ذلك المعنى معقولاً مراراً بغير نهاية وذلك محال، وأيضاً فإما أن لا يكون بين الكل والجزء فوق، ويكون الأول باطل بالضرورة، والثاني يلزم منه أن يفارق الجزء الكل العرى عن المقدار بالمقدار؛ لأن التمايز إنما هو بذلك، وذلك باطل، وأما القسم الآخر وهو أن ينقسم إلى جزأين غير

(1) هو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي، وكان جده مجوسياً فأسلم. بلدة بين خراسان والعراق، أصله منها ووفاته بها. بعد أبو يزيد البسطامي أول من أشاع - في الساحة الإسلامية - فكرة الفناء الصوفي بمعنى الاتحاد بذات الله وفي تقرير مذهبه في الاتحاد يقول: "من ثلاثين سنة كان الحق مرآتي فصرت اليوم مرآة نفسي، لأنني لست الآن من كنته، وفي قلبي: أنا والحق إنكار لتوحيد الحق؛ لأنني عدم محض". ويقول أبو يزيد: "رفعني الله فأقامني بين يديه وقال لي: يا أبا يزيد إن خلقي يحبون أن يروك. فقلت: زيني بوحدايتك وألبسني أنايتك، وارفعني إلى أحديتك حتى إذا رأيك خلقتك قالوا: رأيناك فتكون أنت ذاك ولا أكون أنا هناك". للمزيد انظر: فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، تحقيق محمد أديب الجادر (مكتبة العطار النيسابوري، 1439هـ) ص 26

(2) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(3) في المخطوط (س) من ذلته أو تاب من خطائه، وفي المخطوط (ن) من ذلته وتاب من خطاياهِ، وهي الأصح.

(4) في المخطوط (س) ولا يستخفي، وفي المخطوط (ن) ولا تكن، هذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(5) في الأصل (ضمائره) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(6) ممحاة من المخطوط (ن).

(7) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(8) في الأصل (جزئين) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

متشابهين وهو محال أيضاً؛ لأن الاختلاف الذي بين الجزأين ليس لأجل القسمة الوهمية، لأن القسمة الوهمية لا تجعل الأمر مختلف الأجزاء، وكذا أيضاً لا يجوز أن يكون الاختلاف بسبب الغواشي. فإننا كما جردنا المعنى المعقول عن الزوائد الغريبة، بل ذلك لاختلاف أجزاء المعقول في نفسه فله على تقدير الانقسام مقويات مختلفة، وإذا فرضت القسمة الثانية وثالثة وهلم جرا إلى غير النهاية. فإما أن يصح الانقسام إلى المختلفات إلى غير النهاية⁵¹ لإمكان القسمة كذلك فيكون للشيء مقومات غير متناهية، ومعقولة غير المنتاهي محال، وإما أن تعود القسمة إلى المشابهات فيرجع ما ذكرناه أولاً وقد كنا بينا استحالة ذلك.

[فصل⁽¹⁾] واعلم أن العقل من شأنه أن يوحد الكثير كما إذا شاهد عدة صور من نوع واحد فينزع من المجموع صورة واحدة عقلية تطابق المختلفات في ذلك النوع ويكثر الواحد كما ينقسم النوع الواحد من الأجسام إلى المادة والصورة والنوع المركب الواحد إلى مفرداتها والجنس إلى النوع والفصل⁽²⁾ وغيرها، وصورة العالم الأعلى⁽³⁾ الروحاني لا عدد لها ولا تباين فيها (كما للجواهر الجسمانية وكذا لا مكان لها ولا زمان لها، والحس يوقع الأعداد على الأجسام لاحتياج المعدود إلى المواد الجسمانية، والعقل يرفع الأعداد عنها وينزع من أعداد ذلك النوع صورة واحدة يطابق بها جميع أفراد صور ذلك النوع المذكور لكون العقل واحداً فلا يدرك إلا ما يناسب إدراكه فيه كثرة واختلاف لا يكون إلا⁵² عن ما ذكرناه، وكذا النفس إذا أدركت صور العالم العلوي على سبيل المشاهدة، فإنها لا تجد هناك تعدداً وتبايناً واختلاف، وإن كان كل واحد يمتاز عن الآخر بشعوره بذاته وإدراكه لإشراقاته وأمور أخرى ذكرناها فيما تقدم، وقد علمت أن التعدد من خواص الأجسام المحتاجة إلى الأمكنة المتشخص كل واحد منها بحيز ووضع وعوارض أخرى فيلزم من ذلك التباين بين الأجسام ويصح عليها التعدد الذي هو من توابع المادة وأما الذوات المجردة عن المواد فلكونها غير متناهية الذوات ولا جهة ولا بُعد لها، فلا يكون هناك عدد ولا مكان ولا أحياء بالنفوس تعرف الأعداد من نحو الطبيعة والقوى الجسمانية المنطبعة لكونها واقعاً تحت الحواس المظلمة الكدرة، وهي أعني المجردات فوق الأعداد والأماكن والأقطار والجهات وبالجملة فوق الأجسام وما هو محمول عليها، وقولنا صور العالم العلوي لا يريد أنها تكون مثل هذه الصورة الجسمانية

(1) ممحاة من المخطوط (ن).

(2) في المخطوط (ن) الأنواع والفصول، وفي المخطوط (س) النوع والفصل، وهي الأصح.

(3) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

بل الصور تنقسم إلى صورتين، أحدهما⁵³ ما أشغل الحس عن أن يتعداه إلى غيره ويلزم منه بالضرورة أن تكون في مادة وأن يكون ذا مقدار وشكل وسائر توابع الجسم، والصورة الأخرى عقلية محض منزّه عن جميع ما ذكرناه في الصورة الأولى، والصورة العقلية ما أدركها العقل مجردة عن جميع العوارض وهذه الصورة كلية سواء كانت متنوعة أو إدراكها لذاتها. والمراد بالكلية أنها لا مقدار ولا شكل ولا نهاية لها، وهذا أعم من قولنا إنه الذي ليس تصور معناه لا يمنع الشركة، فإن هذا لا يعُم المجردات العقلية الأزلية، وإطلاق لفظ الصورة على المجردات إنما هو بالثاني لا غير، والصور في العالم الروحاني⁽¹⁾ (لا زمان ولا مكان لها نقص كثير)⁽²⁾ لقوة تجردها وكمال نورها وإشراقها وشدة اتحادها، لكونها معقولات محضة ومعاني صرفة غاية في اللطف ونهاية في الدقة، وصارت كأنها نور واحد وصورة واحدة عقلية روحانية حسية جميلة كاملة، لا يدرك العقل لحسنها وكمالها في هذا العالم على التمام لكونه غالبًا غير صاف من كدر الطبيعة⁵⁴ وظلمة الحواس وتشويشات الوهم (وتغليظ الخيال)⁽³⁾. فإذا راض بعد رياضة تامة وجاهدها جهادًا عظيمًا بحيث يستولي هذه النفس الناطقة الذي هو حزب الله على القوى البدنية التي هي حزب الشيطان مع الاستعداد لهذا الأمر. ربما لمح من ذلك شيئًا في بعض (الجلسات)⁽⁴⁾، وحينئذ تزول الشكوك الشبهات عن قلبه ويحصل له الطمأنينة ويشرف على العلوم الصحيحة المحققة، وتلك الصور أوسع وأفسح وأعظم من أن يحويها مكان أو يحويها زمان، والتحقيق فيه أن النفس مكان في العالم الجسماني لا كهذه الأمكنة بل لأن حقيقة المكان (هو الحاوي للشيء أنت تتصور العالم الجسماني وتجعله في نفسك وتحيط به في طرفة عين)⁽⁵⁾. فإذا كانت مع هذه الشواغل البدنية بهذه الفسحة والسعة متصلة بأفاق العوالم، فهي عند التجرد التام لا نهاية لسعتها وفسحتها، ولا غاية⁽⁶⁾ لمكثها وإقامتها في ذلك المكان الروحاني الذي هو (المكان)⁽⁷⁾ والتمكن بشيء واحد، ولما كان⁵⁵ هو الحاوي بالتفسير المذكور فكل ذات مجردة أشد نورًا وأعلى مرتقى في مراتب العلل، فهي مكان لما دونها؛ لأن النور الأقوى بشدة

(1) من بداية (كما للجواهر الجسمانية) حتى (الصور في العالم الروحاني) موجود في المخطوط (ن) فقط.

(2) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(3) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(4) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(5) هذه العبارة ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(6) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(7) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

إشراقه محيط ومستولي وحاكم على الأضعف وأقرب إلى المبدأ الأول وأعظم ابتهاجاً، ولما كانت الصورة المجردة العقلية لا أبعاد ولا سطوح لها لخلوها عن الهيولي فلا تباين بينهما ولا تمناع ولا تماس على ظواهر السطوح ليلزم من ذلك⁽¹⁾ أن يحجب بعضها بعضاً، فلا جرم تكون جميع الصور الروحانية متحدة بعضها ببعض اتحاداً عقلياً كأنها صورة واحدة ونوراً واحداً بسيطاً لا كثرة فيه ولا تعدد ولا اختلاف بوجه من الوجوه، وهذه الصور (المجردة)⁽²⁾ الشريفة النورانية أما يليها في أواخرها، وآخرها في أولها، وكل جزء منها محيط بكل جزء ومثل كل جزء وكل جزء منعطف على كل، وكل جزء مثل الكل، والكل كالجزء جزء. لتساوي تلك الحقائق في الماهية النوعية النورية، وكون لذاتها روحانية⁵⁶ صادرة عن المبدأ الأول في وصول ذلك الشعاع القدسي والفيض الإلهي إلى كل ذرة من ذرات الوجود بغير نهاية، وكون نفس ذواتها غير متناهية لتجردها واتصالها بأفق الباري جل ذكره، وإذا لم يكن هناك نقلة ولا حركة ولا زمان فهي في عالمها شيء واحد ومعنى واحد غير منفصلة عن ذلك العالم، وهي في حال تعلقها بالبدن غير منفصلة أيضاً إلا أن الشواغل البدنية وكثر الحجب الواسلة إليها من البدن تمنعها أن تتفطن لاتصالها بعالمها، وإطلاقنا لفظ المكان والسعة والفسحة والآفاق والنور وغيرها، وبالجمله معظم الألفاظ التي يعبر لها عن المعاني العقلية والحقائق المجردة متشابهة ومستعاضة؛ لأن الواضع (ما وضع)⁽³⁾ هذه الألفاظ إلا بإزاء الحقائق الحسية المشاهدة أو ما هو من توابعها لا للمعاني والذوات المجردة التي لا يطلع عليها إلا الأفراد من خواص الحق تعالى بتأييد سماوي، وهم في غاية القلة، يأتي في كل دهر واحد⁵⁷ فإذا عرج واحد منهم بنفسه إلى العالم الأعلى البسيط وشاهد تلك الحقائق في حالة المشاهدة لا حس ولا (وهم)⁽⁴⁾ ولا رسم ولا حرف ولا صوت فضلاً أن يوضع لتلك المعاني ألفاظ تطابقها، لكن إذا هبط إلى العالم الحسي⁽⁵⁾ ورأى بعض الألفاظ الموضوعه لبعض (المعاني)⁽⁶⁾ المناسبة للمعاني العقلية ولا من وجه بعيد لاستحالة المناسبة من جميع الوجوه نقل ذلك اللفظ إلى ذلك (المعنى)⁽⁷⁾ لمشاهدة في عالم الغيب

(1) في المخطوط (س) لنفي من ذلك، وفي المخطوط (ن) ليلزم من ذلك، وهي الأصح.

(2) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(3) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(4) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(5) في المخطوط (س) السفلي، وفي المخطوط (ن) الحسي، وهي الأصح.

(6) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(7) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

وبصرفهم⁽¹⁾ ذلك المعنى على ما هو من ذلك اللفظ صعباً جداً؛ لأنه غير مشاهد ولا معلوم من طريق آخر، فإذا سمع السامع لفظاً منقولاً إلى بعض المعاني الحقيقية يتبادر إلى ذهنه المعنى الأصلي فيقع في حيرة وضلالة بعد الخلاص منها يكون ذلك سبب شقاوته، ولذلك⁽²⁾ كشف أسرار الربوبية كفر.

[فصل لـ]⁽³⁾ اعلم أيديك الله وإيانا (ذلك العالم عالمان، عالم الأمر، وعالم الخلق. أما عالم الخلق فكما له مقدار ومساحة ويلزمه بالضرورة لون وشكل نهاية وسائر العوالم الأرض اللازمة للجسم، وهذا العالم متفاوت بالطاقة [كلمة ممحاة] في معرفة الكثيفات بل الكثيف الذي في الغاية يكون ذلك الشيء يدرك جميع الحواس الظاهرة الحسي واللطيف الذي في الغاية ترتفع من جميع الحواس الظاهرة والباطنة، وهذه المجردات العارفة واللطيف من وجه دون وجد يدركه بعض الحواس دون بعض الأجرام الفلكية وبعض البسائط العنصرية، والأول جسم محض، والثاني روحاني محض، والثالث جسم جرم بين الروحاني والجسماني، وأما البسائط فأكتفها الأرض لرسوبها في المركز، والفلك أطف من جميع العناصر، والأفلاك متفاوتة في اللطافة: كالماء؛ فإنه أطف من الأرض، والهواء من الماء، والنار من الهوى والفلك. كأن الفلك مغشى في العلوم، والارتقاء كان أكثر لطفاً؛ لأن العلوم النورية للفلك العالية أشد وأقوى في العلية من عليه الفلك السافل فيكون معلول أطف من المعلول السافل وأقوى، ولما كان الباري جلّت قدرته ألّف الموجودات وأتمها كالإبل، أعظم وأجل من أن يُقاس عليه شيء كي وهو مبدع سائر الموجودات اللطيفة والكثيفة وجميع الممكنات وسبح منه وأثر عنه، وكلما كان الموجود أقرب إليه كان أطف من غيره وأشد نورانية والأنوار العارضة لا سيما نور الشمس والقمر وغيرهما أشد روحانية، فالنور والضياء المتعلقان بالأجسام لشدة بساطتها ولطفها وكونهما ليس لهما حقيقة وراء الظهور والنورية ونورتهما نفس ظهورهما وإشراقهما لا غير يلحقان بالأمور الروحانية النورانية فيتحدان بالأنوار العالية وبصيران نوراً واحداً بسيطاً، وبصير فلك⁽⁴⁾ العالم الروحاني عالماً وجدانياً نورانياً، لا ضد فيه ولا يدخله

(1) في المخطوط (س) العالم الغيبي وصرّفهم، وفي المخطوط (ن) عالم الغيب وبصرفهم، وهي الأصح.

(2) في المخطوط (ن) ولهذا قيل، وفي المخطوط (ن) ولذلك، وهي الأصح.

(3) ممحاة من المخطوط (ن).

(4) هذا الجزء ذكر في المخطوط (س) فقط.

الأعراض⁵⁸ الجسمانية الكدرة المظلمة. وأما عالم الأمر فإنه وإن كانت حقيقته (واحدًا)⁽¹⁾ غير مختلفة إلا أنه يختلف بالشدة والضعف⁽²⁾ وأمر خارجة عن الحقيقة، فأشدها لطفًا وأقواها نورًا وأتمها كمالًا المبدع⁽³⁾ الأول عز سلطانه فإنه فوق اللطف والكمال والجمال والحسن وكل كمال وجمال وحسن ولذة وسرور فقطرة من قطرات بحار ملكوته وذرة من ذرات نار جبروته⁽⁴⁾، ثم يليه في الكمال واللطف وشدة النورية العقل الأول ثم (العقل)⁽⁵⁾ الثاني وهلم جرا حتى ينتهي الأنوار بالضعف والنقصان والكثافة إلى نور لا يقوم بنفسه، بل يكون هبة في الجرم، وكلما كثف النور وضعف بعد عن الحضرة (الإلهية)⁽⁶⁾ لبعده المناسبة الموجهة للمحاورة حتى يبلغ في النقص والكثافة إلى حد يغيب عن عالم العقل فيظهر ذلك النور حينئذ على سطوح العالم الجسماني وصفحاته فيبعد جدًا عن الباري سبحانه، إذ الكثافة والنقص اللذان في جوهره⁵⁹ أو خياله أن يكون هبة في الأجسام لا تقوم بنفسه ومع هذا النقص فيه أسرار عظيمة وعبرة كبيرة للمستبصرين وكثير ما يسعون به⁽⁷⁾ ويجعلونه مثالًا للتوصل إلى العالم (العلوي)⁽⁸⁾ النوراني الصرف الذي لا يشوبه ظلمة البرزخية أصلًا، ولما كان العالم العقلي عالمًا وجدانيًا متحدًا، والصور العقلية متصلة بعضها ببعض اتصالًا عقليًا لا كاتصال السطوح في الأجسام المتمانعة المتدافعة للمواد الجسمانية، بل الاتصال هناك بالكنه والحقيقة كاتصال المعنى المعقول واتحاده بالنفس الناطقة، فيكون كل صورة كأنها الكل والكل كالجزء ولانتقال الكثرة والمعلول في العلة والعلة في المعلول. (بمعنى أن المعلول لا يخفى على العلة لكونها محيطة بالمعلول، وإذ ليس بين المعلول والعلة حجاب)⁽⁹⁾ ولا حائل؛ لعدم الجسمية (في هذين)⁽¹⁰⁾ فيصدق أن العلة في المعلول لأنه يعلم علته ويدركها بنوع روحاني بسيط إشراقي ولا ينبغي أن

(1) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(2) في المخطوط (س) بالأشدية والأضعفية، وفي المخطوط (ن) بالشدة والضعف، وهي الأصح.

(3) في المخطوط (ن) المبدأ، وفي المخطوط (س) المبدع، وهي الأصح.

(4) في المخطوط (س) التيار الجبروتي، وفي المخطوط (ن) نار جبروته، وهي الأصح.

(5) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(6) في المخطوط (ن) الربوبية، وفي المخطوط (س) الإلهية، وهي الأصح.

(7) في المخطوط (س) يستغنوا به، وفي المخطوط (ن) وكثير ما يسعون به، وهي الأصح.

(8) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(9) هذه العبارة ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(10) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

يفهم من قولنا إن⁶⁰ هذا في هذا والكل كالجزء، وهذا متصل⁽¹⁾ بهذا الشيء، مما يتعلق بالأجسام إذ لا جسم هناك بل ينبغي أن يفهم ما هو أعلى وأشرف وأتم ببساطة، ومن يبالي في تلطيف بدنه ونفسه فعساه يدرك شيئاً من هذه الإشارات والرموز، ونحن لضيق العبارة ودقة المعاني نطلق أمثال هذه الألفاظ ولعجزنا نعبر بهذه الألفاظ المجازية ولما كانت تلك الذوات المجردة عن الكثائف، أعني المادة وتوابعها معاني محضة نورانية ومعقولات صرفة روحانية لا يزيد ذاتها على نفس ظهورها ولا نوريتها على نفس إشراقها لا يكون هناك مقدار ولا شكل ولا لون ولا شيء من العوارض الغريبة، بل ذوات صافية وحقائق نورانية نقية خالصة عن كل كدر وندس كأنها شيء واحد ومعنى معقول محض بسيط لا يشوبه شيء من كدر الطبيعة والنفس إذا أدركت صورة عقلية مجردة أتحدث بها وكانت هي وهو شيء واحد يعني هي مستصحية إياه غير منفكة ولا متميزة عنه، وكان ادراكها⁶¹ لتلك المعقولات بذاتها لا بوسط وإدراكها للأشياء المادية تحتاج إلى قوى جسمانية. وإذا أدركت النفس ذاتها بذاتها كان ذلك الإدراك صحيحاً لكن بشرط، أن يقطع النظر في تلك الحال عن القوى البدنية رأساً؛ لأن القوى البدنية كثيفة منطبعة في الجسم ليس في قوتها إدراك المجرد بالكلية، فلا يدرك إلا ما له أقطار ونهايات وحدود مقدارية. فالنفس إذا أرادت إدراك ذاتها ولم يتيسر لها الخلاص عن القوى والحواس البدنية فلا يمكنها عن إدراك ذاتها بل ينزع النفس وينهاها عن إدراك ذاتها؛ لكثرة ما يعرض على النفس من الأحكام الكاذبة بالنسبة إلى المجردات الصرفة، وإن كانت صحيحة بالنسبة إلى المحسوسات فالوهم والخيال عاجزان عن إدراك المعاني العقلية كما يعجز الذوق عن إدراك الأصوات والروائح المختصة بقوى أخرى، فإذا اشتقت إلى معرفة نفسك وإدراكها فلطف مزاجك (بتقليل الغذاء والسهر ونفسك⁶²)⁽²⁾، بقطع العلائق والأفكار اللطيفة وأضعاف الحواس فعساك يقع لك خطفه يترك فيها حواسك⁽³⁾ وبدنك فتشاهد حينئذ ذاتك النورانية لعدم الحجاب وتجدد ذاتاً لا يحويها مكان ولا يحيط بها زمان ولا تحيط بها الحدود والنهايات ولا آفاق لها ولا جهات⁽⁴⁾، وهي نفس الإشراق العقلي والظهور الشمسي والصفاء الصافي والفضاء غير المتناهي. فهذه الألفاظ كلها عبارة عن معنى واحد، هو ذاتك. فتدرك ذلك المعنى بواسطة إيراد هذه الألفاظ الكثيرة فيسهل عليك إدراك

(1) في المخطوط (س) منفعل، وفي المخطوط (ن) متصل، وهي الأصح.

(2) هذه العبارة ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(3) في المخطوط (س) يقع للحفظه تنزل فيها حواسك، وفي المخطوط (ن) لك خطفه يدرك فيها حواسك، وهي الأصح.

(4) في المخطوط (س) والجهات والآفاق لها، وفي المخطوط (ن) والنهايات والآفاق لها ولا جهات، وهي الأصح.

إن كنت أهلاً لذلك، وذلك بعد قطع النظر عن الحواس البدنية، وأما إذا تصورت ذاتها بالوهم والخيال العاجزين عن إدراك المعاني الكلية فيكون ذلك الإدراك غلطاً وخطأ؛ لكون النفس ليس فيها شيء في العوارض الغريبة، والقوى البدنية لا تدرك الشيء إلا مغشى بالعوارض الغريبة، كالكف والكيف والأين وسائر المقولات التسع العرضية⁽¹⁾، وإذا كانت⁶³ الأشياء في العقل الكلي بالصورة كما ذكره المشائون، بل العقل بعلمها بالإشراق النوراني العقلي ولا بُد ولا حجاب. فنظرة إلى ذاته وهو بعينه، نظرة إلى جميع الأشياء لكونها معاني صرفة ومقولات محضة هي نفس الوجود الصرف الذي لا تباين فيه ولا كثرة برزخية فعقله لتلك⁽²⁾ الحقيقة العقلية لا يوجب تعدداً فيكون هو وهي واحداً؛ لأنها تدرك المجردات بذاتها وتتحد بها نوعاً من الاتحاد العقلي. أما الجواهر المادية فتدركها بالقوى الجسمانية فلا تتحد بها التباين الموجود بينهما، وعدم التباين بين الجسماني والروحاني، وكون الشيء لا يدرك إلا ما يناسبه في حقيقته وماهيته.

[فصل لـ⁽³⁾] وقولت وحكما أن الأنوار المجردة اللاهوتية متحدة اتحاداً عقلياً، بحيث إنها تصوير نوراً محضاً وجدانياً حرفاً⁽⁴⁾ صافي الحقيقة من القاذورات والأعراض الغريبة والجسمانية وليس فيه إلا الحقائق المحضة النورية والمعاني⁶⁴ الخالصة العقلية التي هي نفس الوجود غير المقيد بشيء من عوارض المعقولات. فإن صعب عليك إدراكه وفهمه فإننا نسهله عليك بضرب مثال لذلك الشيء من العالم الحسي إن تأملته حق التأمل يزول عنك مشقة صعوبته وفهمه. فأقول إذا نظرت إلى الأنوار العارضة للأجسام، وجدتها كثيرة ووجدتها متفاوتة بالشدة والضعف، فأعظمها وأشدها نوراً نور الشمس ثم نور القمر ثم نور الزهرة ثم نور المشتري وهكذا يذهب في ترتيب حتى تنتهي الأنوار في الضعف إلى أصغر كوكب في الثوابت، وكنت قد علمت مما قرناه سالفاً أن الأنوار العارضة لا تزيد أنوارها على نفس ظهورها كما علمت ذلك في الأنوار العقلية المجردة. فإذا فرضت ظهور كوكب ما فقط مع قطع النظر عن غيره، يحصل للعالم بحسب استنارته وكان لنوره ظهور وإشراق ما ثم إذا فرضت ظهور كوكب آخر فيزداد الظهور والإشراق أيضاً، إلا أنك تجد النورين والضيائين قد اتحدا بالكلية⁶⁵ بحيث يستحيل التمييز بينهما

(1) في المخطوط (س) المقولات التي مع العرضية، وفي المخطوط (ن) المقولات التسع العرضية، وهي الأصح.

(2) في المخطوط (س) لعلات، وفي المخطوط (ن) لتلك، وهي الأصح.

(3) ممحاة من المخطوط (ن).

(4) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

من جهة الحسي، أما من جهة العقلي فلكل واحد⁽¹⁾ منها نور وضياء مستقل لا يفتقر في ذلك إلى غيره. وهكذا الحكم في زيادة ظهور كل كوكب حتى ينتهي⁽²⁾ ويتم ظهور كل ما يمكن منها حينئذ أنوارها حتى تصير نوراً واحداً لا تعدد فيه ولا كثرة من جهة المشاهدة ولا مقدار له ولا عظمة، ثم إذا بزغ القمر من الأفق الشرقي تلاشى في نوره كثير من الكواكب الخفية وضعف ضياء أشدها نوراً⁽³⁾، وتتحد أنوار الكواكب بأسرها في نور القمر ويصير نوراً واحداً لا تعدد فيه ولا كثرة من جهة المشاهدة⁽⁴⁾ ولا مقدار له حتى كأنه ليس هناك إلا نور القمر، فإذا ظهر أنوار الكواكب الظاهرة وسطعت أشعة المصباح الزاهر نور الله العظيم وسر الملك الكريم ينبوع الفضائل والخيرات على القوابل كامل القوى شديد الهبة سلطان العالم العلوي وروح الصقع السفلي وهو النور حسن شديد⁶⁶⁽⁵⁾ نموذج عالم الملكوت وخازن عجائب اللاهوت كاشف أسرار الحكم للمتألهين المخلصين وقرة عين السالكين المحققين وسبلهم إلى الحق تعالى خفت جميع أنوار الكواكب واضمحت وتلاشت أنوارها (واستشرت)⁽⁶⁾ حتى لا تجد إلا نور الشمس وضياءها، وانتشار أشعتها من الآفاق وأقطارها فتتحد الأنوار بأسرها حينئذ⁽⁷⁾ اتحاداً شديداً، بحيث يصير نوراً واحداً وظهوراً واحداً لا تعدد فيه ولا زيادة مقدار بل ليس إلا نفس الظهور الأشد من غير زيادة أخرى. وينبغي أن تعلم أن كل شيء في العالم العلوي الروحاني له مثال وظل في العالم السفلي فالنور الشمسي مثال النور الربوي الإلهي. قال الله⁽⁸⁾ تعالى: "وله المثل الأعلى في السماوات والأرض"⁽⁹⁾، وأراد به الشمس والنور القمري نظير النور العقلي الأول المذكور في قوله عليه الصلاة والسلام: "أول ما خلق الله العقل وهكذا". وهكذا تأخذ الأضواء فالأضواء نظيراً ومثلاً⁶⁷ للذي يلي العقل الأول حتى يأتي عليها بأسرها، وكما أن أنوار الكواكب وأضوائها انطمست وغابت عند ظهور هذا النير الأعظم والسائر الأشرف حتى

(1) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(2) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(3) في المخطوط (س) أشد نورها، وفي المخطوط (س) أشدها نوراً، وهي الأصح.

(4) في المخطوط (س) توجد من وجوه المشاهدة، وفي المخطوط (ن) من جهة المشاهدة، وهي الأصح.

(5) في المخطوط (ن) وهو هو رحش الشديد، وفي المخطوط (س) وهو النور حسن شديد، وهي الأصح.

(6) في المخطوط (ن) واستمرت، وفي المخطوط (س) واستشرت، وهي الأصح.

(7) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(8) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(9) سورة الروم، آية 27

ظهر للحس أن جميع الأنوار عدمت بالكلية ولم يبق إلا نور⁽¹⁾ الشمس، وإن كان من جهة العقلي هي موجودة لكن قد اتحدت بالشمس وصارت نوراً واحداً، فكذا أنوار العقول بالنسبة إلى جلال الباري سبحانه الذي هو شمس عالم العقل ومثال أضواء الكواكب النيرة مثال أضواء العقول على ترتيبها، ومثال الأنوار الخفية مثال النفوس الناطقة، وكلما كان الكوكب أضواً كان أقرب إلى الشمس، فكذا إذا استشرق للنفس بالمعارف والعلوم وقهرت القوى الظلمانية واشتد شوقها إلى عالم النور يكثر نورها واشتد ضوءها ويقرب من شمس عالم العقل عز جاره وتكون التذاذها أعظم فأبهج من الذي هو ضعيف⁶⁸ النور لبعده عن المبدأ الأول. والنفوس الإنسانية إذا سلكت عن المنهج القويم وداومت على لزوم⁽²⁾ الصراط المستقيم وصارت العلوم والمعارف الإلهية⁽³⁾ المحققة غداها والأعمال (الصالحة)⁽⁴⁾ الخالصة لله تعالى دواءها فيعظم بذلك نورها ويشدد ضوءها وتقرب من النور الأزلي ويعاين الجمال الأبدي والشعاع اللذيذ السرمدي، مستغرقة ومتحدة به نوعاً من الاتحاد ثم إن النور الشمسي والشعاع⁽⁵⁾ والأنوار العارضة بأسرها إنما كانت ناقصة من قبل احتياجها إلى المحل، وهي كاملة من جهة النور والظهور واللطافة وعدم الجهة التي هي صفات عالم العقل، ولكن إذا فرضت هذه الأنوار المجردة مستغنية عن الحوامل غابت عند ذلك من الحواس وظهرت للعقول واندرجت في زمرتها وعادت عقولاً صنع الله الذي أنقن كل شيء. وكنا قد أسلفنا فيما تقدم من القواعد أن الأنوار سواء كانت مجردة⁶⁹ أو عارضة حقيقة واحدة (وذاًناً واحدة)⁽⁶⁾ لا تختلف إلا بالأشدية والأضعفية، والضعف إنما هو لاحتياجه إلى المحل (لا لأن حقيقته تخالف حقيقة النور)⁽⁷⁾ المجرد بل لأن في ذاته ضعفاً وعدم ظهور وقوة وإشراق وتبلغ به مرتبة المجردات الصرفة الشديدة الإشراق والنور والظهور المحض. وإذا فهمت هذه الرموز واستخرجت بالفطرة الصحيحة الأصلية هذه الكنوز فافهم أن النور العارض كمثال وظل للنور المجرد العقلي، واستخرجت بعد هذا من هذا الأصل

(1) في المخطوط (س) ولم يبق الأنوار الشمس، وفي المخطوط (ن) ولم يبق إلا نور الشمس، وهي الأصح.

(2) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(3) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(4) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(5) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(6) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(7) في المخطوط (س) لأن الحقيقة تخالفه حقيقة النور، وفي المخطوط (ن) لا لأن حقيقته تخالف حقيقة النور، وهي الأصح.

معظم المطالب الإلهية إن كنت أهلاً للحكمة الإلهية الصحيحة، وإن لم تفهم هذه الإشارات (والاعتبارات)⁽¹⁾ التي هي منوطة بالذوق فأنت لا تستحق المخاطبة، وهذه الأنوار العارضة من جهة الكمال الثابت لها ماهية متصلة ومتعلقة بالأنوار المجردة متحدة بها نوعاً من الاتحاد صائرة من جهة أخرى نوراً واحداً، وقد علمت من بعض⁷⁰ الأصول المقررة على جميع الحكماء أن الاستعدادات إنما تحصل من الحركات الفلكية والهيئات الجسمانية والنورية والجواهر الروحانية الإنسانية. إنما هي من فيض العقول، فالشمس والكواكب تعد الأرض لأن يفيض المفارق عليها النور المرئي المشاهد الذي هو نور عالم الحس. ففي التحقيق هذا النور العرض عقلي، إلا أنه ضعيف وناقص لاحتياجه وعدم استغنائه إلى القيام بالجرم السماوي الذي هو محله، فلا يكون عقلياً محضاً لكنك إذا تصورته مجرداً عن المحلي صار عقلياً صرفاً ويلزم من هذا أن يكون النور الناقص مثلاً للنور التام. فافهم ذلك وكرر نظرك وفكرك في هذا الفصل طويلاً فإنه من عيون القواعد وخلاصة الفوائد عظيم الفائدة على من عسر عليه فهم الأنوار المجردة العقلية (بعد أن تلطف ويبالغ في إضعاف القوى الجسمانية لا سيما القوة الوهمية والخيالية⁷¹)⁽²⁾.

[فصل—⁽³⁾] واعلم أيُّدك الله وإيانا أن جميع المجهولات العقلية والحسية إنما تصير ظاهرة معلومة بالنور الذي ليس له حقيقة وراء الظهور المستغني لذاته عن التعريف والإظهار إذا الأشياء (الظاهرة)⁽⁴⁾ المحتاجة إلى ذلك، إنما كانت لخفائها عن النفس فلا جرم إذا سبيلنا عن بعض الحقائق المجهولة عند الغير طلبنا شيئاً عن العقل له نسبة إلى ذلك المجهول بالإظهار، فيكون معرفته وشعور النفس به سبباً لمعرفة الشيء المجهول، فجعلناه معرفاً له فيصير حينئذ ذلك المجهول الظلماني بسبب تعريفه بالأمر الظاهر منوراً ظاهراً فيزول بذلك جهالته وظلمه، فيقال: إن المجهول صار معلوماً، وإنما صار كذلك بالنور. فنسبة الشيء الظاهر المعلوم به جهالته⁽⁵⁾ كنسبة المصباح في إظهاره المحسوسات إلى الأنوار الظاهرة به هذا في المتصورات المفردة، وأما في المركبات فكذلك (لأن المجهول إذا كان نسبة

(1) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(2) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(3) ممحاة من المخطوط (ن).

(4) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(5) في المخطوط (س) بعاليه، وفي المخطوط (ن) به جهالته، وهي الأصح.

محمول إلى موضوع⁽¹⁾ فتطلب⁷² النفس قضايا وأحكامًا غير مجهولة عندها أي ظاهرة منورة، إما أولية بذاتها أو قد صارت كذلك تكسب (فترتيبها حينئذ ترتيبًا)⁽²⁾ ومخصوصًا مناسبًا للمطلوب فيستعد بذلك العمل الإشراف نور العقل على تلك القضية المجهولة وعلى النفس فتصير معلومة ظاهرة فيكون نور العقل مثال الشمس والألوان الكائنة في الظلمة المجهولة، كنسبة الحكم المجهول إلى النفس مثال النفس مثال البصر. فقد رجع معرفة حقيقته إلى النور هذا في المعقولات، وأما في المحسوسات فذلك لأن الألوان والأشكال والمقادير وغيرها من المحسوسات تكون مجهولة في الظلمة خفية، فإذا أشرقت عليها بعض الأنوار الحسية كأشكال الكواكب والنيران صارت منورة ظاهرة (العلمية منورة ظاهرة)⁽³⁾ عند النفس بالأنوار العقلية المناسبة لظهورها عن النفس. فقد علمت أن المجهولات العقلية والحسية إنما تصير معلومة ظاهرة للنفس بالأنوار المجردة⁷³ والعارضة التي هي عبارة عن نفس الظهور، فيعلم من هذا استغناؤها عن التعريف وعن شيء يظهرها، لذا ما عداها بها تظهر وعندها يقف، فهي أولية التصور بديهية لا يتصور أن يكون في الوجود أحلى وأظهر منها، وهي أول الأوائل عند النفس. فإذا تقرر هذا الأصل وعلمت أن المجهولات (العقلية تظهرها الأنوار العقلية)⁽⁴⁾ وأن المجهولات الحسية تظهرها الأنوار الحسية. فجميع الأشياء إنما تظهر بالنور. (فالنور لا يظهره عند ذاته غير ذاته)⁽⁵⁾ إن كان مجردًا وإن كان عارضًا فلا يحتاج إلى أن يظهره غير، بل هو ظاهر في حقيقة ذاته لكنه لا يكون ظاهر عند ذاته لعدم شعوره بذاته، والنفس نور مجرد لا يحتاج في ظهور ذاتها لذاتها إلى غير ذاتها. فكيف يحتاج شيء والظهور حقيقته والإظهار صفته إلى شيء يظهره فهو الظاهر لذاته بذاته لا بظهور آخر. فالظهور نفس الإدراك والإدراك هو نفس الحقيقة⁷⁴، فهو العاقل والمعقول والعقل فيعلم من هذا أن معرفة النفس ضرورته لكونها نفس الظهور والنورية فلا تكون خفية عند نفسها وبها تظهر المجهولات بأسرها، وإذا كان حد النور حقيقته أنه الظاهر في نفس المظهر لغيره والنور المجرد لها حقيقة له غير الظهور المحض والوجود

(1) في المخطوط (س) وأما في المجهولات فذلك لأن المجهولات، وفي المخطوط (ن) لأن المجهول إذا كان نسبة محمول إلى موضوع، وهي الأصح.

(2) في المخطوط (س) فترتيب، وفي المخطوط (ن) فترتيبها حينئذ ترتيبًا، وهي الأصح.

(3) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(4) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(5) في المخطوط (س) بالنور لا يظهر عندها غير ذاته، وفي المخطوط (ن) فالنور لا يظهره عند ذاته غير ذاته، وهي الأصح.

الصرف، فلا شيء أعرف وأوضح وأتم ظهورًا من النفس (وسائر)⁽¹⁾ العقول المجردة. فمعرفة النفس بديهية لا تحتاج في معرفتها إلى غير ذاتها، لكن بشرط قطع النظر عن غيرها وقت إرادة الشعور بذاتها وشعورها بشعورها، وإذا لم يرد الإدراك لذاتها على ذاتها الذي هو الظهور فمحال أن تغيب النفس عن ظهورها إذ من خاصية الظهور والنور الذي هو نفس الحقيقة عدم الغيبة، فإنه لو أمكن أن تغيب عن ظهورها لأمكن أن تغيب عن غيره؛ إذ ظهور الأشياء لها فرع (على)⁽²⁾ ظهورها في نفسها. فعلم أن النفس لا تغيب ولا تغفل عن ذاتها طرفة عين أبدًا⁷⁵، لكن بشدة ظهورها وإشراقها ولطف نوريتها وغلبة الوهم على جوهرها يتوهم عدم المعرفة بها على أن شعورها بذاتها شيء وشعورها بالشعور أعني المعرفة شيء آخر وهذا الشعور بالشعور لا يثبت ولا يتحفظ بالقوة الحافظة. فلهذه العلة توهم الناس أنهم لا يعرفون نفوسهم وصعب ذلك عليهم، وإلا فمعرفة النفس ضرورية لا سيما إذا كان في النفس حكمة وتجرد وتلطف أدنى تلطيف، وأيضًا الشعور بالذات يكون بالعقل فيكون دائمًا على الإطلاق لا يكون (باعتبار)⁽³⁾ شيء آخر، والشعور بالشعور يكون بالقوة وحاصلاً في وقت دون وقته وتغايرهما لا ينكر، ويجب أن تعلم أن الإنسان قد يدرك الشيء ولا يدري أنه قد عرفه، وهذا النوع من المعرفة إنما يكون للطف المعروف ودقته (وشدة)⁽⁴⁾ جلائه وظهوره لاحقاً لا لخفائه فيكون شدة ظهوره وإشراقه حجاب التفتن إلى معرفته⁷⁶ كالنفس البشرية وسائر المجردات، والنفس إذا أنصتت⁽⁵⁾ إلى ذاتها طالبة تغطيها بذاتها لم تجد في ذاتها كثرة متعددة لا جسمانية ولا عقلية ولا أجزاء مختلفة ولا متفقة، بل لا تجد ذاتها إلا وحدة واحدة، (وتلك الوحدة)⁽⁶⁾ لا تزيد على نفس الظهور المطلق المخصص. أما كونه مطلقاً أي أنه غير مقيد بجسم أو جسماني، وإما كونه مخصصاً ببدن خاص أي له تعلق به وإشراق عليه دائماً، وذلك الظهور الذي هو عبارة عن النفس لا تغيب عن ذاته (أي شعوره بالظهور الذي له وهو حقيقة ذاته)⁽⁷⁾ مستمر أبداً، وهذا الظهور سار في جميع الموجودات الجسمانية وغيرها ولا أعني بالسريان كونه ملامساً للأجسام، فإنه كان

(1) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(2) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(3) في المخطوط (س) بمساوي، وفي المخطوط (ن) باعتبار، وهي الأصح.

(4) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(5) في المخطوط (س) التفتت، وفي المخطوط (ن) أنصتت، وهي الأصح

(6) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(7) ذكر في المخطوط (ن) فقط.

يلزم من ذلك جسمية الظهور المشار إليه، بل أعني بذلك أنه إذا التفت إلى الموجودات الحسية والعقلية خطرت له وظهرت⁷⁷ وبصير كأنه وعاء لذلك الشيء، كونه ظهور لا نهاية له ولا أفق ولا حد ولا جهة ولا بُعد محيط بجميع الأجسام عند إخطارها بالبال متصل بأفق العقل ومتحد به ولا يغفل ولا يغيب عن ذاته، (أي لا يظلم عليه ذاته فيغيب عن ذاته)⁽¹⁾ فيكون حينئذ معدوماً إذ لا حقيقة له وراء الظهور. فالنفس لا يغفل عن ذاتها، أي الظهور، ولا يغفل عن الظهور فنفس الظهور المستمر الخالي عن جميع الكيفيات والأجسام وخواصها هو النفس الناطقة البشرية لا غير، وقد يعرف الإنسان الشيء ولا يدري من أين عرفه ولا من أي جهة عرفه فخالف فيه؛ وهذا قد يكون لضعف في النفس وغلبة الأوهام على جوهرها، والعجب أن النفس تطلب ذاتها في بعض الأحيان وتصير⁽²⁾ عاجزة من الظفر بذاتها لكون الطالب هو المطلوب وقد أضله الطلب⁷⁸ وأعماه عن أظهر الأشياء وأبينها عنده، وكان مثاله في ذلك مثال شخص في يده شيء وهو يطوف عليه ويطلبه في أمكنة بعيدة ولو طلب من أقرب الأشياء إليه لوجده فيكون طلبه لذاته حجاب ذاته، لكون النفس قد ألقت وأنست في تحصيلها للعلوم⁽³⁾ المجهولة أن الطالب يُغايِر المطلوب إذا الطالب والفاحص ذاتها، والمطلوب هي العلوم المجهولة عندها، وصار هذا خلقاً وعادة لها تمكن من جوهرها تمكن الملكات، فإذا أردت معرفة ذاتها فيكون الطالب هو المطلوب والعاقل هو المعقول لا جرم صعب ذلك عليها، وأيضاً معرفة الأشياء التي هي غير ذاتها⁽⁴⁾، إنما تكون بفكر أو حدس وتحتاج النفس فيهما إلى استعمال القوى المنطبعة البدنية لا سيما المتخيلة التي لا يتصور للمجردات ولا تؤمن به أصلاً، ومعرفة ذاتك⁽⁵⁾ لا تحصل إلا بترك القوى والآلات⁷⁹ والمقدمات المترتبة رأساً، بل تحصل بالرياضة والذكر الدائم⁽⁶⁾، وتلطيف النفس يحصل بالأفكار اللطيفة المناسبة لجوهرها، فعسى يقع لها خطفه يتخلص عندها من المتخيلة المشوشة وغيرها من القوى الجسمانية، فتشاهد تجردها عن الجهات والأقطار والأبعاد وسائر خواص الأجسام، فيراها حينئذ عالماً من عوالم العقل الشريف النفيس

(1) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(2) في المخطوط (س) تكون، وفي المخطوط (ن) تصير، وهي الأصح.

(3) في المخطوط (س) عن العلوم، وفي المخطوط (ن) للعلوم، وهي الأصح.

(4) في المخطوط (س) غيره، وفي المخطوط (ن) غير ذاتها، وهي الأصح.

(5) في المخطوط (ن) ذاتها، وفي المخطوط (س) ذاتك، وهي الأصح.

(6) في المخطوط (س) دائماً، وفي المخطوط (ن) الدائم، وهي الأصح.

(مطلب)⁽¹⁾ لا أحسن ولا أجمل ولا أكرم منها، غير متغيرة ولا مبدلة لا يحيط بها (الزمان ولا يحويها المكان، بل هي محيطة بالزمان)⁽²⁾ والمكان، وأما جل أهل الفضل فإنما يطلبونها بالفكر والمقدمات المحتاج فيها إلى استعمال القوى المذكورة وعجزها عن إدراك الأنوار المجردة ظاهرة لا جرم يتخيرون ويدهشون حتى أن بعضهم لجهله وشدة حماقته واستيلاء الغفلة والظلمة على قلبه. يزعم أن الأنبياء والحكماء⁸⁰ والمتألهين البالغين في الملكات الشريفة، الذين انسلخوا عن الهياكل الجسمانية وتجردوا عن المواد الظلمانية وشاهدوا العالم الأعلى صريحاً لا يعرفون جوهر النفس، وهذا غاية الشقاوة والجهالة بطريقة الغضب من إخوان التجريد الذين سهل الله (تعالى)⁽³⁾ عليهم ما عسر على غيرهم. كيف والأحاديث الموردة في أول هذا الكتاب التي نقلناها عن الأنبياء والحكماء كلها تدل على إمكان معرفتها، ثم أقول إن النفس مع علمها بأن قواها بأسرها ليس في قوتها إدراك المجردات إذا كلت عن إدراك ذاتها لجهلها بالطريق المؤدي إلى ذلك، وعشقها للكمال العلمي تستعيد بالقوة المتخيلة التي هي كالوزير لها، فتعتمد المخيلة إلى مقتضى ذاتها وتفعل أفعالاً تناسبها من تمثيل المجردات بالأجسام والجسمانيات، فتشكل شكلاً أو يتصور⁸¹ بعض الألوان أو بعض الأجسام اللطيفة وتحضرها للنفس، وتقول: أنت هذا؛ فإن سلمت النفس هذا الحكم وصدقها في هذا الفعل فقد ضلت عن الحق ضلالاً مبيئاً، وإن توقفت عن الجرم وتذكرت أن هذه القوى جنودي، وليس لها استعداد إدراك ذاتي وصفاتي التي لا تتركها ذاتي بذاتي، فقد هويت إلى صراط مستقيم، وهذا الإدراك وإن كان فيه غموض لكونه مخالفاً لسائر الإدراكات لكون العاقل والمعقول شيئاً واحداً، إلا أن الإدراك الظهور الذي لا يغيب عنه أبداً ضروري، ولكن بشرط أن يقطع النظر عن المتخيلة وسائر القوى لحظة واحدة. فالذي يبقى بعد قطع النظر عن البدن وما فيه هو النفس الناطقة، والذي يبقى إنما هو إشراق محض روحاني وفضاء صرف نوراني وصفاء خالي عن الكيفيات والكميات⁸² ولطف مُنَزَّه عن الأجسام والجسمانيات لا يزيد على النارية والنورية، التي هي ظهور محض مطلق لا يشوبه شيء أصلاً، وأيضاً لك أن تتصور ذاتك المقدسة من دنس العناصر خارجة عن أقطار السموات والأرض، مجردة مفارقة مخلصة عن الكرة الفلكية، وما هي مشتملة عليه غير ملتفت إليها ولا معتد بوجودها، وإن شئت فتخيل عدم هذه البيضة أو ضربها بآلة كما تضرب الكرة في الميدان ذاهبة في

(1) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(2) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(3) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

خلاء لا نهاية له. فلا تجد نفسك في هذه الحالات ولا في هذه الفروض، في هذه الكرة ولا جزءاً من أجزائها ولا داخلاً في الكرة ولا خارجاً عنها، بل تجد ذاتك⁽¹⁾ في هذه الفرض ثابتة دائمة ظاهرة نقية غير متغيرة بتغيرها ولا معدومة بعدمها ولا متحركة بحركتها، ولا تغفل في جميع هذه الحالات عن ظهور مطلق لا يوصف بشيء من صفات⁸³ الأجسام غير متغير ولا متبعض ولا ممتد بامتداد الأجسام، منطبق عليها وإن وصف ببعض الصفات فيكون على وجه أشرف وأكرم على ما يليق تلطف جوهره وعظمة نوريته. فشعورك بظهورك لظهورك وهو ظهور الظهور للظهور هو الظهور المحض الذي لا يزيد على نفس النورية الصافية الوجدانية البسيطة، ولا يمكن للوهم أن يضم إلى هذا سبباً أو يزيد أو يدخل على نفس الصفاء الوجداني غيره من الظلمات. فهذا هو النفس الناطقة التي هي خليفة الله في العالم السفلي فيا لها من سعادة ما أعظمها وكرامة ما أفخرها ومرتبة ما أسناها ولذات ما أبهاها، وهي معرفة هذا الجوهر النوراني والبسيط الوجداني الذي صارت العقول في كنهه وخرست الألسن عن وصفه، إلا من أيد بالملكوت ونطق من قدس اللاهوت، ويا لها من حسرة ما أفجعها⁸⁴⁽²⁾ وندامة ما أدومها نسيان هذا الجوهر وجهله. قال الله تعالى: "نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك⁽³⁾ هم الفاسقون"⁽⁴⁾، وقال: "إن الله يحول بين المرء وقلبه"⁽⁵⁾، والآيات والأخبار الدالة على نقص الإنسان وشقوته عند جهله بهذا الجوهر كبيرة جداً. فقد جاء في كلام أساطين الحكمة والنبوة ما يشبه ما ذكرنا ويناسب ما رمزنا عليه، وذلك كقول *«حيثاغورس»*⁽⁶⁾: "إذا قبلت ما قلت لك وفارقت هذا الهيكل تكون مخلي في الهواء"، أي الهواء الروحاني الذي هو عبارة عن نور عالم العقل المتحد ببعضه ببعض. وكقول المسيح (لبعض)⁽⁷⁾ الحواريين: "إذا خارقت هذا الهيكل فأنا واقف في الهواء عن يمينه العرش".

(1) في المخطوط (س) نفسك، وفي المخطوط (ن) ذاتك، وهي الأصح.

(2) هذه الصفحة كررت في المخطوط (ن) مرة أخرى في صفحة 83

(3) في الأصل (أوليك) وهذا خطأ والصواب ما أثبتته.

(4) سورة الحشر، آية 19

(5) سورة الأنفال، آية 24

(6) (570-495 ق.م).

(7) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

[فصل] (1) اعلم أن الاتحاد محال؛ لأن معنى الاتحاد هو أن يصير شيء بعينه شيئاً آخر، وهذا لا يكون إلا بالاتصال والامتزاج والتركيب، وذلك لا يعقل إلا في الأجسام⁸⁵ (2)، وبرهان بطلانه أنه إن بقى الأول مع حصول الثاني فهما اثنان فيتعدان أو بطل الأول وبقى الثاني أو بطل الثاني وحصل الأول، فلا اتحاد أو بطلاً معاً، فلا اتحاد. وليس هذا كقولهم: صار الأبيض أسوداً، أو الماء هواءً. فإن الأسود ما صارت ماهيته بيضاء والماء هواءً، بل الحامل لصورة الماء والسواد زال عنه صورة الماء والسواد، وحصل فيض من الواهب الفياض بياض وهواء، والمادة بحالها ما تغيرت. فعلم أن الاتحاد محال، وأنه لا يتصور إلا في الأجسام، ونحن فقد أطلقنا كثيراً لفظة الاتحاد في هذه الأوراق فلا يتوهم أننا نريد بهذا الاتحاد الذي برهنا على بطلانه. فإذا مرادنا من هذا الاتحاد المذكور بين المجردات العلوية حالة روحانية لا يفهم منه اتصال جرمي امتزاجي، بل على ما يلين بالمجردات النورانية. وتحقيق هذا المعنى يظهر بما أقوله، وهو أن النفس الناطقة وإن لم تكن حالة في البدن ولا منطبعة فيه، ولكن بينه وبين النفس (3) علاقة عشقية شوقية شديدة ولأجل (قوة) (4) هذه العلاقة أشارت إلى البدن بأنها ونسيت نفسها وذهلت بسبب ما ذكرناه من العلاقة وظنت أن النفس ليس أمراً آخر وراء هذه البنية الجسمانية حتى أن أكثر الناس غفلوا عن ذواتهم ونسوها وزعموا أن هوياتها هي أبدانها لشدة الاتحاد بين النفس والبدن، ولذلك لا مانع لبعض النفوس القوية الفاضلة المستعدة للفيض القدسي والكرم السرمدى أن يحصل لها مع المبادئ العالية علاقة عظيمة لاهوتية تمحو عنها الالتفات إلى ذاتها فتشير حينئذ إلى مبادئها بأنها إشارة روحانية فتستهلك الآفات في الأنوار اللاهوتية القاهرة، فتصير المجردا⁸⁶ القاهرة مظاهر النفوس الناطقة غير متميزة عنها إلا بالشعور المستمر لذاتها وإدراكها بإشراقاتها كما كانت الأبدان مظاهر للنفوس غير متميزة عنها عند أكثر الخلق. فمرادنا بالاتحاد المذكور بين جميع المجردات هذا وما يناسبه، وذلك أن المجردات عند المواد الجسمانية مشتركة في أن الأجسام وصفاتها مسلوبة عنها، فهي غير متباينة بالأجسام ولا متماسة بالسطوح إذ هاتان الصفتان من خواص الأجسام، وكذا أمثالها من الصفات إذا كان كذلك فيكون كل واحد من المجردات في الآخر ومع الآخر وداخل في الآخر كله. بمعنى أشرف وأكرم.

(1) ممحاة من المخطوط (ن).

(2) هذه الصفحة كررت مرة أخرى في المخطوط (ن) في صفحة 84

(3) في المخطوط (س) بين النفس وبينه، وفي المخطوط (ن) بينه وبين النفس، وهي الأصح.

(4) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

فيطلق لفظ الاتحاد على هذه الحالة الروحانية لضرورة التعبير. لا أنا أؤيد بالاتحاد ما أبطلناه الآن ولا ضير ولا حجر في هذا الاصطلاح لأجل الفهم والتعليم وضيق⁸⁷ العبارة عن وجدان ألفاظ يطابق المعاني الشريفة الإلهية وأحوال المجردات النورانية، لكون الألفاظ إنما وضعها الواضع للموجودات الحسية وما يتعلق بها من الأعراض لا للجواهر الأزلية. فإذا أردنا أن نعبر عنها بعبارات وليس عندنا ألفاظ تطابقها أو تدل عليها صريحاً، نقلنا الألفاظ الموضوعية للمحسوسات إلى العقليات المحضة ونطقنا بها، فتكون الألفاظ حينئذ مجازية مستعارة ويعسر فهم ذلك المعنى من ذلك اللفظ، لكون المنقول إليه اللفظ في غاية اللطف والخفاء لا يدرك بحس ولا يعلم بحدس مجرد عن المادة. بالكلية بسيط من كل وجه والمنقول عنه بالضد من ذلك والموضوع لهم اللغة، لا خبر ولا علم عندهم بالقسم الأول ولم يتجاوزوا درجة البهائم في القسم الثاني. فلا جرم يكون فهم تلك المعاني الكريمة⁸⁸ الشريفة من تلك الألفاظ الكثيفة في غاية العسر والصعوبة. وإلى هذا أشار الكتاب الإلهي حيث يقول: "منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات". فالآيات المحكمات هي الألفاظ المطابقة لمعانيها، والمتشابهات هي المنقولة إلى غير مسمياتها وهي المجازية. وإلى هذه الصعوبة أشار المعلم الأول <أرسطو طاليس>⁽¹⁾ بقوله: "من أراد أن يشرع في علومنا فليستجد لنفسه فطرة ثانية". ويعود إلى ما كنا فيه فيقول: إن الوصول إلى مرتبة الاتحاد المذكور والانخراط في سلك الجواهر العالية ليس بسهل، بل يحتاج إلى بذل المهمة في سبيل الحق وتطهير النفس من أرجاس الطبيعة بالكلية. وتتالي الأفكار الصائبة في أسرار الموجودات وترتيبها لتحصل الحكمة الإلهية فتعود النفس بعد هذا صافية نقية⁸⁹ كأنها مرآة الوجود، وتشاهد جميع العوالم في⁽²⁾ ذاتها لا تجد شيئاً يخرج عنها، فيكون حينئذ عقلاً محضاً، وهذا لا يحصل إلا باستعمال المحبة والغلبة الذين هما مبدآن على ما رمزت الحكماء الأول على ذلك ورد المتأخرون على ظاهر أقاويلهم، إذا توهموا أنهم يريدون بذلك أنهما مبدآن عقليان فاعلان، ولم يكن ذلك مقصود القوم، بل كان مرادهم من ذلك أن الذي يريد الاتصال بالعالم العلوي من المستعدين لهذا الأمر العظيم والخطب المشكل إليهم، يجب عليه استعمال المحبة والغلبة الذين هما مبدآن وعلتان لوصوله إلى ذلك المحل الأعلى والمقام الأسمى، فتجعل المحبة متوجهة إلى جهة العلويات والغلبة على القوى البدنية الظلمانية، ويجب عليه أن يستعمل

(1) (348ق.م - 322ق.م)

(2) في المخطوط (س) إلى، وفي المخطوط (ن) في، وهي الأصح.

أولاً الغلبة حتى تغلب الشهوات البدنية ويستولي على⁹⁰ دواعي الشهوات البهيمية من الشهوة والغضب والوهم والخيال وسائر القوى، وهذه ليس إليها شيء من المحبة لأنها لا يتصور العالم النوراني المجرد لانطباعها في الأجسام. فالواجب على طالب الاتصال بالعالم الشريف الرباني اللطيف الذي كله نور وبصيص وفرح وسرور وبهاء وجمال وحسن وكمال، أن يدخل جميع القوى الظلمانية تحت قهر النفس الناطقة بحيث لا يطلق لها لا ما هو ضروري لا غير، فإذا تم الاستعلاء والاستيلاء عليها وأطاعت سلطان الأنوار المجردة (فحينئذ)⁽¹⁾ فتكون المحبة الصافية الخالصة، ومن استعمل المحبة قبل استعمال الغلبة وقع في المحاربة الصعبة الشديدة لكونه طالباً أمراً عظيماً نفيساً لطيفاً مع كثافة الحُجب التي بينه وبين تلك الأشياء، والنفس ليس بينها وبين عالمها حجاب سوى شواغل البدن⁹¹ وقواه.

[فصل—ل]⁽²⁾ واعلم أن كل واحد من المجردات عقلاً كان أو نفساً لا يتجلى لهم الباري تجلياً متساوياً، بل يختلف بحسب اختلاف مراتبهم بشدة النور وضعفه وصفاء مرآياهم والقرب (والبعد)⁽³⁾ من الحضرة الربوبية. فبقدر زيادة قوة النور يكون الكشف والرؤية والابتهاج به أعظم وأتم التذاذاً بكمال الأول عز وجل، والموصوف (بأضداد)⁽⁴⁾ هذه أقل حظاً وأنقص نصيباً؛ لأن رؤية الشيء تختلف في عالمنا هذا بحسب (اختلاف)⁽⁵⁾ حدة البصر وقوته وضعفه، فكلما كانت القوة الباصرة أشد، كانت الرؤية أتم. فكذا الحال في العالم العلوي الروحاني النوراني المحض الذي لا يشوبه ظلمة برزخية أصلاً، وكلما كان التجرد عن المادة أتم والاطلاع على أسرار هذا الوجود وحقائقه أشد، كانت مشاهداته ومكاشفاته⁹² وبهجته وعروجه وارتقاؤه أكمل وأقوى العالم الجسماني في ظل ومثال للعالم الروحاني، ولما علمت أن النفس ليست حالة في البدن ولا منطبقة فيه، بل هي متحدة به نوعاً من الاتحاد بواسطة العلاقة التي له مع الروح النوراني المبتوث في سائر البدن. إذا الشيء لا يتعلق بآخر ولا يألّفه إلا لمناسبة ومشابهة بينهما أمكنها أن تفارق البدن أحياناً من غير أن تباينه وتتصل بعالمها فيفيض العقل عليها من نوره فتتفد في ذلك النور وتتحد به حتى تأتي صافية نقية عالمة ننظر حينئذ بقوة نورها إلى جميع العوالم

(1) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(2) ممحاة من المخطوط (ن).

(3) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(4) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(5) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

فلا تجهل منها شيئاً وتكون بما اكتسبته من نور العقل نسبتها إلى العلوم الإلهية والأسرار الربانية نسبة الشمس إلى المجهولات الحسية. فكما أن النور الحسي يظهر المجهولات الحسية فكذا نور العقل يظهر (المجهولات العلمية، إذ لا معنى للعلم بالشيء إلا إشراق نور العقل على ذلك⁹³ المجهول)⁽¹⁾، فإن أشرقت على الغير ظهر ذلك الغير، وظهر الغير لها هو علمها به، ولما كان ذاتها هو نفس الإشراق غير المتناهي أفقه، كان تفتننها وملاحظتها لذلك الإشراق الوجداني الغير المتجري هو نفس ذاتها لا غير بذاتها وعلمها بذاتها ومعلومها هو ذلك الإشراق الروحاني الذي لا يزيد على نفس الظهور الدائم والعلم المستمر القائم، فهي بسيط مطلق لا تركيب فيها بوجه من الوجوه ووحدة صرف لا تعدد ولا تغاير ولا اختلاف فيها أصلاً، بل هي شيء واحد ونور واحد قائم لا في أين، لا لون لها ولا شكل ولا مقدار، وهذا الجوهر أظهر الأشياء وإجلالها، لكون المجهولات إنما تصير معلومة بضرب من الظهور، وإن لم تكن في ذاتها ظاهرة فما ظنك بذات نفسها⁽²⁾ وهو ظهور وعلم ونور وإشراق ولولا تشويشات المتخيلة وقوة سلطانها وكونها⁹⁴ بطبعها منكرة للمجردات. لقد كانت معرفة هذا الجوهر من أول الأوائل، على أنه إن كان في النفس حكمة وذكاء فمعرفته بديهية أيضاً، وأنت فقد علمت أن الموجب للتكثر إنما هو للمادة الجسمانية وكذا القسمة وسائر عوارض الجسم والمجرد عن المادة بالكلية لا يعرض له تكثر ولا قسمة ولا شيء مما يعرض المادة فتكون وجوداً محضاً ونوراً (واحدًا)⁽³⁾ محضاً غير زائد على نفس العلم، وكلما قويت النفس (الناطقة)⁽⁴⁾، (كان اتحادها بالمجردات الدائمة أتم وأكمل، وقوة النفس)⁽⁵⁾ إنما هو لشدة نورها وقوة ظهورها وهو عبارة عن العلم والحكمة والمعرفة والولاية وغيره من الألفاظ الواردة في هذا المعنى عند إشراق نوره على الموجودات الأزلية، وكلما أشد الاتحاد بسبب شدة النور خلفت التكثر والاختلاف خلفك لأنك ثابت قائم على حالة واحدة بسيط محض عقلي لا تقع تحت⁹⁵ الزمان والحركات والإشارات الحسية، لكن يشار إليه بصريح العقل والعرفان، وهو يبصر عالم العقل كما أن هذه العين (تبصر)⁽⁶⁾ عالم الحس، إلا أن هذه الجارحة لا تتال إلا ما قرب منها إلا ما بعده وأن لا يكون المرء محجوباً وأن لا يكون مشيقاً. والبصر

(1) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(2) في المخطوط (س) وجهها، وفي المخطوط (ن) نفسها، وهي الأصح.

(3) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(4) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(5) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(6) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

العقلي لا يختلف رؤيته للأشياء (بالقرب والبُعد ولا بحجبه سماء أو أرض ولا عقل، بل يرى الأشياء على حالة واحدة لكونه)⁽¹⁾ لا جهة ولا بُعد لهما ونسبة جميع الأمكنة إليه بالسوية كيف لا يكون كذلك والظهور المحض غير المتناهي ذاته والإظهار صفته وهو النورية المطلقة الروحانية، ولا يتصور غيبوبة الإنسان عن ذاته وحقيقتها نفس النورية والظهور لا حقيقة لها غير ذلك. فأنى يغيب الإنسان عن الظهور الذي هو نفس الذات والإدراك، وإذا أطلقنا لفظة الغيبة في قولنا⁹⁶ إنك لا تغيب عن ذاتك، أردنا أن ذاتك ظاهرة لذاتك بنفس ظهورها لا بظهور آخر، وهو الشعور والعلم والمعرفة فالحاصل أن الحيرة (تقع)⁽²⁾ كثيراً في هذا الإدراك لاتحاد دلالة الأسماء التي تدل على مسميات كثيرة متباينة عليها؛ لأنه إذا كان الظهور والنورية نفس حقيقتها فهي نفس الإدراك والشعور، وهو (عبارة عن عدم الغيبة وعن العلم والمعرفة، ولذلك عقلك لذاتك عبارة عن ملاحظة ذلك الظهور)⁽³⁾ المستمر الدائم إشراقه الثابت أنواره، والغيبة عن الشيء إنما تكون لخفائه وظلمته عند ذاته وذلك إما أن يكون لكون تلك الذات غير ظاهرة أصلاً كالجسم وعوارضه الظلمانية فلا يتصور ظهور ذاته لذاته، وإما أن يكون لكون الشيء ظاهراً منوراً في ذاته، لكنه لنقص في جوهره غير ظاهر لذاته ولا عند ذاته، وذلك كالنور العارض. ففي هذين القسمين⁹⁷ يتصور الغيبة عن ذاته ولذاته، وإذا غاب عن ذاته غاب عن غيره؛ لأن ظهور الشيء للشيء فرع على ظهور ذاته لذاته، وأما النور المحض الإنساني الذي ليس فيه شيء غير نفس الظهور النوراني والهواء المحض الروحاني والمعنى الصرف الرباني وحقيقته محض المعنى الحضورى فلا يمكن الغيبة عنه أصلاً أي لا يمكن أن تغيب ذاته لذاته ولا عند ذاته، أي لا يكون له ظهور إذ بينا أن عدم الغيبة عبارة عن الظهور ولو أمكن (ذلك لأمكن)⁽⁴⁾ عدم النفس وفسادها لكونها نفس الظهور لا غير؛ إذا العالم والمعلوم والعلم في هذه المسألة واحد، فعلم أن النفس الناطقة المعبر عنها بالصفاء المطلق والإيضاح والإشراق العام، لو تصور عليها الغيبة عن ذاتها والشعور أو أنها لا تدرك ذاتها طرفة عين، فلم تكن ذاتها نفس الظهور الذي هو الإدراك والشعور والتعقل وعدم الغيبة وغيرها من لوازم ذاته غير المنفكة عنه⁹⁸ أبداً، وكذا لو تصور الغيبة وعدم الإدراك أن ما لزم من ذلك عدمها وفسادها وموتها ضرورة كون الإدراك والشعور نفس

(1) ذكر في المخطوط (ن) فقط.

(2) في المخطوط (ن) تعرض، وفي المخطوط (س) تقع، وهي الأصح.

(3) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(4) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

الظهور والنورية لا غير وهو نفس ذاتها؛ لأنك قد علمت أن إدراكك لذاتك إنما هو بنفس ذاتك لا بشيء يزيد عليها من صورة أو شبح أو مثال، والغيبية أو عدم الإدراك يوجب أن لا يكون حينئذ ظاهراً لذاته ويلزم من عدم ظهوره لذاته أن لا يكون الظهور الذي هو حقيقة النفس موجوداً، (إذ لو كان موجوداً)⁽¹⁾ لما أنتقى لازمة الذي هو الإظهار، بل لما أنتقى ذاته، أعني الظهور والإدراك وغيرهما. لكننا سنبين بالبرهان القاطع أن هذا الجوهر الإنساني لا يقبل الدثور والفساد أصلاً ورأساً؛ لأن موته وفساده عبارة عن خفائه، وكيف يخفى ما هو في حد ذاته وفي حقيقة جوهره نور وظهور، وبالنور يظهر كل شيء فيلزم من هذا أن يكون خفاؤه وغيبته محالاً⁹⁹ فيكون ظهوره وإدراكه لذاته وعدم فساده أبدياً سرمدياً، ويجب أن تعلم أن صورة النفس بسيطة روحانية ظاهرة على العالم الجسماني ظهوراً أتم وأكرم من ظهور الشمس عليه لكون الظهور الشمسي ضعيفاً من جهة عرضية، والظهور النفسي ظهور محض جوهري ولشدة إشراقه وقوة بروقه ودوام ظهوره واستيلائه على الأجسام وإشراقه عليها بواسطة البصر الحسي، توهم الإنسان نفسه خفية غير ظاهرة، وأنه لولا البدن الظلماني لما كان له وجود وظهور؛ وذلك لجهل الخلق وعدم شعورهم بالأمور الشريفة العقلية وخلو نفوسهم عن العلوم الحكيمة الذي هو في التحقيق نورها وغاؤها واشتغالهم بملاذ الدنيا الخسيسة المعمية للنفس عن ذاتها، ولما كان بين النفس والبدن اتحاد ما بسبب التعلق والربط، وهذا الاتحاد قد يكون متصلاً قوياً وقد يكون منفصلاً ضعيفاً فيكون النفس¹⁰⁰ لها مع البدن حالتان: حالة روحانية شريفة، وحالة جسمانية كثيفة. أما الروحانية فهي حالة تظهر النفس على بدنها وغير بدنها ظهوراً تاماً بحيث يصير الجسم لا اعتبار له فيستولي نور الشمس على عالم الأجسام والاستيلاء عبارة عن شدة ظهوره لذاته (وظهور غيره)⁽²⁾، له فيشاهد في هذه الحالة تجرد ذاته وكيف هو صورة عقلية لا نهاية لها غير محيط به شيء من الأجسام، بل هو محيط بالكل، والكل بالنسبة إليه كأنه ذرة من الذرات ويعجز النطق أن يصف هذا الجوهر ببيان، بل لا يدرك إلا بالأعيان ومن تيسر له الوصول إلى هذه المرتبة فقد فاز فوزاً عظيماً، والحالة الأخرى الجسمانية ظهور البدن على النفس كما أراه في كل الخلق إلا من شاء الله تعالى في النواذر حتى تصير النفس في هذه الحالة كأنه ليس لها وجود وظهور، وليس هناك البنية المحسوسة فيغيب¹⁰¹ حينئذ نور الشمس ويستولي القوى الظلمانية فلا يرى وجوداً وظهوراً إلا للجسم. واعلم أن النفس تظهر وتقوى نوريتها وبسطها بقدر علمها وضعف علاقتها مع البدن وصحة علمها بذاتها

(1) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(2) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

وبالأمور المفارقة، وموتها وخفاؤها وظلمتها بأضداد هذه فترى ذا العلاقة القوية مع الأجسام لا سيما مع استيلاء الجهالات والضلالات لا يزيد ظهوره على مقدار قلبه، ولا يتقطن لما يخرج عن بدنه وقد انحبس في ظلماته وعمى عن معرفة ذاته، وترى النفس الشريفة الكريمة النورانية الموصوفة بالحكمة والمفارقة والاستبصار شديد الفسحة والفضاء، لا تحتبس بالعلاقة الضعيفة البدنية، والبدن وإن كان مظهرًا لها لكنها لقوتها لا تتحبس فيه ولا تضيق بضيقه، لكن قد يعرض لها في بعض الأحوال أنها تظهر في البدن أي لا ينظر إلى بسطها وفسحتها ولا إلى غيره. فتكون¹⁰² في هذه الحالة ضيقة الأرجاء وتارة يشد ظهورها فتلاحظ عالم الأجسام فيصير الفلك الأعظم وما يشتمل عليه مظهر ولباس له، وهي حالة شريفة، وتارة يتطهر من دنس الأجسام (بالكلية)⁽¹⁾، فيترك عالم الأجسام وتستقل بذاتها فتتخرط في (فلك)⁽²⁾ المجردات العقلية، وهذه أشرف الحالات وأتمها وأعظمها، وإنما قويت النفس على هذه الأفعال لكونها في حقيقة ذاتها مفارقة للبدن ولغيره من الأجسام ليتجزأ منه ولا حالة فيه، إلا أنها لها خصوصية إشراق عليه وتدبير فقط، وهي قائمة بذاتها مستقلة بحقيقتها قادرة على الطيران في الفضاء الأزلي والسياحة في النور السرمدي متى شاءت وكيف شاءت، والتلبس بأي لباس أرادت وبأي صفة اختارت لأنها بسيطة صافية روحانية نقية من جميع الأدناس الجسمانية والتعلقات¹⁰³(3) الظلمانية، مقدسة عن أن يحل فيها شيء إذ ذلك من خواص المادة وهي غير مادية أو تحل هي في شيء إذا ليست هيئة فتكون من توابع الأجسام ولوازمها نسبتها إلى البدن كنسبة الطائر إلى عشه، لكن إذا كانت تامة العلاقة والشوق إلى البدن فتكون نسبتها إليه كنسبة الفرخ الضعيف عن الطيران إلى عشه، وإن كان بالعكس فبالعكس. وعجائب هذا الجوهر ولطائفه كثيرة خارجة عن العد والإحصاء، وما ذكرناه نموذج من غرائبها ومحاسنها، والنفس الكاملة النورانية يشرق نورها على الصنم الذي لها فيمتلئ نورًا وروحانية حتى أنه ربما سطع نوره، والعقل والنفس إذا وجدا قابلاً من الأبدان أفاضوا عليه من ذلك الجمال والحسن والكمال ونقشوا فيه من مناسبات عالم العقل، وما تقتضيه النسبة العقلية والوضعية من الكواكب حتى تصوير¹⁰⁴ الصورة فتنة في العالم السفلي وتحرير الحواس عند مشاهدتها، وهذه الصورة متصلة بالصورة العقلية لا فضل بينهما إلا بالجرم المادي، وهذا يصح عند التوهم والتخيل. ففي التحقيق كل جمال وكمال وحسن في عالمنا هذا فهو ظل وأثر ورشح وروائح لما في العالم

(1) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(2) في المخطوط (ن) سلك، وفي المخطوط (س) فلك، وهي الأصح.

(3) في المخطوط (س) التكلفات، وفي المخطوط (ن) التعلقات، وهي الأصح.

العلوي العقلي النوري، وميل النفس إلى هذا الجمال والحسن الذي عندنا إنما كان طبيعياً جلياً لها لكونها بالطبع ميالة إلى وطنها ومركزها وعاشقة لما هناك من الكمال العقلي، إلا أن الانهماك والانغماس في الأمور البدنية المادية الكثيفة أنساها وأذهلها عن الأمور الروحانية اللطيفة؛ فعميت عن الشوق إلى عالمها وما أعد (الله)⁽¹⁾ لها من اللذات والسرور والحسن المناسب لجوهرها، فإذا شاهدت الحسن الذي في العالم الحسي مالت إليه وحبته؛ لأنه أثر وظل للعالم المناسب لها، فميلها في¹⁰⁵ التحقيق إنما هو إلى الجمال العقلي، إلا أنه ربما شاركها في هذا الميل والشوق القوى البدنية الظلمانية، فانفسد الحال وخرج الشوق والعشق والميل عن الروحانية إلى الجسمانية المذمومة، وهذا محل نظر يحتاج فيه إلى عقل تام وعلم كامل وقوة إلهية حتى يميز به ويفرق بين الميل الروحاني الصرف الذي لا يشوبه شيء من الأمور البدنية وبين الشيطاني المحض والمشوب بالرحماني، لكن الشيطاني أغلب حتى يطلق عنانه في الأول ويقبضه عن الثاني. فقد ذوق أكثر من يدعي السلوك إلى الله تعالى في هذا الزمان في محنة عظيمة وضلال مبين أعادنا الله من ذلك فاعتبره، والنفس الناطقة إذا استعلت على الجسم غاصت النفس في نور العقل، والعقل في نور الأنوار، وإن كان الاستعلاء للبدن غاصت النفس وغابت في البدن حتى عدم خاصيتها، أعني الظهور والإظهار فتكون كأنها معدومة¹⁰⁶ لا قسط لها من الوجود إلا ما للبهيمة المربوطة لا غير.

[فصل] (2) واعلم أن ذات النفس إنما خفيت على ذاتها ولم يتقطن لظهور ذاتها لذاتها، وهي نفس الظهور والإشراق الذي لا يمكن أن يخفى وأن يغيب عن ذاته لكون الحجاب المانع للشيء عن رؤية الشيء وعلمه به. إما أن يكون أمراً كيقاً جسمانياً فيمنعه عن رؤيته ومشاهدته كالأجسام التي يحجب بعضها بعضاً عن أن ينالها القوة الباصرة⁽³⁾، وإما أن يكون ليس بين الباصر والمبصر حجاب من هذا القبيل، لكن الحجاب على نوع آخر غير النحو المذكور وهذا كالنفس الناطقة بالنسبة إلى رؤية المجردات الروحانية؛ فإنه ليس بين النفس والمجردات حجاب بالمعنى الأول، لكن الحجاب الذي بينها وبينهم إنما هو اشتغالها بالأمور البدنية واستغراقها دائماً بالصور الواردة عليها من الحواس الظاهرة والباطنة وانفعالها عند الشهوة¹⁰⁷ والغضب واستعمالها المفكرة والمتخيلة في تلك الصور والتصرف فيها بالتركيب تارة

(1) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(2) ممحاة من المخطوط (ن).

(3) في المخطوط (س) البصرية، وفي المخطوط (ن) الباصرة، وهي الأصح.

والتحليل أخرى، وكذا تركيب المعاني بالمعاني، والمعاني بالصور بعضها ببعض؛ إما لحاجتها إلى ذلك في استخراج المجهولات على ما قيل أن مبادئ علومها مأخوذة من الحس، وإما أن النفس معطلة عن تحصيل العلوم فتسلم زمامها إلى المتخيلة الشيطانية كما في النوم أو عند عدم الفكر؛ فتركب المتخيلة فتفصل أمورًا عجيبة أكثرها لا حاصل لها؛ لأن طبيعتها تقتضي عدم الفتور عن الحركة، فحجاب النفس عن العالم العلوي إنما هو لاشتغالها بهذه الأمور التي هي مستمرة دائمة للنفس بلا انقطاع ولا سكون لها، والذي يؤيد هذا أن البصر قد يكون في مقابلة الشيء فلا تبصره لاشتغال النفس بهم آخر يمنعها عن التفاتها إلى المبصر. فعند عدم الالتفات لا رؤية ولا علم. فعلم من هذا¹⁰⁸ أن الشواغل حجاب عظيم مانع لها عن مشاهدة المجردات وهذه الأمور بعينها، أعني الشواغل البدنية حجاب للنفس عن ذاتها وعن معرفة ذاتها لكونها دائمًا لا تخلو من ملاحظة صورة خيالية أو تركيبها أو تفصيلها أو انفعال يحصل لها بهذا السبب فلا تتفرغ لملاحظة ذاتها ومعرفتها بحقيقة جوهرها لقوة استغراقها ودوام انهماكها في ذلك، ولما كان حقيقتها نفس الظهور والصفاء، وهي لطيفة روحانية ومعنى محض كلي مسلوب عنها الجسم وجميع عوارضه، وكان اشتغالها بالصور الخيالية وبالجملات الصور الحسية الكثيفة؛ عائقًا لها عن معرفة ذاتها التي هي غاية في اللطف، ومن شأن الكثيف عند تعلق اللطيف به أن يخفيه. وبغيبته عن ذاته لكونه مشغولًا عن ملاحظة ظهوره بظهور شيء آخر عنده؛ فظهور غيري عنده لما كان من¹⁰⁹ لوازم هذا الجوهر في أغلب الأوقات، فكيف يتفرغ، ومتى يتقطن لمعرفة ذاته وظهوره، وقد حجبته عن مشاهدة ظهوره ظهور غيره، وصار ملاحظة الشيء الذي ظهر عنده مانعًا له عن شعوره بظهوره، وقد يتفق لبعض الناس في بعض الأحيان أن يخلص عن شغل التخييل الكثير التشويش الذي نسبته إليه نسبة عارض جيش، وهو دائمًا يعرض عليه الجيوش والعساكر والصور المختلفة والتركيب والتفصيل والحيثيات التي بين تلك الأمور، فلا يمكنه لكثرة اشتغاله أن يلمح ذاته طرفة عين. فعند تخلصه منه تلج ذاته ويشاهدها ضرورة ارتفاع الحجاب المانع له عن مشاهدة ذاته، لكنه لشدة لطفه وقوة ظهوره وتمازج نوريته ووحدته وبساطته لا يتقطن له أكثر الخلق ولا يدرون أي حالة هي هذه¹¹⁰ الحالة المذكورة، ولكون النفس ألفت واشتغلت في جميع الأحوال والأوقات بمعرفة المركبات من الأجسام ولوازمها، فهي لا يتصور شيء مما في عالم الأجسام إلا متجذرًا متكثّرًا مؤلفًا، وذاتها منزّهة عن هذه الصفات فلا جرم عند ظهور ذاتها لذاتها كما عند الدوران الكبير في السماع، أو عند جريان الخيل في الميدان، وعند التقاء الصفيين في القتال، وعند ورود حيرة أو دهشة عظيمة كما عند سماع لها أصوات الهائلة وغيرها، وعند أكل بعض المخدرات من الأدوية.

ومعلق لا حاجة له إلى الأجسام في دوامه ولا في ثباته، ولو فرضنا عدم الكثرة الفلكية وما في مقرها لم يقدح ذلك في وجودها؛ فهي وسائر المجردات المعنوية غير متصلة بالأجسام اتصال ما شيء¹¹⁴، ولا منفصلة انفصال خروج وتباين. إذ هما يقالان على الأجسام وكل ما يقال على الأجسام فهو مسلوب عن المعاني العقلية القائمة بذاتها. فإن الأجسام وإن اختلفت جواهرها إلا أنها مشتركة في أنها مركبة من المادة والصورة والمعاني النورانية البسيطة، واحدة من كل الوجوه والأجسام، توصف بالأعراض، وهي محلها ولولاها لما تخصصت بالوجود، ولا كذلك النفس فإنها معنى شعاعي محض لا يمكن أن يحلها شيء من الأعراض والهيئات ولا شيء مما يمكن أن يتكرر بسببه. وقد ذكرنا مراراً عدة أن اكتف الحجب المعمية للنفس عن ذاتها إنما هو المتخيلة لتخيل الصور تارة والمعاني أخرى، والتفصيل والتركيب بينهما أخرى، وعرضها جميع ذلك على النفس (دائماً لا يغيره نوماً ولا يقظة، فيشغل النفس)⁽¹⁾ عن مطالعة¹¹⁵ ذاتها بمطالعة ما تعرضه المتخيلة، فيكون ذلك حجاباً لذاتها عن ذاتها، ولا تحجب ذاتها عن حقيقة ذاتها، أعني عن الظهور؛ إذ الظهور لا يحجبه شيء عن ظهوره، ولكنه تحجبه عن النطق والشعور للشعور لا غير، لأجل الاستغراق بالغير فلا يلتفت إلى النطق لظهورها الواضح الإشراق لدقته ولطفه، وكون النفس ألفت بواسطة القوى البدنية الظهور والنور والإشراق الجسماني فيصعب عليها إدراك الروحاني أو المعنوي. وإذا بينا أنه لا حقيقة لها وراء الظهور والنورية المطلقة، فلا يلتفت بعد هذا إلى تصورات المتخيلة وهذياناتها وما تركبه وتفصله وتعرضه على النفس زاعمة أنها حقيقة النفس؛ فإنها لقوة شيطانها لا يخليك والاقتصار على حقيقة الذات، بل من ذاتها أن تشوش وتدخل على الإدراك الفصيح شيئاً من الأمور الجسمانية الفاسدة والهيئات¹¹⁶ الظلمانية الخارجة عن حقيقة النفس ولا تزال كذلك تحيط وتحير حتى تعمى النفس عن ذاتها وتتقاد بحكم الوهم إن كانت ضعيفة حتى توافقه في أن النفس إما جسم أو أمر يتعلق بالأجسام، وأن لها قوة ما فتعلم من جهة النظر الصحيح أنها خارجة عن الأجسام وتوابعها والمتخيلة والوهم لا تحليلها أن تدركها ذاتها لكثرة التشويشات فتعجز عن إدراك حقيقتها {لذلك وتتحير}⁽²⁾ حيرة عظيمة، إلا أنها لا تنتقاد لأحكامه من القول بالجسمية {وغيره وهذا كله}⁽³⁾ إنما كان لشدة استيلاء المتخيلة على النفس

(1) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(2) مطموسة من المخطوط (س).

(3) مطموسة من المخطوط (س).

وألف النفس {أحكامها من حيث الطفولية}⁽¹⁾ إلى أن يمضي أكثر العمر، وذلك لا يزول إلا {برياضيات صعبة}⁽²⁾ وخلوات كثيرة وتجرد تام. (وينبغي)⁽³⁾ أن تعلم معرفة {النفس}⁽⁴⁾ الناطقة عسر من وجه وسهل من وجه. أما وجه العسر {فلقدرة النفس¹¹⁷ وقلة}⁽⁵⁾ استعدادها وكثرة شواغلها وطلبها لذاتها بالنور البدني المنطبع في المادة المتناهي الذات والقوة العاجزة بطبعه عن إدراك النور المجرد غير المتناهي (الذات والقوة وكيف يتصور إحاطة النور المنطبع في مقدار جرمي متناهي بالنور غير المتناهي)⁽⁶⁾. وإما سهولة معرفتها فبأن تكون النفس في أصل الفطرة صافية نقية قوية الاستعداد ويكون طلبها لذاتها بنفس ذاتها {لا يستعين بشيء من}⁽⁷⁾ القوى الجرمية أصلاً في معرفة ذاتها، بل المحض العقل المجرد {من جميع الغواشي}⁽⁸⁾ الغريبة مع قطع النظر عن الأجسام والجسمانيات، فإن تيسر لها المعرفة فقد حصل المقصود الأعظم وإلا فيمكنها أن تتوهم ذاتها مجردة في هواء طلق وفضاء صرف لا نهاية له، مفارقة لما عدا ذاتها من الأجسام {فالذي لا يمكن أن}⁽⁹⁾ تغيب عنه وتغفل بعد¹¹⁸ هذا الغرض هو حقيقة ذاتها وعين ماهيتها وهو النورية المحضة والنارية المعنوية الصرفة وهذا النور لا تعدد فيه ولا تكثر ولا تفرق كما قد يعرض ذلك في النور الجرمي الشمسي وغيره من تكثره وتبدده على الأجسام المشرق عليها وتعدده بتعددها. فإن ذلك جاز عليها لانطباعه ونقصه بالعرضية بخلاف هذا النور المجرد النفس، فإنه معنى من المعاني الإلهية غير المحتاج إلى حامل ومكان، بل هو معنى واحد بسيط لا كالأجسام البسيطة الفلكية أو العنصرية، لكنه بسيط عقلي معنوي غير محسوس بشيء من الحواس الكثيفة فالمعقولات هي المعاني اللطيفة المدركة بالمعنى المجرد، إذ المعنى المحض لا يناله ولا يعرفه إلا معنى يناسبه. وأما المحسوسات فإنها لا تتال¹¹⁹ ولا تدرك إلا بالحواس المجسمة المناسبة لها، وقد استبان من هذا البحث التام والتفتيش

(1) مطموسة من المخطوط (س).

(2) مطموسة من المخطوط (س).

(3) (.....) مكان فارغ في المخطوط (س).

(4) مطموسة من المخطوط (س).

(5) مطموسة من المخطوط (س).

(6) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(7) مطموسة من المخطوط (س).

(8) مطموسة من المخطوط (س).

(9) مطموسة من المخطوط (س).

المستقصي أن تصور حذف الأجسام وتوهم عدمها لا يبقى إلا الظهور المحض والنورية الكلية المطلقة لا غير، وهو النفس الناطقة وطريق معرفة هذا الجوهر إنما هو بالرياضة والتجريد وكثرة الذكر والفكر في الأمور المجردة الروحانية ولا سبيل إلى معرفة بطريق النظر الفكري وترتيب المقدمات لكونه محوًا إلى استعمال القوى البدنية العاجزة عن إدراك الأنوار المجردة العقلية، بل الطريق المؤدي إلى مشاهدته إنما هو الرصد الروحاني وإضعاف الحس الجسماني ولا ينبغي لك أن تطلب معرفته من أول وهلة فتضل عنه؛ لأنك إن طلبته بالقوى فقد بينا مرارًا كثيرة استحالتة، وإن طلبته بذاته فالتألم¹²⁰ هو المطلوب فتقع الحيرة في الإدراك ويصير الطلب حجاب معرفته، لكن يجب عليك أن تشتغل بأسباب (ظهوره)⁽¹⁾ وخلاته من الخبائث المانعة عن إدراكه واستيلاء جوهر النفس على القوة المتخيلة ويكون أكثر ذكرك وفكرك ملاحظة الصفاء والظهور الذي يتخيل (كأنه)⁽²⁾ بين عينيك غير ملتفت إلى الأجسام حتى جسمك. فإذا استمرت هذه الحالة زمنيًا فلا بد من أن يشتد ظهورك ويقوى نورك حتى تدرك ذاتك وتتجلى ذاتك لذاتك، واحذر أن تطلب ذاتك بشيء يخرج عن ذاتك ويزيد عليها فأكثر الناس إنما وقعوا في الحرمان الأبدي وتاهوا عن معرفتها بسبب ذلك، ومثال من يطلب ذاته بغير ذاته بل بشيء خارج عنه مكن معه جوهر نفيس كريم، وهو أقرب الأشياء منه¹²¹، وهو ضالته وطلبته، ولا يدري أين هو ولا قربه منه فيطلبه من موضع بعيد ويأخذ عالم خفي، ولو طلبه من القرب الأقرب لظفر به. وقد علمت أن النفس الناطقة غير منطبعة في البدن ولا محاط به ولا بشيء من الأجرام العلوية والسفلية ولا جزء من أجزاء البدن (بل هو)⁽³⁾ جوهر مجرد روحاني نوراني (هو)⁽⁴⁾ مباين لجميع الأجسام والجسمانيات مفارق لما تشتمل عليه الكثرة الفلكية متصل بعالمه الربوبي، إلا أنه مع اتصافه بهذه الأوصاف الشريفة الكريمة له تعلق وتدبير لهذا البدن الكثيف لكونه آلة له في تحصيل كمالاته العقلية، وتلك العلاقة عبارة عن إضافة ما للنفس إلى البدن باطلاعه وإشراقه عليه دائماً واستعمال القوى التي فيه عند مآربه وحاجاته ليس إلا، وإذا ورجع حاصل العلاقة¹²² التي له مع البدن إلى الإضافة، والإضافة أضعف الأعراض الجسمانية وكان قد تبين لك من القواعد المقدرة الصحيحة السالفة. إن هذا الجوهر هو نفس الظهور والنورية المحضة لا غير فيلزم

(1) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(2) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(3) في المخطوط (ن) بالجملة، وفي المخطوط (س) بل هو، وهي الأصح.

(4) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

من هذا أن يكون استعمال القوى البدنية عبارة عن اتصال النفس بالبدن، وذلك أيضًا حقيقة تعلقها به ونفس التدبير، وليس هذا الاتصال والتدبير كاتصال الأجسام بعضها ببعض وتدبير اليد بالقدم، بل على ما يليق بحال المجردات غير المادية، فإذا لم تستعمل البدن وقواه فهي في هذه الحالة مفارقة لعالم الأجسام⁽¹⁾ قائمة بذاتها مباينة لجميع المواد الجسمانية فأى أن خطر. لكن التجرد عن البدن والأجسام بأسرها أو عرض لك شوق إلى معرفة نفسك فاستحضر في نفسك هذه المقدمات المذكورة¹²³، واقطع النظر عن الحواس الظاهرة، ولا تستعمل القوة الفكرية⁽²⁾، وانسل بحيلة ولطف عن الصور الخيالية والوهمية وإدراك ما بقي بعد هذا العمل، واحفظ فهو نفسك الناطقة النورانية. وفي هذه الحالة تكون مجردًا عن العلائق البدنية، وإذا اعتبرت واستبصرت لا تجد يبقى بعد تعطيل القوى وطرده الصور الخيالية إلا ذاتًا واحدًا نورانية وحقيقية بسيطة روحانية لا كثرة فيها بوجه من الوجوه أصلًا ولا امتداد ولا جهة ولا مقدار ولا شكل ولا لون جسماني، بل هي معنى عقلي لا يزيد على نفس الظهور والإشراق؛ لأن الذي يبقى بعد طرد الصور الخيالية وتصور الخروج عن الكرة الفلكية وما فيها (من الأجسام)⁽³⁾ وتخيل عن جميع العالم الجزئي وأجزائه وذهابه عن إشراق النفس¹²⁴ عليه (ليس)⁽⁴⁾ جزءًا من شيء ولا قائمًا بشيء ولا ناظرًا إلى شيء ولا مشرقًا عليه⁽⁵⁾ شيء، بل هو نفس الإشراق الذي هو نفس الصفا والإدراك، ولك حالة أخرى شريفة أنك لا تقطع نظرك عن الكرة الجسمية بالكلية، بل تنظر إلى ذاتك وتتصور الكرة الجسمية وتتوهم نفسك المقدسة نافذة من أقطارها، أعني أقطار السموات والأرض، وأكثر نظرك وتحديقك إلى ذاتك؛ فإن دامت لك هذه الحالة زمانًا فتمحق الكرة الجسمانية وتشتد وتقوى ذاتك النورانية المحضة حتى تستهلك الفلك وما في ضمنه في نور هذا الجوهر المقدس، حتى أنه لا يبقى في الوجود عند قطع (النظر)⁽⁶⁾ عما فوقه من الذرات (المطهرة)⁽⁷⁾، إلا هذه الذات التي هي الوجود المحض ونفس الظهور الصرف؛ لأن

(1) في المخطوط (س) الجسد، وفي المخطوط (ن) الأجسام، وهي الأصح.

(2) في المخطوط (س) المفكرة، وفي المخطوط (ن) الفكرية، وهي الأصح.

(3) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(4) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(5) ذكرت في المخطوط (س) على، وفي المخطوط (ن) عليه، وهي الأصح.

(6) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(7) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

الوجود والظهور جزآن لها، وزائدان عليها¹²⁵ بل هي نفس الوجود الصرف وعند هذا إن شئت فافقاً كل شيء هالك إلا وجهه، جلت عظمة مبدعه ومفيضه، لا إله إلا هو له الحكم واليه ترجعون.

[قــــــــــــــل]^(١) واعلم أن النور الشمسي مع ضعفه وعرضيته إذا وقع على شيء ثقيل، كالبلور وغيره غيب الشعاع، (كون ذلك)^(٢) الجوهر حتى لا يبقى إلا شعاع النور الشمسي فبطريق الأولى أن النفس إذا كانت قوية النور شديدة القوة الروحانية، أي وقت أرادت غابت عن الأجسام ونفذ نورها في جميع العوالم حتى لا يحويه شيء من الأجسام ولا يحيط به قطر من الأقطار، ويكون العالم^(٣) الجسماني في حكمه حكم الجواهر التي غاب لونها واستهلكت في النور الشمسي، فإنه غاب واستهلك في النور النفسي^(٤) الظهور وفي هلاكه عبارة عن الغيبة عنه، والغيبة عبارة عن قطع النظر عنه وعدم تصويره.

فالنفس متى لم تتصور¹²⁶ الشيء فهي غائبة عنه ومفارقة له؛ لكونها غير منطبعة في شيء ولا جزءاً من شيء، وهكذا إذا لم تتصور البدن ولم تستعمل قواه، فهي مفارقة وغائبة عنه. إذا كان الموجب لربطها في الأجسام وتعلقها به^(٥) هو هذا القدر، (فإذا قطعت النظر عن هذا القدر)^(٦) فقد فارقت وتجردت ونظرت إلى قيامها بذاتها واستغنائها عما عداها وصفاء نوريته عند حلول شيء من المقولات المادية فيها واتصافها بها. وأنت قد علمت المحدد للجهات، أعني الفلك الأعلى المحيط بالعالم الجسماني بأسره ولا مكان له وإن كان له وضع، فإذا أخذت مجموع الأجسام من حيث إنه مجموع محيط به البرزخ الأول لم يكن له مكان ولا حيز أيضاً؛ إذا المكان هو السطح الباطن للجسم الحاوي للممارس للسطح الظاهر بين المحوي والفلك الأعلى، ليس فوقه شيء من الأجسام حتى يلزم أن يتصف بالمكان، فإذا رأيت البيضة الجسمية¹²⁷ معلقة بالقدرة الأزلية بلا مكان ولا حيز، فلا تتعجب بعد ذلك من قيام النفس وجميع المفارقات بذاتها ومفارقتها لجميع الأجسام واستغنائها عن المكان والزمان وعدم حلولها في شيء أو حلول شيء فيها. واخرج نفسك عن عالم الأجسام عند إرادة التجرد عن المكان والأجسام ليخرج البيضة عن

(1) ممحاة من المخطوط (ن) فقط.

(2) في المخطوط (ن) لون تلك، وفي المخطوط (س) كون ذلك، وهي الأصح.

(3) في المخطوط (س) الحاكم، وفي المخطوط (ن) العالم، وهي الأصح.

(4) في المخطوط (س) الشمسي، وفي المخطوط (ن) النفسي، وهي الأصح.

(5) في المخطوط (س) تعلقاتها، وفي المخطوط (ن) تعلقها به، وهي الأصح.

(6) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

المكان والأجسام وستوهم نفسك محيطة بها، فتجدها كالدرة فيها ولو توهمت⁽¹⁾ كرات لا نهاية لها مقدار كل كرة كمقدار هذا العالم لوجدت النفس تتسع لجميع ذلك لا تضيق عن شيء منه أصلاً، بل تحيط به إحاطة تامة. فتعلم أن الذي يحوي ذلك كله غير متناه ولا متقدر ولا متشكل (ولا متمثل)⁽²⁾، ومما يعين على إدراك النفس ذاتها أن تشغل⁽³⁾ المتخيلة عند إرادة الإدراك بشيء⁽⁴⁾ مناسب للمعنى القدسي، وتكون النفس حينئذ كالمراقب¹²⁸ المختلس المستنظر للفرصة ثم تسلب نفسك فيها وتسرقها سرقة لطيفة بحيث تخفي عنها وعن البدن بالكلية. فإن تيسرت هذه الحالة وهي بعد ذاهلة مشغولة أو منقطعة الأثر عند هزيمة النفس عنها بحيائها بها، فقد تم لها إدراك ذاتها، فإن تفتنت المتخيلة لهذا الفعل وتبعت على الأثر فبقدر تراخي الزمان وقوة الإتيان وقوة النفس وضعفها وممارستها لهذه الأمور تترك ذاتها مشوبة بالأحوال البدنية ومختلطة بالأمور الجسمانية إشابة تامة أو ناقصة، بحسب ذلك يختلف إدراكها لذاتها. وهذه الحالات والمقامات وما ذكرناه من البحوث وأشرنا إليه من الرموز وإن كانت جليلة شريفة وهو نهاية ما يمكن أن يشار إليه من علم المكاشفة وغاية ما يمكن أن يشار إليه من علم المكاشفة وغاية ما يمكن أن يلوح إليه ويصرح به من علم المشاهدة والمعانية، إلا أننا إذا أوردنا بعضها وكسوناها بالأمثال والرموز على قدر عماك، عساك⁽⁵⁾ تتفطن منه بصريح الحق، وإلا فوراء ذلك عجائب لا يحيط به بيان ولا يعبر عنه لسان ولا يسطره بنان. كما قال، صلى الله عليه وسلم، حاكياً عن ربه: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر"⁽⁶⁾، وقال تعالى: "فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين"⁽⁷⁾، وأمثال ذلك. وينبغي أن تعلم النفس الناطقة وإن لم تكن في البدن حالة حلول الأعراض في الجواهر ولا جزءاً منه أيضاً، إلا أنها خلقت بالطبع متصرفة في البدن وقواه للعلاقة التي بينهما لأجل حصول الكمالات العقلية، لكنها في أول الأمر تكون جاهلة غافلة عما يراد منها وعما خلقت لأجله ولا جرم تنغمس في الأمور الجسمانية وتذهل عن حقيقة ذاتها وتختلط بالبدن نوعاً من الاختلاط، وإذا

(1) في المخطوط (س) توسمت، وفي المخطوط (ن) توهمت، وهي الأصح.

(2) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(3) في المخطوط (س) تستعمل، وفي المخطوط (ن) تشغل، وهي الأصح.

(4) في المخطوط (س) لشيء، وفي المخطوط (ن) بشيء، وهي الأصح.

(5) في المخطوط (س) لعساك، وفي المخطوط (ن) عساك، وهي الأصح.

(6) حديث شريف، شرحه ابن تيمية في مصدر النبوات، ص120. وأيضاً ذكره البخاري في صحيح البخاري، رقم 4779.

(7) سورة السجدة، آية 17

¹²⁹ تقطنت بعد ذلك بمدة متطاولة لشيء من خواص ذاتها واشتأقت إلى معرفة كنه حقيقتها لما توصف به من كمال الصفات الملكوتية، ولكن ذلك إنما يكون بعد استحكام العلاقة البدنية وقوة الشوق إلى اللذات الجسمانية فيعسر عليها إدراك ذاتها إلا مخلوطاً بالجسم وتوابعه، فلا يتهيأ لها إدراك ذاتها مجردة عن جميع اللواحق الغريبة البدنية. فإدراك ذواتنا الكلية لذواتنا الكلية من وجه أو الجزئية من وجه آخر، إنما يكون مركباً من حقيقته التي هي عبارة عن الجوهر المجرد الروحاني مع أمور بدنية مخلوطة مع ذواتنا. فإدراكنا لذواتنا مخلوطاً باللواحق الغريبة يوجب حيرة النفس؛ إذ قصدنا إنما هو إدراك نفس الحقيقة المجردة الصافية عن الجسمانيات. والوهم من القوى البدنية لا يمكنها ¹³⁰ ذلك، بل لابد وأن يكون يدخل عليها أشياء أخرى ليست من النفس الناطقة في شيء، ومع هذا فإنه يجوز أن يتمثل فينا حقيقة ذواتنا في بعض الأوقات مع غيبتنا عن الأعراض الجسمانية، ولكن النفس لا تتقطن لهذه الحالة في الأغلب. فإن قصد أحد إدراكها مجردة صافية عما عداها وقطع النظر عن سائر الأشياء، فالذي يدركه ويشعر به بعد هذه الأمور هي النفس النورانية المحضة. إن لم يشوش عليه الوهم لكنه في الأكثر يصير خصماً له فلا تمكنه من الإدراك بالروحاني الصرف، بل تخيل للنفس أموراً فاسدة أو يدخل أحكاماً كاذبة ويخلط معها نوعاً من الاختلاط والامتزاج. يصير إدراك الذات للذات بسبب ذلك مشوباً لأن أحكام الوهم في المجردات عن المواد غير صحيحة. فالواجب على من أراد معرفة ذاته أن يتلطف تلطفاً شديداً بالرياضة ¹³¹ والخلاوات ورفض الشواغل الدنيوية التي حاصلها كثيرة الهم والغم وظلمة النفس وقاذوراتها، ويواظب على الأفكار اللطيفة والأذكار الصافية. ويعرف البدن وقواه ولا معرفة تامة مع معرفته بالأعضاء الظاهرة والباطنة وأوضاعها في البدن وخواصها وما بين القوى من المشاركات والمباينات وكيفية تعلق النفس بالأرواح واستعمالها بالبدن بواسطة هذا المركب ⁽¹⁾ اللطيف المبعوث في جميع البدن، ثم يرتقي بعد ذلك كله إلى معرفة نفسه ويستقصي البحث والتأمل في ذلك فيجدها غير ما يشتمل عليه الجلدة الجسمانية من القوى والأعضاء وهي نفس الظهور والإشراق الذي لا يتصور غيبته عنه أبداً، وكيف يتصور الغيبة عن شيء لا حقيقة له غير النورية المحضة الظاهرة لذاتها وحقيقتها لا بظهور آخر، بل ¹³² ذاتها تقتضي الإظهار والشروق، ولولا تشويشات الوهم والخيال لسهل الاطلاع عليه وعلى جميع الحقائق المجردة؛ إذ لا حجاب بين المجردات غيرها ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: "لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم

(1) في المخطوط (س) التركيب، وفي المخطوط (ن) المركب، وهي الأصح.

نظروا إلى ملكوت السموات والأرض⁽¹⁾. وهذا النور والظهور الذي هو حقيقة النفس ليس هو⁽²⁾ كنور الشمس والكواكب والنيران، وظهورها وإن كان يشبهها ويناسبها في مطلق الظهور والإشراق ويتحالفان من جهة أن ظهور النفس المجردة عن المادة ظهور تجرد وإشراق عقلي، لشدة لطفه وقوة إشراقه خفي وغاب عن الحواس القذرة، ولا يمكن الوهم أن يحده أو يتصوره في جهة أو يجعل له مقداراً أو شكلاً أو يلحق به شيئاً من اللواحق الغريبة، بل الظهور المحض والنورية الصرفة ذاته والإظهار والتتوير صفته. واقطع نظرك¹³³ عن غير هذا وداوم على توهم (هذه المقالة فعساك يسهل عليك معرفة)⁽³⁾ هذا الجوهر الروحاني. تصير حينئذ حكيمًا فيلسوفًا معظمًا في الملكوت ملحوظًا من عالم الجبروت، وهذه هي السعادة الكبرى والمرتبة العظمى، "ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم"⁽⁴⁾. ولقد كشفت ذلك الغطاء، فإن تكن فطنًا عرفت وما أخالك تعرف، وهذه الأمور تحتاج إلى حد عظيم وذكاء حادق وهمة عالية ونفس مستعدة صافية منزهة عن الخسائس وعناية أزلية وهو الأصل. فإنه إذا كان هناك عناية ببعض الأشخاص فأسباب السعادة فإن صعب⁽⁵⁾ بالنسبة إلى النوع لكنها تسهل على الشخص ويتهيأ له ويسوقه⁽⁶⁾ المقادير فيصير قسرًا إلى غايته وكمال اللائق به. وأنت قد عرفت أن النفس الناطقة غير حالة في البدن حلول سريان كالأعراض السارية في¹³⁴ الجواهر الجسمانية ولا حلول ظرفية ومكان، كحلول الماء في الكون، فليست نفس البدن ولا جزءًا منه. فهي مجردة معلقة قائمة بذاتها ظاهرة منيرة في حقيقتها ونسبة البدن المخصوص إليها كنسبة سائر الأجسام إليها في عدم الحلول في الأبدان، وعدم الانطباع والجزئية والمباينة وغيرها من الصفات، إلا أن الفرق الذي يمتاز البدن عن غيره من الأجسام، هو أن النفس لها تعلق شوقي والعلاقة هي علاقة الاشتغال بالبدن حتى ينفعل البدن عن النفس وتشعر النفس بذلك البدن، والشعور بالبدن هو عبارة عن دوام ملاحظة البدن والإشراق عليه لعناية أزلية تحصل لها باستعمال كمالاتها العقلية. فإدراك النفس للبدن هو بإشراق نورها عليه دائماً، وكذا إدراكها لقوتها بالإشراق الحضورى، وإما إدراكها لغير البدن وتوابعه. إن كان¹³⁵ معقولاً محضاً فإدراكها له بذاتها، أعني بالإشراق

(1) حديث شريف، أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، المجلد الثاني، رقم الحديث 8286

(2) في المخطوط (س) لها، وفي المخطوط (ن) هو، وهي الأصح.

(3) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(4) سورة الجمعة، آية 4

(5) في المخطوط (س) ضعيف، وفي المخطوط (ن) صعب، وهي الأصح.

(6) في المخطوط (س) وتفسيره، وفي المخطوط (ن) ويسوقه، وهي الأصح.

غير المحتاج إلى عمل وآلة، وإن كان محسوسًا حاضراً فبإشراق نور النفس عليه بواسطة الحس (البصري الذي هو آلة لها في الإدراك، وإن كان متخيلاً فبإشراق نور النفس عليه بواسطة الحس التخييلي)⁽¹⁾، الذي هو مظهر للصور الخيالي الموجودة في عالم المثل المعلقة. وإذا علمت هذا الأصل وأردت إدراك ذاتك المجردة عن المادة، فتجرد عن الأجسام ولوازمها وتوهم نفسك غريبة، واجعل تخيلك للبدن وأجزائه وتوابعه، كتخيلك غيره من الأجسام لاشتراكها في مباينة⁽²⁾ النفس لها، فلا تصدق الوهم الكاذب حكمه في المجردات الكلية المخيل للنفس أن لا شيء آخر وراء البدن المحسوس وهذا من العجب العجيب أن يكون قوة من قواها يلقي إليها أنك أعني الحقيقة¹³⁶ المجردة عن المادة غير موجودة وليس إلا البيئة المشاهدة، ثم تسمع ذلك الحكم وتقبله في نفي ذاتها وحيرتها عنها، وذلك⁽³⁾ لقصور نور هذه القوة وضعفها بالانطباع واستيلائها على النفس إنما هو لسكونها في وطنها ومركزها وغربة النفس ومقامها في غير عالم جوهرها واختلاطها في الأجرام المضادة للطبائع، فلا جرم يغلب الوهم بقوى سلطانه. وتضعف النفس لبعدها عن وطنها واختلاطها بالشواغل الجسمانية إلا من شاء الله من المؤيدين بالأنوار الشارقة من أفق الجبروت، وقليل ما هم. فإذا إدراكك لذاتك بذاتك هو نفس الظهور المشرق لا غير وهو نهاية في شدة الظهور وغاية في قوة الإشراق. فإذا أدركت وقت إرادة إدراك الذات صفاءً محضاً غير موصوف بشيء مما يعتمده النفس من صفات الأجسام، بل قطعت النظر¹³⁷ عن تشويش الوهم المتخيل والممثل للصفاء المذكور شكلاً ومقداراً ولوناً ووضعاً ومكاناً وغيرها مما ألفته من العوارض الغريبة، بل أدركت نفس الصفاء المحض والظهور المحض المطلق غير المقيد بشيء من المقولات؛ فقد أدركت النفس وعرفت أنها لا محالة. فإذا توهمت ذاتك مجردة وغمضت العين عما عداها من الأجسام وعوارضها ولواحقها، وجعلت تخيلك لبدنك كتخيلك لشجرة ما وجدار ما وغيرهما من الأجسام المباينة للنفس. فإذا تخيلت ذاتك النورانية غائبة منطمة في خلاء أو ملأ لطيف غير متناهي، فتجد إدراكك لذاتك مستمراً دائماً لا يمكن الغيبة عنه أبداً، وهو نور محض روحاني وصفاء صرف نوراني لا يزيد على نفس الإدراك، بل شعورك بالظهور وهو نفس الإدراك والعلم والتعقل هو نفس الذات، فالذات الناطقة هي نفس الإدراك، والإدراك نفس¹³⁸ الظهور،

(1) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(2) في المخطوط (س) مناسبة، وفي المخطوط (ن) مباينة، وهي الأصح.

(3) في المخطوط (س) وكذلك، وفي المخطوط (ن) وذلك، وهي الأصح.

والظهور نفس حقيقة الذات؛ فهو العالم والمعلوم والعلم باعتبارات، وهو في ذاته (شيء)⁽¹⁾ واحد لا كثرة فيه. وإن كانت الذات ليست نفس الظهور والنورية، بل زائدة فيكون حقيقتها غير نورية وغير ظاهرة فتكون ظلمانية وخفية فلا يظهر عندها شيء؛ إذ ظهور الأشياء عندها فرع على ظهورها في ذاتها ويكون النور عرضياً فيها؛ إذ النور إذا كان زائداً على الشيء فتكون الذات نفسها غير نورية كالبياض إذا قيس على الشيء فلا يكون نفسه، بل غيره زائد عليه فتقرر من هذا أنها محض النور لا محالة وذاتها ظهور محض مطلق مجرد عن جميع الأجسام ولواحقها، وليس البدن وأجزائه وعوارضه بالنسبة إلى النفس المجردة إلا كنسبة الثياب التي يلبسها صاحب الثياب، إلا أنها صارت لدوام لبسها وملازمتها لها كأنها أجزاء منها. فإذا اتفق توهمنا وتخيلنا لذواتنا لم يكن غالباً توهمنا إياها مجردة عارية عن تلك الثياب¹³⁹ التي هي الآن، بل تخيلناها تخيلاً مشوباً مختلطاً بالبدن ولوازمه، وتصورنا نفوسنا كأنها ذوات أجسام كاسية لما ذكرنا من دوام الصحبة وشدة الملازمة، وبقي هناك من الفرق بين الأجسام والثياب. إن الثياب يمكنها خلعها وإطراحها في أي حين شئنا، ولم نقدر في البدن وأعضائه على ذلك، فلا جرم توهمنا البدن جزءاً منا أكثر من توهم الثياب جزءاً منا، اللهم إلا لبعض الحكماء المتألهين الواردين إلى هذا العالم العنصري في كل عصر ودهر. فإن أبدانهم تصير بالنسبة إلى نفوسهم المقدسة الطاهرة كأنها قمصان وثياب يخلعونها أي وقت أرادوا. وأنا أعلم بالضرورة أنني أنا مبدأ الحركة والإدراك إلا أنه تارة تقع الإشارة إلى الحقيقة الصافية عن الشوائب الحسية، وتارة تقع الإشارة إلى الحقيقة المجردة¹⁴⁰ مشوباً باستعمال البدن المحسوس المشاهد استعماله وصدور الأفعال عنه. وأنا لا أقدر أن أميز الشعور والإدراك [بأننا]⁽²⁾ مفرداً عن الإدراك والشعور المخالط للبدن، أي عند [كونه مستعملاً للبدن]⁽³⁾ ومقارناً لعلائقه فتخيل الأول لذاتي أنها شيء، [أي ظهور محض محاط]⁽⁴⁾ بهذه الظواهر الحسية وتلك المخالطة التي للنفس [مع البدن مغلفة]⁽⁵⁾ لي عن إدراك حقيقتي النورانية، فأظن أنني من هذه [الأجسام]⁽⁶⁾ والأجزاء، وهو حكم وهمي

(1) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(2) ممحاة من المخطوط (س).

(3) ممحاة من المخطوط (س).

(4) ممحاة من المخطوط (س).

(5) ممحاة من المخطوط (س).

(6) ممحاة من المخطوط (س).

كاذب. وأنا إذا طلبت وجود ذاتي كونها غير [جسمية]⁽¹⁾ ولا جسمانية لا يلزم ذلك أن أكون جاهلاً بذاتي جهلاً مطلقاً، بل كنت [غافلاً ذاهلاً]⁽²⁾ وكثيراً ما يكون العلم بالشيء قريباً فتغفل النفس عنه ويصير كالمجهول الصرف ويطلب العلم به من مواضع ومآخذ بعيدة شاهقة، فلا تدركه لأنه لم يسلك الطريق إذا الشيء لا يوصل إليه إلا من مأخذه وطريقته، فإن كان قريباً¹⁴¹ فلا يصل إليه إلا من القريب وبالعكس. [ثم إن ذلك الشيء]⁽³⁾ القريب المأخذ مع قربه وخفة المؤنة في فهمه يعود [كالمذهوب]⁽⁴⁾ والمغفول عنه، فلا يرجع الذهن إلى تحقيق طريق معرفته [لضعف الفهم]⁽⁵⁾ والتفطن بحقيقته، فلا جرم متى أخذ في فهمه مأخذاً [بعيداً ضاع عن المادة]⁽⁶⁾ (الجادة)⁽⁷⁾ الموصلة إليه، بل الطريق إلى معرفة أمثال هذا من المعلومات الغريبة تنتبه النفس لمعرفته بالإشارات والتلويحات.

[فصل—ل]⁽⁸⁾ والنفس الناطقة لما كانت من نوع الجواهر الملكوتية، (ومن شعاع الذوات العقلية)⁽⁹⁾ المجردة عن المواد الجسمانية فلا يمكنها معرفة الجواهر المادية من غير آلة مادية ولا يمكنها أيضاً معرفة المجردات الصرفة في أول هبوطها لضعفها وعجز بصرها النوراني عن ذلك؛ لأن مبادئ هذه المعرفة إنما هي مأخوذة من الحس والتقدير، أنه لا حس¹⁴² فلا جرم كان الحكمة الإلهية مقتضية في تحصيل كمالاتها أن تكون مقترنة ببدن تديره وتتصرف فيه وتتوصل باستعماله واستخدامه على الوجه الأصوب إلى تحصيل الكمالات العقلية. فلا يكون البدن سبباً داخلياً في حقيقة جوهرها، بل بينهما علاقة ما إضافية يرجع حاصلها إلى صحبة وصداقة، ولا يمكنها الإحاطة بالأجسام وتوابعها إلا بتوسط آلة مادية لكون الشيء المدرك المبين لذات المدرك إن لم يكن للمدرك مظهر يشرق على المدرك بواسطته لأجل مناسبه بين المظهر الذي هو كالمرآة وبين الشيء المطلوب إدراكه، وإلا فيستحيل الإدراك؛ إذ

(1) ممحاة من المخطوط (س).

(2) ممحاة من المخطوط (س).

(3) ممحاة من المخطوط (س).

(4) ممحاة من المخطوط (س).

(5) ممحاة من المخطوط (س).

(6) ممحاة من المخطوط (س).

(7) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(8) ممحاة من المخطوط (ن).

(9) في المخطوط (س) بل شعاع الذات العقلية، وفي المخطوط (ن) ومن شعاع الذوات العقلية، وهي الأصح.

الإدراك هو عدم الغيبة عن الشيء أو حضور الشيء للذات المجردة، ويرجع حاصله إلى نفس الإشراق المجرد عن المادة مع لطفه وخفائه ودقته. كيف¹⁴³ يشرق عن الملتبس بالمواد الجسمانية الكثيفة المظلمة من غير واسطة مناسبة له بوجه ما⁽¹⁾، ولما كانت النفس روحانية مجردة لا يمكنها أن تتصرف في البدن الكثيف إلا بواسطة، وهو الروح النفسانية المبنوثة في جميع البدن، وهو غاية ما يمكن أن تنتهي إليه الأجسام في اللطف والاعتدال، وهو مشابه للبرازخ العلوية، قريب من الجواهر الروحانية في اللطافة والرقّة. فإذا كان في جوهره هذا الاستعداد ففيض النفس عليه هيئة نورانية مختلفة (بحسب استقراره في مواضع مختلفة)⁽²⁾، نسمي تلك الهيئات قوى وبواسطتها يمكن للنفس أن تتصرف في البدن، وبواسطتها أيضاً تنظر إلى الأجسام وتعرف الحكم الموجودة فيها وتستخرج علومها منها وتترقى في ذلك إلى غاية كمالها الممكنة. فعلم أنه لا بد في إدراك النفس للجسم¹⁴⁴ والجسمانيات وتوابعها من توسط البدن، بل في كثير من المطالب العلمية يحتاج فيه إلى هذه الآلة المخصوصة، كما أنه لا بد في إدراك العالم المثالي من توسط آلة ومظهرًا يكون سبب حضور تلك الأشياء عن النفس كالمرآة التي هي سبب حضور الصور المثالية والمتخيلة في حضور نوع آخر من تلك الصور بالمثالية أيضاً. فنسبة البدن إلى النفس كنسبة حديد المرآة إلى الناظر في المرآة، ونسبة القوى البدنية⁽³⁾ إلى النفس كنسبة جلاء المرآة وصقالتها إلى الناظر. فالبدن الجسماني على التحقيق كمرآة للنفس مصنوع على هذه البنية المخصوصة؛ تدرك النفس بواسطته العالم الجسماني وعوارضه وعوالم أخرى وعلوم كثيرة وما يدرك (للبدن)⁽⁴⁾ أوسع فضاءً وأعظم دائرةً مما يدرك¹⁴⁵ بالمرآة الحديدية؛ لأنه لا يدرك بها إلا ما يتعلق بالحس البصري فقط من اللون والمقدار والشكل، وأما مرآة النفس وقفصها، أعني البدن، فيدرك به جميع المعاني المدركة بالحواس الظاهرة والخمس والحواس الباطنة لا سيما القوة المتخيلة الوهمية، فإنها مرآة تامة عظيمة تخالف المرايا الأخرى الموجودة في البدن من حيث إن ما عداها من سائر القوى والمظاهر يدرك به العالم الجسماني وخواصه ولوازمه، وهذه القوة وحدها مستقلة تدرك النفس بها عالماً عظيماً غريباً عجيباً كثير الأنواع شديد الفسحة لم يصل إلى غور هذا العالم إلا الفريد الشديد من فحول الحكماء السلاك من القدماء، وهور برزخ

(1) في المخطوط (س) من الوجوه، وفي المخطوط (ن) ما، وهي الأصح.

(2) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(3) في المخطوط (ن) البدن، وفي المخطوط (س) البدنية، وهي الأصح.

(4) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

بين العالم (الحسي)⁽¹⁾ الجسماني والعالم العقلي الروحاني بواسطة نظر النفس إلى هذه المرأة¹⁴⁶ تدرك العالم المثالي الشريف وما فيه من الهيئة والغرائب وما أودع تعالى فيه من العجائب، ولولا المرايا الأخرى، أعني الحواس الظاهرة والباطنة، لم تعرف النفس العالم الجسماني وتوابعه. ووجود هذه القوى المختلفة التي هي بالحقيقة مرايا مبنوثة⁽²⁾ في البدن سيما المتخيلة التي هي ظل وصنم للنفس وشعاع قدسي ونفس ناقصة، ولو اشتد نورها قليلاً. لقد كانت نفساً روحانية مفارقة، وهي عناية عظيمة ورحمة تامة ولولاها ما كان لنا سبيل إلى تكميل نفوسنا بالمعارف الحقيقية والعلوم الإلهية. فالنفس الناطقة مجردة قائمة بذاتها غير حالة في البدن ولا جزءاً منه، وهي مع ذلك للعلاقة الشوقية المذكورة دائماً لها إشراق على هذا البيت البدني، وهو ظاهرها تنظر إلى أعيان الموجودات¹⁴⁷. من هذه المرايا (المتعددة المودعة في أرجاء هذا البيت الجسماني المشتمل على هذه المرايا والمظاهر)⁽³⁾، فيظهر لها فيها صور مختلفة ومعان متنوعة وعجائب كثيرة، ولكون النفس مشغوفة برؤية الغرائب ومشاهدة العجائب ومحبة للكلمات النفسانية، وكان ذلك حاصلًا لها بواسطة هذا البدن. لا جرم استغرقت في تدبيره وحفظه وحراسته والقيام بمصالحه وبالغت في ذلك، حتى نسيت ذاتها وذهلت عن المقصود وعميت عن المطلوب، حتى صار المخدم خادماً والمتبوع تابعاً وخفى ذاتها النورانية على ذاتها مع شدة ظهورها وجلالها وقوة إشراقها، وهذا (أعجب العجيب)⁽⁴⁾. أعني إخفاء النور والظهور على نفسه وبه يظهر كل معنى خفي وبشرق كل مظلم ويصفو كل كدر. فإذا قلت الشواغل¹⁴⁸ البدنية والاحتفال بأحواله وفراغ القلب بالكلية عن الفضول المردية والأهوال المهلكة وتلطف الإنسان بالأفكار المهمة الروحانية والأذكار الشريفة الربانية، واتصف (بالإشراقات)⁽⁵⁾ العلوية وداوم على أخذ نفسه بالرياضيات القوية فعساه يقع له في بعض الأحوال خلسات يذهل فيها عن هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس أو أنه يضعف قواه وتخدم بالكلية خموداً ما، فيرى حينئذ جوهر ذاته وحقيقة ماهيته، وهي ظهور فحسب ونور لطيف فقط، ويجد هذا الظهور شديد

(1) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(2) في المخطوط (ن) متنوعة، وفي المخطوط (س) مبنوثة، وهي الأصح.

(3) هذه العبارة ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(4) في المخطوط (ن) عجيب عجيب، وفي المخطوط (س) أعجب العجيب، وهي الأصح.

(5) في المخطوط (ن) بالأسواق، وفي المخطوط (س) بالإشراقات، وهي الأصح.

الإشراق قوي الظهور والنورية بالنسبة إلى الأنوار العرضية، (لكن الأنوار العرضية)⁽¹⁾ الضعيفة الظهور مكانية الإشراق ضيقة الفسحة. بخلاف النفس فإن ظهورها ظهور مطلق غير مقيد (بزمان ومكان، بل هي شمس نوريتها مطلقة وظهورها تام غي مقيد أو متصف بشيء من الأعراض الجرمية، وليس ظهوره وإشراقه العقلين كما في الأولى، أوله جزء وموصوف بغير الظهور أو فيه شائبة ظلمة، أو يكون أمراً من الأمور أو معنى من المعاني له مدخل في حقيقته جوهرية، بل هو محض الظهور النوراني ونفس الإشراق البسيط الروحاني من غير زيادة شيء آخر. وهذا البيان تكون معرفته من أول الأوائل غير المحتاج إلى تعريف، وكيف يحتاج الظهور المطلق والنور المحض إلى تعريف وبيان، وهو أول الفطريات. وبواسطة الظهور المحض المطلق تظهر جميع الأشياء الظاهرة ظهوراً خفياً أو من وجهه، وجميع ما ذكرناه من الكلام في حقيقة هذا الجوهر إنما هو تنبيه للنفس التي قد خلت وغابت عن معرفة ذاتها بسبب الجهل والانغماس في البحر المظلم الذي هو الدنيا، وبلطيف السر والمزاج وفهم الإشارات التي للحكماء المتألهين الواردة في تنبيه النفوس مفيد جداً إفادة يقصر عنها البرهان العلمي. واعلم أن نسبة النفس إلى البدن وإشراقها عليه وشدة ظهورها في ذاتها وإليه كنسبة ظهور النور الشمسي على المرآة وإشراقها في ذاتها وعليه، ولكن بينهما فروق عظيمة؛ وذلك لأن الظهور الشمسي عرض ما من السطح المراد والأجسام منبسط بانبساط الأجسام، والإشراق النفسي ليس كذلك بل ظاهر في ذاته ومشرق لا يمارسه جسمية مكانه، وهو جوهر مدرك ونور مبصر لا يحويه المكان كما في النور العرضي ولا ينبسط انبساطاً جسمياً، بل له انبساط روحاني. وعند توهمك العالم الجسماني بأسره تجده يدرك ويشرف عليه وينبسط في طرفه عين، ولو كان هذا الإشراق والانبساط جسمياً لما تيسر)⁽²⁾ ذلك، ثم بعد إحاطته بالعالم بأسره تجده ينبعث إلى طلب ما لا يتناهى¹⁴⁹ فيكون الحاوي والمحيط غير متناه ولو كانت في الأجسام أو من الأجسام لا تشمل عليه الأبعاد والأقطار فما كانت تدركه؛ لأن الجزء لا يمكنه التسلط والإحاطة بالكل، ويجب أن تعلم هذه الحقيقة، وذلك أن النور والضوء والظهور المخصوصة بالأجسام ليس ظهور ونور مطلق، بل هي مضافة إلى الأشياء التي تظهرها وتضيء ذواتها وتتنور ظاهرها، فهي مضافة إلى الألوان ومظهرة لها نوعاً من الظهور حتى تستعد بذلك لإدراك الأبصار، فالنور والظهور والضوء من لوازمها وخواصها

(1) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(2) هذا الجزء ذكر في المخطوط (س) فقط.

كما يظهر السواد والبياض والحمرة والخضرة وغيرها من الألوان والأشكال والمقادير؛ فهي مظهرة للأموال الجسمانية المتناهية الذوات، ذوات الصور المحسوسة الشخصية والامتدادات المتحجبة الرسمية. وإذا كان الظهور والنور والضوء جسمانية متعلقة¹⁵⁰ بها، فهي أيضا موصوفة ببعض ما تتصف به بالعرض: كالإشارة الحسية، ونهايتها وترسمها نوعا من الارتسام ممتدة ومتشكلة ومتشخصة بامتداد ذاتها وتشخصاتها، فلا تكون أنوارها أنوارا كلية ولا أضواؤها أضواء مطلقة ولا ظهورها ظهورا محضا صافيا، بل مختلطة بعوارض الأجسام ومشوبة بظلمة المواد. هذا كله يخالف الظهور والنور النفسي العقلي المحض الروحاني؛ فإن ظهور النفس ليس ظهورا مضافا إلى شيء أو نور مقيدا بشيء، بل هو ظهور مطلق محض كلي غير معين بشخص أو شبح لكنه نور وإشراق يمتد امتدادا روحانيا بإشارة عقلية إلى غير النهاية وليس في نوريته اسم ولا في نفس ظهوره اسم من الأسامي الواقعة على متشخصات الأجسام ولوازمها، لكنه لطبيعته نورانية يقتضي أن يظهر عنده ويحضر أشياء بحضور جسمه المعين ومدرجات قواه الظاهرة¹⁵¹ والباطنة وحضورها عنده هو إشراق نوره عليها، وبإشراقه على هذه الأشياء يحتجب عن ذاته لاشتغاله بها، وإشراقه على ذوات متشخصة متعينة فيألفها ويمده الوهم ويؤكد عنده أن لا موجود إلا المقادير وتوابعها وينضم إلى هذا أكثره استعمال النفس للقوة الوهمية المفكرة في الأمور (غير)⁽¹⁾ المجردة، فلا جرم تضل النفس عن ذاتها غير المنحصرة في الأجسام غير المعنية بالأشكال والأفهام، فانسلك عن هذه القوة وأترك فعلها لمحة وما أدركت بعد ذلك من الصفاء والظهور غير المتناهي والوجود غير المعين برسم وصورة؛ فهو النفس الناطقة المجردة عن المواد والأشباح وينبغي أن تفهم أن القوة الباصرة وهي مرآة عظيمة تعين على تجرد النفس وإدراكها لذاتها عرية عن الملابس الطبيعية إذا لو كانت في مقابلة المرئيات المتلونة والنقنت النفس إلى¹⁵² تلك الأشياء فإنها تشرق عليها وتصير بسبب ذلك حاضرة ومعلومة عندها وتكون متشخصة متقدرة عندها، وذلك لا يعينها على معرفة ذاتها، بل يبعدها لعدم المناسبة بين المتناهي وغير المتناهي، وهذا بخلاف ما إذا وجهت النفس إليها الباصرة نحو شفاف لا لون له: كالهواء والأفلاك؛ فإنه حينئذ يفسح إشراقها ولا يضيق ويظهر بسطها ونورها الروحاني غير المتناهي لكون الإشراق والظهور لا ينتهي ولا ينحبس عند حد محدود ينقطع الإشراق عنده، لخلو تلك الأجسام عن الألوان الموجبة لوقوف الإشراق عند نهاية الأجسام لكون مدرجات البصر الأنوار المناسبة للنفس من عدة

(1) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

وجوه، فلا جرم تظهر ذاتها ظهورًا تامًا عند فتح البصر نحو الأثير الصافي الشفاف غير المدرك نهايته من جهة الحاسة البصرية، لعجزه¹⁵³ عن إدراك سطحه وضعفه⁽¹⁾ وعن إحاطته بقدره وحجمه ولولا تشويشات القوى واختلاطها بالأجسام ومقارنتها بسبب الإدراكات الحسية، وإلا لكانت النفس تظهر ظهورًا وتتجلى تجليًا أعظم وأشد من ظهور الشمس وتجليها، لكن استعمالها لآلاتها واشتغالها بمدركات حواسها وقواها يكدرها ويعميها عن إدراك ظهورها الصافي النقي الذي ليس فيه زيادة ولا كثرة ولا تأليف ولا معان متعددة تنضم إلى المعين الظهوري، أو يكون الشيء غير محض النور والظهور له يدخل في نفس حقيقته. وأنت إذا جردت نفسك وقطعت خاطرك عما يحويه الفلك من المقادير والرسوم، وأخرجت نفسك من مضيق الأقطار والأشكال والهموم فستلحظ بالضرورة ما ذكرته وتترك الوجود الذي وصفته، وكثيرًا ما يتفق لبعض الأفراد¹⁵⁴ في بعض الأحوال المختلفة خلسات كما في جمعية الحجاج والأعياد والجمعات والسماع والقتال وغيرها يغيب فيها عن شواغل القوى ويبهت الوهم، فيقف هينة فيدرك في هذه الحالة حقيقة ظهوره الروحاني، وإدراكه لا يزيد على نفس نوريته العامة. ففي هذه الحالة لا محالة لا يغيب ظهوره عن حقيقة ظهوره الذي هو ذاته إلا أن أكثر الناس لا يتفطنون ولا يفهمون أي حالة هي ولا يشعرون بأنها حالة إدراك النفس. فإن إدراك النفس ليس يشبه إدراك غيرها من المدركات، بل هو أمرًا آخر وشعور آخر؛ لكون العاقل هو المعقول والعالم هو المعلوم والظاهر هو المظهر والظهور، فتقع الحيرة والالتباس في العلم بها وبعضهم يستعظم هذه الحالة ولا يعرف كنهها؛ لنقص العلم والحكمة فيهم وبعضهم يزعم أنه أدرك صفاء وشاهد وجودًا غير معين ولا متشخص بصورة ولا متشبح¹⁵⁵ برسم غير متناه لا طرف له ولا امتداد، ولو تفطن هذا الجاهل المسكين الذي قد عمى عن نفسه مع قوة جلالها وظهورها ونظر نظر الحكماء المتألهين وفكر واعتبر اعتبار الفضلاء الراسخين، لقد كان تم له معرفة ذاته وظفر بنفس حقيقته الكلية وحصل لنفسه السعادة الأبدية. ولقد وقفت على حديث نبوي يناسب ما ذكرته ها هنا، وذلك ما روى عنه صلى الله عليه وسلم، "أنه جاء إليه رجال من أصحابه فقالوا يا رسول الله إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يذكره أو يتكلم فيه. فقال عليه الصلاة والسلام: أو قد وجدتموه، فقالوا: نعم. قال: ذلك صريح الإيمان"⁽²⁾. وأنت إن فهمت ما قلناه فسيتضح لك معنى الحديث وغيره، وتقف عند

(1) في المخطوط (س) ووضعه، وفي المخطوط (ن) وضعفه، وهي الأصح.

(2) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان، 132

معرفة هذا الجوهر على جميع أسرار الأنبياء والحكماء والأولياء، وينحل لك ما أخفوه¹⁵⁶ من طي مرموزاتهم وستروه عن السواد الأعظم في حواشي إشاراتهم، ويصير اسم الفلسفة عليك لقبًا وتصير من ظلمات الجهالات الجسمانية نقيًا مهذبًا، وإن غفلت عن ذاتك وجهلتها بالنسيان والذهول عنها بشواغل الأبدان كما أدى أهل العصر عليه، فقد خبت وخسرت وغمضت عينك عن جنة وروضة عرضها كعرض السموات والأرض ورضيت بالهاوية عنها بدلًا وبالظلمات عن النور الرياني عوضًا مع قرب هذه الروضة منك ودنوها إليك، ذلك هو الخسران المبين. فتقدر من هذا أن الذات الإنسانية المسماة بالنفس الناطقة اصطلاحًا ووصفًا المعبر عنها بالقوة العقلية، هي نفس المعنى المطلق البسيط فحسب، وإن شئت قلت نفس المعنى الظهوري لا غير. وإدراك هذه الذات وتعقلها¹⁵⁷ والشعور بها عبارة عن الحضور والظهور، وأنت تجد من ذاتك دائمًا في نوم كان أو يقظة شيئًا ظاهرًا كأنه شعلة نار كلية غير متشخصة بالصور الجسمية ولا متعينة بالتعينات الرسمية ولا يتصور غيبتك عنه، وإلا لكنت خفيًا في ذاتك، فما كان يمكنك إظهار شيء آخر عندك فتكون جاهلاً بجميع الأشياء، بل كان يلزم أن يكون ذاتك إما معدومة مطلقًا أو يكون جسمًا مظلمًا، وذلك محال. فهذه القوة المعنوية الروحانية الظاهرة في حقيقتها المظهر عندها حقائق الموجودات، هي نفسك وهي عقل وعاقل ومعقول وليس فيها كثرة البتة، بل هي ذات وجدانية وبسيطة فردانية، لكن يجوز فيها بسبب مقارنتها للبدن حيثيات واعتبارات متعددة لا يقدح ذلك في بساطتها¹⁵⁸ وكونها معنى واحدًا كليًا؛ وذلك لأنها بما هي ماهية مجردة وقوة عقلية ظاهرة في ذاتها تكون عقلاً، وبما تعتبر أن هويتها المجردة ظاهرة لذاتها فهي معقولة لذاتها وبما تعتبر أن ذاتها لها هوية مجردة ظاهرة فهي عاقلة لذاتها، وكذا تعتبر ما يمكن فيها من الاعتبارات كلها. وقد ذكر أئمتنا من الحكماء المتألهين دلائل كثيرة يستدلون بها على أن النفس غير جسم ولا جسماني، منها: أنك في حالة صحوك وسركك ونومك ويقظتك وغيرها لا تغيب عن ظهورك المسمى بالنفس، ويمكنك أن تغيب عن جسمك وسائر الأجسام، بل في أكثر الأوقات تذهل عن بدنك والمعلوم غير المجهول فذاتك غير جسمية ومنها أن جلدك وقلبك ودماغك وجميع بدنك تتخلل وتتبدل بالحرارة ولا تعرف الأعضاء الباطنة إلا بالتشريح¹⁵⁹. وأنت مدرك لذاتك وشاعر بها غير متبدلة ولا متغيرة ولا مجهولة، فأنت غير هذه البنية ومنها أن الغاذية لو أتت دون تحليل لعظم بدنك جدًا، وما من عضو من أعضائك إلا وللحرارة عليه سبيل بالنقيض والتحليل إلى بدل وكذا الروح والمزاج. وأنت تشعر بذاتك غير منتقصة ولا متحللة فلست من هذه الأجسام في شيء وكذا

يذكرون في تجردها وكون الصور الكلية لا تحل المنقسم أي الجسم، فلا تكون منقسمة بل ذاتًا بسيطة مجردة كلية براهين، فمن أَرادها فليطالعها من كتبهم التي هي الحكمة العامية البحثية. فإن هذا الكتاب موضوع لأُمور، هي أشرف وأكرم وأعلى⁽¹⁾ من ذلك.

[فصل——ل]⁽²⁾ فنتكلم الآن بعد إتمام¹⁶⁰ القول في معرفة جوهر النفس في الحواس التي تدرك بها المحسوسات، واعلم أن الأفعال الصادرة إنما تصدر عن القوى لا عن الجسم. فإن الجسم لا يفعل من حيث الجسمية بل بالقوة التي فيه أو بقوة متعلقة به، فالقوة مبدأ الفعل، فكل فاعل إما قوة أو ذو قوة، وذو القوة يفعل بقوته؛ فالفاعل هو القوة، والجسم آلة في الأفعال فباستعماله على الوجه الأليق يستكمل. إذا عرفت هذا فنقول إن النفس قد عرفت تجردها، وكونها في أول النشأة ناقصة محتاجة إلى الاستكمال بالأجسام ولم يمكنها معرفة الجسم وما فيه من المعاني من غير آلة جرمية فخلق الباري جل جلاله حواسًا ظاهرة تدرك بواسطتها الأجسام وعوارضها المكتسبة من الفيض العقلي بحسب استعدادها¹⁶¹ من الألوان والأشكال والطعوم والروائح وغير ذلك وحواسًا باطنة تدرك بها أنواعًا أخرى من المعارف، وهذه الحواس آلات للنفس تستخدمها (في مهماتها)⁽³⁾ ومقاصدها، ويحصل لها شعور بالمحسوسات بواسطتها. فالحواس الظاهرة خمسة: اللمس، والذوق، والشم، والسمع، والبصر. وليست النفس دارقة لمجرد هذه الآلات، بل هذه محال لها خواص واستعدادات مختلفة وأمزجة مخصوصة. إذا وصل إليها الروح النفساني اللطيف وجال فيها، استعد بذلك؛ لأن نقيض النفس عليه هيئة يستعد بتلك الهيئة لأن يكون مرآة للنفس تشاهد بواسطة استعماله على وجوه مخصوصة العالم الحسي وخواصه لمناسبة بين النفس وذلك الروح¹⁶² الذي حصل له بترده في تلك الآلة هيئة مخصوصة يقتضي أن تشاهد به النفس عند الاستعمال نوعًا من المعلومات. واعلم أن الروح إنما يتولد في البطن الأيسر من القلب ويكون في هذه الحالة (روحًا)⁽⁴⁾ حيوانيًا، ثم إذا أرتقى إلى الدماغ وتردد في بطونه واعتدل في تبريده، فيكتسب السلطان النوري والحس والحركة من المفارق ويصير حينئذ روحًا نفسانيًا، ثم ينبث بعد ذلك في جميع البدن حتى يكون حساسًا متحركًا بالإرادة، وليس مزاج هذا الروح واحدًا وإلا لاتفقت أفعال

(1) في المخطوط (س) وأعلى، وفي المخطوط (ن) وأعلى، وهي الأصح.

(2) ممحاة من المخطوط (ن).

(3) كتبت مرتين سهوًا في المخطوط (س).

(4) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

النفس باستعماله وليس فليس. واعلم أن الروح سريع الانفعال بما يلاقه والتأثر بما يؤثر فيه ويتميز بعضه عن بعض بمزاج مخصوص به يصلح لفعل دون فعل، فمنه اللطيف، ومنه¹⁶³ الكثيف؛ لمخالطة الأجزاء الأرضية والمائية بالأقل والأكثر، وكذلك منه شفاف غليظ لكثرة مخالطة الأجزاء النارية وقلتها، وتختلف الممتزجات بالغلبة وظهور بعضها وخفاء البعض. فإن الياقوت والبلور يغلب عليهما الإشفاف الهوائي والناري في المنظر؛ لحسن الامتزاج وجودته التي في الأجزاء الأرضية الكثيفة بتصغير أجزائها، وأظهر الإشفاف المائي والهوائي في البلور، والناري والهوائي في الياقوت. ولا شك في غلبة الأرضية والمائية فيهما؛ لثقلهما. فكذا يكون في هذا الروح النفساني شفاف نوراني ناري وكثيف ثابت للقرع، (والقلع)⁽¹⁾ في السمع ورطب أي للذوق، ولطيف هوائي للشم، ومعتدل للمس. فهو الآلة الأولى لهذه الأفعال الإدراكية والتحركية، وإذا انقطع¹⁶⁴ وصوله إلى عضو، بطل ذلك القوة التي فيه إذا علمت فنشير إلى الحواس إشارة خفيفة، فنقول: أما اللمس فالنفس يحصل لها شعوراً بالمحسوسات للمسية عند ملاقة اللمس أو جزء منه لجسم آخر لاستعدادات تحصل في الروح المبثوث في جميع أجزاء البدن. فآلتها الأعصاب الدماغية⁽²⁾ والنخاعية المفروشة في الجسم والمدرّك بهذه الآلة الكيفيات الأربع، أعني الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وغير ذلك من الثقل والخفة واللامسة والخشونة والصلابة واللين. وأما الذوق فشعور النفس بالطعوم إنما يكون عند ملاقة جرم اللسان لبعض ما فيه كيفية مطعومة لاستعداد يحصل للروح الذي في العصب المفروش على جرم اللسان (وآلته هي العصب)⁽³⁾، والتي هي الترهّي العصب المذكور لا بد فيه أيضاً من رطوبة عذبة تستحيل إلى¹⁶⁵ طعم الوارد حتى يتم شعور النفس بالمطعومات وبسائط الطعوم، هي الحلاوة والمرارة والحموضة والعفوصة والقبص والحرافة والملوحة والدسومة، وواحد لا طعم له ويسمى النقة. وأما الشم فيحصل للنفس الشعور بالروائح الطيبة والكريهة {بواسطة}⁽⁴⁾ انفعال الهواء الواصل إلى الأنف من الجسم ذي الرائحة لاستعداد {للروح المودع}⁽⁵⁾ في الآلة التي هي الزائدتان اللتان هما كحلمة

(1) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(2) في المخطوط (س) الزقاعية، وفي المخطوط (ن) الدماغية، وهي الأصح.

(3) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(4) مطموسة من المخطوط (س).

(5) مطموسة من المخطوط (س).

الثدي {النابتان في مقدم} ⁽¹⁾ الدماغ. وأما السمع فتدرك النفس به الأصوات {والنغمات} ⁽²⁾ اللذيذة والبشعة،
الحاصلة من تصادم الأجسام بواسطة الروح المودع في العصب المنبسط على سطح باطن الصماخ،
لاستعداد حاصل لذلك الروح يقتضي شعور النفس بالأصوات عند حد مخصوص {من القرب} ⁽³⁾ والبُعد
وشدة الصوت {ورفعته} ⁽⁴⁾. واعلم أن قاعدة شكل الهواء ¹⁶⁶ بمقاطع الحروف غير صحيحة؛ لكون الهواء
غير حافظ للشكل لأنه سريع الالتئام، ثم الذي يتشوش بما عند أذنه من الهواء ينبغي أن لا يسمع
شيئاً ⁽⁵⁾ من التشويش المتموجات واضطرابها، وقول القائل: إن الصوت {يخرق} ⁽⁶⁾ الهواء وينفذ فيه غير
شديد. فإنه إذا تشوش الهواء المجاور {للأذن} ⁽⁷⁾ بالكلية لا يبقى للبعض قوة النفوذ والامتياز عند الباقي.
{وأمّا} ⁽⁸⁾ ما قيل: إن الصوت متعلق بقرع أو قلع لا كيف أتفق، بل عند {حركة من} ⁽⁹⁾ الهواء بعنف فلا
ينبغي أن تفهم كونهما داخلين في حقيقة الصوت، لبقاء الصوت بعد الفراغ عنهما، والصواب أن الصوت
لا يعرف بشيء أصلاً، وكذا بسائط جميع المحسوسات. فإن التعريفات لا بد وأن تنتهي إلى معلومات
مستغنية عن التعريف لكون التسلسل محالاً، وإذا وجبت النهاية ولا شيء أظهر من المحسوسات؛ لأن
جميع علومنا منتزعة منها، وهي المعلومات ¹⁶⁷ الأولية وبها يعرف مركباتها. فحقيقة الصوت لا تعرف
لمن لا سمع له، وكذا الضوء لمن لا بصر له، ومن كان له فهو مستغن عن التعريف؛ فالصوت أمر
بسيط صورته في العقل كصورته في الحس وحقيقته أنه صوت فقط وكذا اللون وسائر المحسوسات. وأمّا
من سبب الصوت قلع أو قرع، وإن الهواء شرط وإذا لم يكن على سبيل حصول المقاطع كان على وجه
آخر شرطاً، فهو بحث آخر لا مدخل له في حقيقة الصوت، وإذا قد تبين فساد هذه الأقاويل المذكورة عند
الأقدمين، فإننا نذكر بعده كلاماً محققاً في الصوت؛ فنقول: قد علمت أن النفس قائمة بذاتها غير منطبعة
في جسم، وأنها لا توصف بالقرب والبعد من الأجسام، بل نسبتها إلى الكل نسبة واحدة والاختلاف إنما

(1) مطموسة من المخطوط (س).

(2) مطموسة من المخطوط (س).

(3) مطموسة من المخطوط (س).

(4) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(5) مطموسة من المخطوط (س).

(6) مطموسة من المخطوط (س).

(7) مطموسة من المخطوط (س).

(8) مطموسة من المخطوط (س).

(9) مطموسة من المخطوط (س).

يكون بالنسبة إلى بدنها المحركة له والمدركة به، وعلمت أيضاً أن حقيقتها نفس الظهور المحيط بالعالم¹⁶⁸ الجسماني عند الالتفات إليه؛ فهي تسمع الأصوات على نسبة مخصوصة معلومة وحد معين من القرب والبعد بين الخارج منه الصوت وبين آلة السمع، فإذا وقع صوت من بعض الأجسام وكانت النسبة المذكورة تقتضي وقوع الشعور بذلك الصوت (حصل الشعور بوقوع إشراق حضوري على ذلك الصوت)⁽¹⁾، لا ينقل صوت وحمل هواء ومقاطع حروف، بل لمجرد الحضور الشعوري لكون النفس حاضرة ظاهرة في جميع الأشياء عند التفاتها إليها، فأني معلوم أرادته حضر في الحال عندها، إما بمجرد ذاتها أو بآلة مناسبة لحضور ذلك المعلوم لها لا غير، فهذه دقيقة لا بد من تحققها لكي لا يمكن إدراك هذا السر إلا بمعرفة جوهر النفس وحصول (الإشراق الإلهي)⁽²⁾. وأما من يتعافى الفلسفة الموضوعة للعوام فشيمتهم إنكار الحق. وأما البصر؛ فإن النفس تشعر بالألوان والأشكال¹⁶⁹ والمقادير وغيرها، فإذا وقعت الآلة البصرية، أعني العين في مقابلة الشيء، حصل شعور النفس به؛ وذلك لأن الروح الباصر إذا تردد في طبقات العين ولاسيما في الرطوبة الجليدية التي هي كالماء الصافي الصالح⁽³⁾ لمظاهر المبصرات، استعد بذلك لاكتساب هيئة من النفس يصلح لأن تستعمله النفس وتجعله آلة في رؤية المبصرات، وليست الرؤية بخروج الأشعة من العين إلى المبصرات؛ فإن الشعاع إن كان عرضاً فلا يجوز عليه النقلة، وإن كان جسمًا متحركًا كان لنا فيضة على وجه لا يبصر مع التحديق، وإن كان يتحرك بالطبع فكيف يتحرك إلى جهات مختلفة، وكيف يتحرك دفعة إلى الثوابت وخرق الأفلاك، وكيف انبسط في لمحة على نصف كرة العالم، ولم يختلف نسبة الرؤية بالقرب والبعد؟ فالقول بالشعاع باطل وكذا بالانطباع، (فإن الرؤية لو كانت بانطباع)⁽⁴⁾ صورة¹⁷⁰ المرئي في الرطوبة الجليدية، كما هو رأي المعلم الأول وأتباعه. فكيف ينطبع فيها الجبال الشامخة والمسافات البعيدة والبحار الهائلة، بل كيف ينطبع فيها نصف كرة العالم مع شدة صغرها وحقاترها؟ وما قيل إن الجليدية تقبل القسمة إلى غير النهاية، وكذا الجبال وسائر الأجسام. فيجوز حصولها فيها فاسد، فإنهما وإن اشتركا في قبول القسمة إلى غير النهاية، إلا أن مقدار الجبل والأجسام المرئية أكبر من العين، وكذا الأجزاء بالنسبة إلى الأجزاء فلا ينطبق المقدار الكبير على

(1) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(2) في المخطوط (س) إشراق، وفي المخطوط (ن) الإشراق الإلهي، وهي الأصح.

(3) في المخطوط (س) الصالحة، وفي المخطوط (ن) الصالح، وهي الأصح.

(4) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

الصغير، ومن قال إن النفس نستدل بالصورة وإن كانت أصغر من المرئي؟ إن الشيء الذي صورته كذا كم يكن أصل مقداره فاسد أيضًا. فإن رؤية المقدار الكبير إنما هو بالمشاهدة لا بالاستدلال، والكلام في هذه الحالة طويل وليس هذا (المقام)⁽¹⁾ محله. وإذا بطل أن يكون¹⁷¹ الرؤية بخروج شيء من العين أو بدخول شيء أو بتكيف البصر، فليست إلا بمقابلة المستتير للعين السليمة لا غير، فيقع حينئذ إشراق حضوري للنفس على المرئي فيحصل رؤيته بالضرورة. وهذه المسألة لا يمكن معرفتها إلا بحصول الإشراق الظهوري الذي يشاهد منه تجرد النفس عن الأقطار والجهات والأزمان، وإلا فلا يحصل العلم بها. واعلم أن الأمر ليس كما يعتقد أتباع المشائين من أن هذه الحواس قوى لها شعور بالمحسوسات. فإننا بينا أنه لا صورة في الرطوبة الجليدية ولا في غيرها من الحواس حتى تتركها، وليس فيها إلا استعدادات خاصة وميول. ويسمى هذا الميل قوة تحدث بجذب أو دفع أو لصق، والمبدأ الفاعل في البعض أمر آخر وآلات تقتضي عند حصول الأرواح النفسانية فيها اختلاف أمزجتها ويستعد¹⁷² بذلك المزاج؛ لأن تقيض النفس على تلك الأرواح المختلفة الأمزجة، (هيئات مختلفة تصلح لاستعمال النفس في الأفعال المختلفة فالحكم المطلق)⁽²⁾ والمدرّك ليس إلا النفس، وهذه آلات لحصول الإدراكات المختلفة، وإذا لم تكن مدرّكة فليست الحواس بقوى؛ لأن القوة مبدأ أثر، وأثرها هو الإدراك. ولما ثبت أنها غير مدرّكة فلا تكون قوى، وهذا بحث يحتاج في فهمه إلى تلطيف عظيم وفكر طويل ورياضة تامة. فإنه من المطالب الغامضة وإما الحواس الباطنة، فإن المشائين يزعمون أنها خمسة أيضًا؛ الحس المشترك، وهو الذي يجتمع عنده مثل جميع المحسوسات الظاهرة، فيدركها مشاهده والصور التي يراها النائمون والممرورون فيه يتمثل على رأيهم، ومحلّه البطن المقدم من الدماغ والخيال خزائنه تكون الصور بعد غيبتها عنه مودعة فيه¹⁷³ تحفظها ولا تتركها، ومحلّه هذا، لكنه يميل إلى اليسار قليلاً، والوهم وهو يدرك المعاني الموجودة في الجزئيات المحسوسة كصداقة زيد وعمرو، ومحلّه البطن الأوسط من الدماغ وخزائنه الحافظة وهي في البطن المؤخر منه والمتخيلة وهي التي تتصرف في خزائني الحس المشترك والوهم بالتفصيل والتركيب ومحلّه البطن للأوسط أيضًا. وأما نحن فما ثبت عندنا إدراك شيء منها إلا المتخيلة فقط، أما الحافظة فالذي يدل على بطلان ما ذكره فيها أننا إذا نسينا بعض ما كان حاصلًا لنا ثم أردنا استحضاره فإننا نجتهد كثيرًا في تذكره ولا يتيسر لنا ذلك، ثم قد نتفق أن نتذكره بغتة من غير طلب، ولو كان في

(1) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(2) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

بعض القوى البدنية مع إشراق النفس على البدن وقواه دائماً لما أمكن نسيانه ولا الذهول عنه بعد الكد العظيم في طلبه. فالتذكر ليس إلا من النفوس¹⁷⁴ الفلكية التي لا تتسى شيئاً من الأمور الماضية والمستقبلية، وهذا البرهان تعينه مبطل الخيال الحافظ للصور الحسية؛ إذ لو كان هناك الصور مخزونة وهي حاضرة للنفس فلم ما شوهدت دائماً، وكيف تمايزت الصور التي رآها الإنسان في طول عمره؟ ونحن أيضاً لا نجد من أنفسنا بعد غيبة الصور التي كانت محسوسة لنا إدراكاً لها، بل إذا أحسنا ببعض ما يناسب ذلك الشيء أو تفكرنا فيه، يحصل لنفوسنا انتقال إليه لاستعداد يوجد لها يقتضي إعادته من عالم الذكر، وهذا مذهب أفلاطون وجماعة من الأقدمين. نعم يجوز أن يكون في الروح الذي في البطن المؤخر من الدماغ استعداد وهيئات سماوية تستعد النفس عند استعماله لإعادة الشيء المنسي وللأمور السماوية معاونات عظيمة، وأكثر ذلك التأثير إنما يختص استعداد بعضه لهيئات خفية¹⁷⁵ غائبة عنا ليس في قوة البشر الاطلاع عليها، وأما المتخيلة والمتوسمة فلا يصح الاستدلال بتغايرهما على اختلاف مواضعهما، فإنهما معاً في البطن الأوسط، وكذلك الاستدلال باختلاف الأحوال على تغايرهما، فإنه يجوز على القوة الواحدة أن تفعل الأفعال المختلفة بحسب الاعتبارات واستعدادات القوابل كما في الحس المشترك والشعاع الشمسي والدليل الذي أبطلنا به الحافظة والخيال وانطباع الأشباح في العين بعينه، يبطل الحس المشترك فكل صورة في الدماغ فلم يبق إلا المتخيلة، وهي بعينها المتهمة التي حكمها لا يخالف حكم المتخيلة (ولما لم يمكن سلامة المتخيلة مع)⁽¹⁾ بطلان الخيال الذي هو مجمع الصور، لكون المتخيلة عبارة عن قوة عندها صور تتصرف فيها بتركيب وتفصيل. فإذا لم يكن صور فلا تكون موجودة، فالحق أن هذه الثلاثة قوة واحدة يعبر عنها بعبارات مختلفة¹⁷⁶، فباعتبار إدراك معان جزئية في المحسوسات والحكم عليها تسمى متوهمة، وباعتبار التركيب والتفصيل تسمى متخيلة، وباعتبار ظهور الصور تسمى خيالا، هي قوة واحدة لا تعدد فيها، وهي مرآة للنفس ومظهر يظهر النفس بواسطتها عوالم عجيبة عظيمة. ولتحقق هذا الوضع فإنه من مهمات المطالب. فنقول: إن الدماغ خلقه الله تعالى منصفاً في الطول وفي وسط هذا التصنيف ثلاث بطون وفي كل بطن نوع من العجائب الإدراكية. وإذا انطبق عليها السقف الأرجي الممتد من المقدم إلى المؤخر، صارت بطناً واحدة، واتصلت الأرواح وامتألت البطون من الأرواح التجارية اللطيفة النورانية، واعتدلت بتردد الروح في هذه البطون وتحصى عن نفسه

(1) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

الفضلى البخارية الدخانية الرديئة الكثيفة، فيصير حينئذ شبيهاً بالجواهر السماوية، فيستعد ذلك لاكتساب¹⁷⁷ هيئة نورية وقوة عقلية؛ بحيث يصير حساساً داركاً يحسن عنده إظهار المثال الخيالي، كما يظهر في الماء الصافي والمرآة الصقيلة. فهذا الروح يكتسب في الدماغ صفات منها: الاعتدال، والصفاء اللائق به، إظهار المثال، والنور اللائق به الحس والحركة، والروح المودع في البطن الأوسط هو الذي يحمل هيئة وقوة إدراكه يسمى المتخيلة. فبعد اكتساب الروح هذه الهيئة والكيفية (فالمصيبة)⁽¹⁾ العرضية الحالة فيه، يصير مرآة للنفس ومظهرًا لها، مظهر فيه العالم المثالي؛ لأنه إذا كانت النفس مجردة الذات مباينة لجميع الأجسام وليس لها مع الأجسام إلا علاقة عرضية، هي إضافة ما للتدبير والاستعمال، وهي لذلك ناظرة إلى هذا البدن ومشرقة عليه وبواسطة الآلات والقوى التي فيها يمكنها مشاهدة العالم الحسي والخيالي فيبقى اليقظة عند استعمال الحواس¹⁷⁸ الظاهرة التي هي مظاهر عالم الحس يظهر عندها عالم الحس، وقد تستعمل أيضاً مرآة عالم الخيالي ومظهره أعني المتخيلة، فيظهر عندها صور من ذلك العالم، وأما في النوم فتتعطل الحواس الظاهرة عن أفعالها فتغيب النفس لذلك من عالم الحس؛ لأنها ليست حالة في عالم الحس، وإنما كونها في عالم الحس عبارة عن استعمال الحواس الظاهرة، فيظهر عالم الحس عندها ويحضر بالإشراق الروحاني؛ فلذلك يعني تكوّن النفس في عالم الحس. فإذا فنيت الأرواح التي في الحواس الظاهرة أو عرض لها أمر فلم يظهر للنفس شيء من المحسوسات؛ لكون الأرواح في هذه الآلات كالصقال في المرآة توفرت حينئذ على النظر في الروح المودع في البطن الأوسط، وقد استعداد لظهور المثال والهيئة الخاصة التي اكتسبته من الصفاء والنورية المناسبة للإدراك والإظهار وجميع ما يرى في المنام¹⁷⁹ والتخيل أيضاً في اليقظة. إنما هو في هذا الروح القائم في هذا البطن، فنسبة صور المرايا، كنسبة الصور المتخيلة إلى هذا الروح القائم. وكما أن الصور ليست في المرايا مع أنها مظهرها، فلذلك صور المتخيلة (إلى هذه الروح، وكما أن الصور ليست في المرايا مع أنها مظهر له فكذلك الصور المتخيلة)⁽²⁾ بالنسبة إلى هذه المرآة التي هي الروح الحامل للقوة المتخيلة والبطون الثلاثة: كالأحواض ملائمة من الماء الصافي المرتسم فيها أشباح المرئيات، وكل حوض من هذه البطون يظهر فيه نوع من المدركات العجيبة الغريبة. فالنفس قائمة معلقة في عالمها مجردة مقارنة للأجسام، وهي لا تخلو من النظر في إحدى هاتين المرأتين، وبحسب ذلك يظهر عندها أحد هاتين العالمين، وإذا لم تكن هذه الصور

(1) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(2) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

في الدماغ ولا في المرايا فيجب أن تكون قائمة لا في مكان؛ إذ المحتاج إلى المكان إنما هو الصور المادية الهيولية. فأما (ما ذاته)⁽¹⁾ صورة¹⁸⁰ مجردة عن المادة فلا تحتاج إلى المكان والزمان، فهذه الصور القائمة بذاتها هي عالم عظيم الفسحة والعجائب وهو برزخ قائم برأسه بين العالم الحسي (والخيالي)⁽²⁾ وفيه طبقات كثيرة ومراتب بعضها أعلى من بعض. أعني في الحس والجمال والصفاء، وهو الذي سماه الشارع جابلتا وجابرصا، وذكرتها الأوائل في رموزها والخواص فيه والبحث عن أسرارها وأغواره بحر عميق لم يمعن فيه أحد من العلماء والحكماء، وأرسطو وأتباعه كانوا غافلين عنه، بل ظاهر كلماتهم تدل على أنهم جامدون مفكرون لوجوده، ولا جرم تشوشت الحكمة عليهم وفسدت قواعدهم وأصولهم؛ وسبب ذلك عدم السلوك والتجرد وخوضهم في الشواغل والفضول المضاد للسلوك، وليس للحكمة طريق غيره. وقد قال عليه الصلاة والسلام: "إن الحكمة لتنزل من السماء فلا تدخل قلباً فيه هم غد"⁽³⁾. وكل من ليس له نصيب من السلوك¹⁸¹ فلا نصيب له من الحكمة ولا يتصور له أن يعرف أدنى أسرارها. ولقد صدق سقراط؛ حيث يقول: "إن النفوس المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها محجوبة عن الله تعالى". فالروح النفساني الذي قد امتلأت البطون الدماغية منه، لاسيما الأوسط المتكيف بما فيه الروح الصافي بكيفية مخصوصة يستعد بها؛ لأن نقيض المفارق عليه قوة وهمية حالة فيه، وإدراكه لبعض الأمور الجزئية، ومع ذلك يستعد الروح بواسطة ما حصل فيه من هذه القوة لظهور الصور المثالية عنده. كما يستعد الماء عند صفائه وسكونه لظهور الأشباح فيه. وكذلك المرأة عند تشكلها وجلالها كذلك. وكما أن الصور ليست في المرايا، بل هي مظهر فذلك هذا الروح ليس فيه صورة، بل هو مظهر كما أن الماء مظهر، إلا أن الذي يظهر في هذا الروح من الأشباح الجسمانية والعجائب الربانية أعظم وأكثر مما¹⁸² يظهر في المرايا. فإن الذي يظهر في المرايا إنما هو الشكل واللون والمقدار ولا يظهر فيها إلا ما كان في المقابلة وعلى نسبة مخصوصة ولا يظهر فيها أكثر الكيفيات من الحرارة وأخواتها والروائح والأصوات والطعوم وغيرها. وهذه المرأة الروحي يظهر فيها جميع العالم المثالي وكثير من الحكم التي فيه من الأشباح والصور وجميع أعراض الجسم المذكورة، فإنها كلها قائمة بذاتها مستغنية عن الأمكنة والجهات، وكذا تُدرك النفس بواسطة

(1) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(2) في المخطوط (س) الحس، وفي المخطوط (ن) الخيالي، وهي الأصح.

(3) لم نجد له تخريج. وذكر في: ضياء الدين أحمد بن مصطفى بن عبد الرحمن الكمشخاني النقشبدي المجددي الخالدي، جامع الأصول في الأولياء، مرجع سابق، ص 235

هذا المظهر جميع اللذات والآلام ولاسيما عند تعطل الحواس الظاهرة، كان ما تشاهده من الصور أصفى وعن اللذات أتم ومن الفسحة والعجائب أعظم؛ وذلك للبُعد عن العالم الكثيف الجسماني والقرب من العالم اللطيف الروحاني، والذي يدل على أن القوة المتخيلة مغايرة للنفس، فإن أحكامها ليست عقلية محضة. إنا نجد في أنفسنا في بعض الحالات ما ينقذنا عن بعض الأشياء ويخوفنا منه¹⁸³. والعقل الصريح يحكم بكذبه وبالضرورة الذي يحكم بصحة شيء غير الذي يحكم بفساده، وهذا كحكمها بالخوف عند الانفراد بميت في بيت مظلم، وحكم العقل بالأمن، وحكمها بأن العالم الجسماني غير متناه، وحكم العقل بتناهيها، وغير ذلك. فكل حكم وهمي يخالف العقل فيه فهو كاذب وحكمه قد يصح إذا كان في الأمور الجزئية الجسمانية. فهي إذاً قوة لزمّت عن النفس بحاجتها إليها في الاستخدام فيما يتعلق بالأجسام، وهي لا تعرف إلا المحسوسات مُنكرة للمجردات، حتى أنها تتكر ذاتها وهي نفس صغرى حيوانية، إلا أنها لإشراق نور الشمس عليها دائماً تكون أصغر وأشد قوة مما للحيويات الأخرى، ولو كان لهذا الروح استعداد كاستعداد المزاج الأول المتعلق للنفس لأفاض النفس على هذا الروح نفساً مجردة ونوراً مفارقاً وعدم ذلك لحكمة أيضاً، وهذه القوة كظل وضم للنور المدبر، وينبغي للعاقل¹⁸⁴ أن لا يترك عيان هذه القوى بل تكون دائماً تبعاً للنفس، وإن كل حكم تحكم به تنتظر فيه النفس، فإن وافق العقل أطلقه وإلا منعه. والنفس كما أن لها أحكاماً بواسطة المتخيلة واستخدامها منها أيضاً أحكام بذاتها كحكمها بأن لها بدءاً وتخيلاً وشهوةً وغضباً وخوفاً وحزنًا وجوعاً وعطشاً وغير ذلك، وهي جميع الحواس وجميع ما في البدن يرجع حاصله إلى شيء واحد وقوة واحدة، وذلك هو النفس، وها هنا تدقيق سترناه وأخفيناه وربما كشفناه واستوفينا الكلام فيه في مكان آخر إن شاء الله تعالى، ولنختم هذا الفصل في الأفعال والانفعالات النفسانية باعتبار البدن، وبالنسبة إلى ذاتها، وهذا الكلام وإن كنا مسبوقين باستخراجه إلا أننا أوردناه لكونه مفيداً ونافعاً في معرفة النفس، مع إننا نريده تخليصاً وتهذيباً، فنقول: قد علمت أن جوهر النفس جوهر واحد نوراني غير متقدر بمقدار ولا متحدد بجهة¹⁸⁵ وله باعتبار تدبيره للبدن وإدراكه للمعقولات اعتبارات مختلفة ونسبة متعددة توهم تعدد النفس وتكثرها مع الوحدة التامة وعدم التجزؤ بالكلية. فالجواهر النوراني له وجهان: وجه إلى البدن وبه يدبره ويؤسوسه، ووجه إلى المبادئ العقلية؛ وبه ينقش بالعلوم الحقيقية والمعارف الربانية، ويسمى الاعتبار الأول عقلاً عملياً، والثاني عقلاً نظرياً. فالعقل العملي قوة للنفس محرّكة للبدن إلى الأفعال الجزئية بالروية والفكر على مقتضى آراء تخصصها، عقلية أو اصطلاحية. وهذا العقل العملي له اعتبار بالقياس إلى القوة الشوقية والنزوعية، وهي التي يحدث منه فيها هيئات يختص

بالإنسان يستعد بذلك لسرعة الفعل والانفعال؛ مثل الخجل، والحياء، والضحك، والبكاء، والخوف، والغم، والحزن، والحرص، والنهم، والشبق، والرحمة، والأنفة، وغير ذلك. واعتبار بالقياس إلى القوة المتخيلة، وهو ¹⁸⁶ انبساط التدابير واستخراج الصنائع الإنسانية والتصرف فيها؛ كالتجارة، والنجارة، والفلاحة، والملاحة، وما أشبه ذلك. واعتبار بالقياس إلى ذاته وبمعونة العقل النظري، وهي الآراء التي تتعلق بالأعمال وتستفيض ذائعة مشهورة؛ كقبح الكذب، والظلم، والجور، وحسن العدل، والجميل، وفعل الخير لا على سبيل البرهان، ويجب أن يكون العقل العملي مسلطاً على القوى البدنية على ما يوجبه العقل النظري فلا ينفعل عنها، بل تكون هي دائماً منفصلة عنه داخلية تحت قهر سلطانه فلا يحدث فيه من علاتق البدن هيئات انقيادية حاصلة من الأمور الطبيعية يسمى أخلاقاً شرسة رذلة، فهذه هي القوة العملية التي للنفس بالقياس إلى البدن وسياسته. وأما العقل النظري فهو الاعتبار الذي للنفس بالقياس إلى الجنبه العالية لينفعل عن تلك المبادئ ¹⁸⁷ دائماً وتقبل الفيض الروحاني عنها من العلوم الحكيمه والمعارف الحقيقية فتتحريك النفس البدن وما فيه من آلات الفعل وكذا ترتيب الحدود والأقيسة. وأما الإدراك سواء كان بذاتها أو بواسطة الآلات فإنه انفعال لها عن المبادئ {المفارقة للنفس} ⁽¹⁾ إنما تكثر أحوالها وتختلف لتكثر الآلات واختلاف {المعدات وبنوع} ⁽²⁾ الهيئات البدنية، وإلا فهي التي تحس وتغضب وتشتهي وتخاف وتعلم، ولكن ⁽³⁾ كل واحد من الأحوال عند حصول هيئة {مخصوصة وشرط} ⁽⁴⁾ مخصوص، وهي الموصوفة بجميع العوارض البدنية {والعقلية وليس} ⁽⁵⁾ في البدن قوة أخرى توصف بشيء من العوارض والأحوال غيرها {بجميع ما في البدن} ⁽⁶⁾ من الأفعال والانفعال يرجع حاصله وأمره إلى شيء واحد وهو النفس الناطقة وجميع الهيئات والعوارض ¹⁸⁸ تابعة لإدراكها، فيتبع إدراك النفس للأشياء الغريبة النادرة حالة تسمى التعجب ويتبعه الضحك، ويتبع إدراكه للأشياء المؤذية حالة تسمى الضجر ويتبعه البكاء، ويتبع {شعوره بأن غيره} ⁽⁷⁾ علم أنه أقدم على قبح حالة تسمى الخجل، ويتبع ظنه {بحصول ضرر في

(1) مطموسة من المخطوط (س).

(2) مطموسة من المخطوط (س).

(3) مطموسة من المخطوط (س).

(4) مطموسة من المخطوط (س).

(5) مطموسة من المخطوط (س).

(6) مطموسة من المخطوط (س).

(7) مطموسة من المخطوط (س).

المستقبل⁽¹⁾ حالة تسمى خوفاً ويقابله الرجاء، وعلى هذا القياس {يستخرج جميع⁽²⁾} العوارض والهيئات التابعة للإدراك، فإذا أدركت النفس {أمراً من⁽³⁾} الأمور الملائمة أو المنافرة، حصل فيها هيئة من الهيئات {المناسبة للشيء⁽⁴⁾} المدرك، إما فعلية أو انفعالية، ثم تهبط منها وتسري إلى البدن {الهيئة⁽⁵⁾} المزاجية التي للبدن الموجبة لتعلق النفس بالبدن فيحصل في البدن هيئة توجب تغييره عن الحالة المعهودة الطبيعية؛ فالمدرك لجميع المدركات بجميع أصناف (التحريكات والمحرك لجميع الحركات بجميع أصناف¹⁸⁹ التحركات)⁽⁶⁾ شيء واحد في ذاته، وإن تعددت واختلفت مدركاته، وقد ذكروا أن وجوه واختلاف أفاعيل النفس يكون من أربعة أوجه، أحدها بالشدة والضعف: كالظن واليقين، والبدهي، والكسبي. والثاني بالوجود والعدم: كالتحريك، والتسكين، والشك، واليقين. والثالث بالبطء والسرعة: كالحدس، والتفكير. والرابع اختلاف الأنواع مع اتحاد الجنس القريب: كإبصار السواد والبياض، وإدراك الحامض والحلو أو مع اختلاف الجنس أما القريب كإدراك الألوان والأصوات، وأما القريب والبعيد كالتحريك والإدراك. ثم ذكروا بعد هذا أي هذه الأنواع يستدعي قوتين، وإنها تستدعي قوة واحدة وكله فضول، وهذا رأي الصواب والحق ما ذكرناه: أن المدرك والمحرك شيء واحد وفق عقلنة غير متكررة¹⁹⁰ أصلاً، وإن كان أفعالها وانفعالاتها تختلف وتتكرر بسبب القوابل والمعدات وحصول الشرائط ومواتات الآلات مع عدم المانع، وهي في الحقيقة شمس عقلية لطيفة. وكما أن (الشمس)⁽⁷⁾ الجرمانية مع وحدتها وبساطتها تفعل أفعالاً مختلفة بحسب فكثر القوابل والمواد. فذلك النفس الروحانية النورانية تختلف أفعالها لكثرة المعدات والقوابل والآلات، فهي مع وحدتها تحتاج في كل نوع من الأفعال والانفعالات إلى آلة مخصوصة واستعداد مخصوص إلحاق أدى بأن لك أن ذاتك وسائر الذوات النفسانية نفس الظهور والوجود والصفاء المطلق لا غير. وكذلك الذوات العقلية، وكذا العلة الأولى. وكان قد ظهر لك فيما سلف أن الامتياز بين العقول والنفوس والمبدأ¹⁹¹ الأول، إنما هو بشدة الظهور وضعفه وكمال الوجود ونقصه،

(1) مطموسة من المخطوط (س).

(2) مطموسة من المخطوط (س).

(3) مطموسة من المخطوط (س).

(4) مطموسة من المخطوط (س).

(5) مطموسة من المخطوط (س).

(6) ذكر في المخطوط (س) فقط.

(7) في المخطوط (س) أضواء، وفي المخطوط (ن) الشمس.

وأن المبدأ الأول جل جلاله ظهور صرف لا يكون أتم منه ووجود محض لا يوجد أشد منه وباقي المجرّدات من العقول والنفوس شعاع منه وعكس من نوره. وتلك العكوس مترتبة الفيضان مختلفة في الشدة والضعف باختلاف (عكوساتها)⁽¹⁾ وباختلاف المنعكس عنه مقهورة ومنطوية تحت نوره الأزلي، كأنطواء الأشعة في قبضة الشمس، وهذه الأشعة العقلية (قائمة بالنور الأول قيام الأشعة بالنور الشمسي، وهي أعني الأشعة العقلية)⁽²⁾ على اختلافها بالقوة والضعف وشدة الظهور والجلاء مختلطة بعضها ببعض نفوذًا (وممتزجة امتزاجًا عقليًا ونافذة بعضها في بعض نفوذًا عقليًا)⁽³⁾، تفهم ذلك إلا نموذج بنفوذك في الأجسام العنصرية والفلكية والجواهر العقلية عند تصورك لها¹⁹² وحضورها في ذاتك ومشاهدة ذاتك لها عند الالتفات إليها ولحظها والإحاطة بها عند علمك بها بالفكر والوهم والتجرد وكمال النفس الناطقة، إنما هو بالإحاطة بجميع ما في حضرة الربوبية تقدست أسماؤها إحاطة تغفل مطابق للوجود في نفسه ومنتعشة بهيئة الوجود والظهورات مبتدئًا من المبدأ الأول وسالكًا بالنزول على العقول والنفوس والأفلاك والعناصر والمركبات وقواها الطبيعية والنباتية والحيوانية والنفوس البشرية ومراتبها حتى تنتهي بالصعود إلى العقل المستفاد، وهذه الموجودات (الظاهرة)⁽⁴⁾ في صحيفة النفس، مختلفة في ظهوراتها؛ فبعضها ظهورها عام غير مقيد، وذواتها نفس الظهور، لا أن الظهور زائد على ذواتها، بل هي نفسه وهي ذوات مجردة عن المواد روحانية لا يشوبها ظلمة أصلًا، وهي¹⁹³ الباري تعالى والملائكة الروحانيون والملائكة الكروبيون المسماه بالنفوس السماوية. ثمّ النفوس البشرية على اختلاف ظهوراتها، وهذه العوالم الثلاثة هي ظاهرة في نفس الأمر، فظاهرة عند ذاتها، أي هي مدركة وشاعرة بذاتها. ثمّ الأجسام على اختلافها ظاهرة في نفس الأمر غير ظاهرة عند ذاتها؛ لأنها لا تدرك ذواتها ولا يحصرها عندها شيء، اللهم إلا عند بعض قواها، وهي الأوهام، ثمّ العالم المثالي الموجود فيه جميع ما في العالم من الأجسام العنصرية والفلكية والنفوس والعقول أيضًا وظهوراتها أيضًا مختلفة كما ذكرنا في غيره، فإذا كان ذاتك والجواهر العقلية والنفسية نفس الظهور الظاهر في نفس الأمر وفي ذاته المظهر لغيره، بمعنى أنه يظهر عندها ما في الوجود، وكان بعض الموجودات ظاهرًا في نفس الأمر وإن لم¹⁹⁴ يظهر ذاته لذاته، فإذا أحاط ظهورك بسائر الظهورات

(1) في المخطوط (س) علوياتها، وفي المخطوط (ن) عكوساتها، وهي الأصح.

(2) ذكر في المخطوط (ن) فقط.

(3) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(4) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

المختلفة، وذلك إنما يكون باستكمال صناعة الحكمة وتصير ملكة تامة، فهي حين أرادت الإشراف على سائر الموجودات ومطابقتها والانتعاش بها في هذا العالم، فتصير الحكمة، أعني أعيان الموجودات بالحضور والشهود والفكر والوهم كلها حاضرة ولا تجد بين ظهورها حجاباً ولا نقاباً وتجد ذاتك متحدة بالكل وواسعة له ومحيطه به غير عاجزة عن شيء ولا تقيق عن الإحاطة بموجود ما، بل تقوى على الإدراك غير المتناهي؛ لأنها لطيفة روحانية صافية، بل هي نفس الصفاء والظهور غير متناهية؛ لأنها غير جسمانية، ومن الدليل على شدة لطفها وقوة روحانيتها، أن أي موجود حضرته وأدركته صارت هي هو بلا انفصال، حتى إن كان المدرك مما له شكل شكلت بشكله وهيئته، وإن كان أمراً عقلياً اتخذت به اتحاداً عقلياً غير ملتصق بها شيء من النهايات والأقطار¹⁹⁵ المختصة بالأجسام وتوابعها والتقييدات ولوازمها، بل إدراك المجردات هو ظهورها للنفس أي الظهور المطلق، وذلك حضور عقلي وأثر روحاني لا غير. فتكون في هذا الإدراك العاقل والمعقول (والعقل)⁽¹⁾ واحداً أو قريباً من الواحد وبالجمله. فعجائب هذا الجوهر وإدراكاته والتلبية له بالحقيقة ولسائر الجواهر العقلية النورانية لا تحصى ولا تعد. فإذا نفعه الإنسان في الجواهر المجردة وإدراكاتها ولوازمها، ففي كل لحظة ولمحة يلحظ من العجائب ويعاين من الغرائب أموراً يعجز اللسان الفصيح عن الأنابة عنه والتعبير بلفظ يؤدي حقه، فإذا بلغت النفس هذا المبلغ من الاستكمال بالحكمة الحقيقية فتقلب عالماً معقولاً محاذياً للعالم الموجود مشاهدة في كل آن للوجود على ترتيبه وملاحظة للحس المطلق والجمال المطلق ومتحدة في ذلك ومنقشة بمثال وعائدة إلى جوهره ومتصفة بصفاته¹⁹⁶. ولما كان في تعلق النفس بالبدن عائقاً لها ومانعاً عن كمال المعرفة وعن التجرد التام غير المشوب بالأوهام والخيالات لا جرم لا تكمل معرفتها ولا تصفو في إدراكها ولا يتم التنازها (وسرورها)⁽²⁾ إلا بالخلاص عن البدن والتبرؤ من شواغله بالكلية. والواجب على من رزقه الله تعالى الإحاطة بهذه الأمور، وأظهره على هذه الأسرار وإقامة مقام الحكماء الأخيار أولي الأيدي والأبصار، أن يشكر الباري - جل جلاله وعز كبرياؤه - أثناء الليل وأطراف النهار، على ما أولاه من الأنعام والإحسان. وشكره إنما يكون بضبط وهم حواسه ويكون مخاطبته مع نفسه ومفاوضته مع ذاته؛ لأن العارف إذا أحاطت نفسه بهيئة الوجود وانتقشت ذاته بصورة الموجود من لدن المبدأ الأول إلى الهولي هابطاً وآتياً بالترتيب على المعقول والنفس والأفلاك والعناصر ومركباتها¹⁹⁷ وقواها وأعراضها على ما ينبغي. فقد تم

(1) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(2) في المخطوط (س) مرورها، وفي المخطوط (ن) سرورها، وهي الأصح.

سلوكه وانتهى الأمر إلى حد نقل شركاؤه في مرتبته وينذر نظراؤه في صفته، فحينئذ ينقبض لسانه وتقل عبارته اللفظية وينبسط القلب بسطاً روحانياً غير متناهي الأقطار؛ لأنه لا قطر ولا مقدار له ولا جهة ولا بعد، فتكثر المحاورات العقلية المعنوية لنفسه مع نفسه؛ لأنه لا يبقى مع هذه إلا معاني محصنة وأنوار صرفة لا يطابقها لفظ من الألفاظ ولا يوازها؛ لأن الألفاظ التي عندنا ما وضعت لتلك المعاني الشريفة المقدسة، بل وضعت للأجسام والأعراض، فإذا عبرنا عن المعاني المجردة بالألفاظ فيكون ذلك مجازاً متشابهاً يوقع في أكثر الأحوال حيرة وضلالة وانحرافاً عن سواء السبيل. ولا يفهمها حق الفهم إلا الفضلاء المستعدون والحكماء (الراسخون)⁽¹⁾. فلا جرم يعسر على مثل هذا الرجل الألفاظ وتتعذر عليه العبارات، فتصير¹⁹⁸ مفاوضة نفسية وتردد المعاني في ذهنه مجردة عن الأقوال اللسانية؛ لهذا قال المعلم الأول أرسطو طاليس: "إن الحكيم إذا انتهى إلى هذا الحد من العلم، سكت ونقله قوم أمسك". وهو تفسير سكت؛ ولأن العارف إذا بلغ إلى هذا الحد (من المعرفة)⁽²⁾ لتستأنس نفسه بنفسه ويسر وتفرح كلما نظرت إلى ذاتها منقوشة بالوجود ومزينة بالشهود، فتستوحش من الخلق ومن مخاطبتهم ومكالمتهم لجهلهم بما علمه، وذهاب الأنس واللذة عند الاشتغال بهم لخلوهم عما اتصف به (وتقصيرهم عن بلوغ شأوهم وانحطاطهم عن الوصول إلى حدة في العلم)⁽³⁾ ومرتبته في المعرفة، فيصير كلفته في مخاطبة هؤلاء ومجاورتهم كلفة العاقل الذكي في مخاطبة الغافل الأبله بالأشياء التي تبعد عن إدراكها. فالأولى والأخلق بالعارف الحكيم أن ينزه نفسه عن مخاطبة من ليس متصفاً به ويصون ذاته عن الاشتغال¹⁹⁹ بهم (والالتفات)⁽⁴⁾ إليهم بوجه من الوجوه، فالراحة في ذلك والعذاب والبطالة في مخالطتهم وعشرتهم.

[فصل⁽⁵⁾ النفس الناطقة لما كانت مفارقة للبدن ولجميع الأجسام، فهي روحانية (قائمة) بذاتها، وإدراكها لجوهرها هو عبارة عن ظهورها وصفائها. فذاتها هو الصفاء المحض والظهور والإشراق المحض، وهو نفس إدراكها الحضور واتصالها بالبدن وتعلقها به ليس كاتصال عرض لموضوع ولا صورة بهيولي، بل اتصال تدبير وتعلق شوق وعشق، فإن قطعت النظر عن التدبير والتصرف عن

(1) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(2) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(3) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(4) في المخطوط (س) ولتقلت، وفي المخطوط (ن) والالتفات، وهي الأصح.

(5) محاة من المخطوط (ن).

البدن، وذلك يكون بترك استعمال قواه، (فهو حينئذ تكون مفارقة تنظر إلى صفاتها وظهورها مطهرة عن دنس العنصريات، منزهة عن النهايات الجسمية والأقطار الحجمية والصور الشكلية نحو تؤدي لا ساحل ولا جهة له، وهو أصرف لا بُعد ولا شكل له²⁰⁰، غير منحصر في شيء ولا تعين له في ذاته ولا يعين في ذاته ولا ينضبط في حس ولا وهم ولا يحويه سماء ولا أرض، وليس هذا الجوهر مما يدرك ظاهراً ويتعين له صورة مشخصة لكليته وشدة ظهوره وكونه سارياً بالكنه في جميع الموجودات الروحانية والجسمانية لا تخلو عنه ذرة من ذرات الوجود ولا يلزم من عدم بعينه في الظاهر عدم إدراكه. ولا شك في حصول أثره، وهو الظهور المحض العام غير المقيد بشيء من التقيدات والتعينات، بل هو الهواء المحض والخلاء الصرف الذي لا صورة له غير الوجود، وهي كالهولي الخالية عن جميع الصور وليست في حقيقتها ذات صورة في نفسها، لكنها قابلة لسائر الصور؛ ولذلك⁽¹⁾ عسر معرفتها، لكون أكثر علومها صورية، وهي لا صورة لها. فالعلم بها لا يكون بالصورة؛ لأن ما لا صورة له فالعلم به كذلك لا يكون بصورة، وإذا كان حال النفس كذا، أعني أنها لا صورة لها ولا تعين ولا تشخص، بل ظهور عام وصفاء مطلق²⁰¹ ونور روحاني غير موصوف برسم ولا متعين باسم، فالعقول أتم بساطة وأشد⁽²⁾ ظهوراً وأعظم تجرداً، والباري جل جلاله أعظم وأتم وأشد من الكل بساطة وتجرداً. فمعرفة الباري (تعالى)⁽³⁾ والعقول المجردة والنفوس الناطقة ليس فيها شيء له صورة أو تعين أو تشخص يدرك عند المعرفة على التعيين والتحقيق، بل لا يدرك إلا ظهورات محضة كلية وأنوار صرفة عامة نورية روحانية، لا يتقدر ولا تتشكل ولا تتعين وهي بسائط ووجودات في غاية الدقة واللطافة نافذة في أقطار العوالم غير واقفة ولا مستقرة في شيء، بل سارية سياله عنها قائمة بذاتها صافية مشرقة على غاية ما يكون من الظهور، لا أن الظهور والصفاء والإشراق زائد عليها، بل هو نفسها وذاتها وهو عين إدراكها أيضاً وكل ما لا يدركه المدرك بنفس ذاته بل بشيء غير ذاته من صفة أو حالة معينة مقيدة أو منضبطة أو بآلة أو واسطة من قوة أو²⁰² غيرها فله تعين ما، وما يدركه الإنسان بذاته دون صفة أو حالة معينة أو واسطة من قوة أو آلة، فهو مطلق بعيد عن اليقين والحصر والانضباط لشدة بساطته ومحض تجرده وتنزهه عن إحاطة المقادير والتناهي غير داخل تحت حكم خاص ولا مقام خاص معين ولا صورة معينة، بل تجد ذاتك مطلق الحال

(1) ذكر في المخطوط (ن) فقط.

(2) في المخطوط (س) وأتم، وفي المخطوط (ن) وأشد، وهي الأصح.

(3) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

الكلّي المتساوي النسبة إلى جميع صور الموجودات كلها، وهي كأنها مرآة (مرايا)⁽¹⁾ الوجود فيها يتجلى ويظهر سواء كانت محسوسات أو مثالات أو معقولات، فجميع الصور تتجلى وتظهر في ذاتك التي لا صورة لها ولا تخصص ولا تعين وتقيد وتجدد لا يدرك لذاته أثر ولا يعرف له عين ولا خبر؛ لأن كل هذه صفات الأجسام وتوابعها وهي مجردة عن جميع المواد، قائمة بذاتها، صافية نقية من غير دنس الأجسام، والحضور الإشرافي والظهور النوراني والصفاء الروحاني الموصوف بما ذكرنا من عدم التخصص والتجديد الذي لا عين له ولا أثر²⁰³، هو حقيقة النفس⁽²⁾ وهو إدراكها الروحاني البسيط المخالف لجميع الإدراكات. وتحتاج هذه المعرفة والإدراك إلى لطف عظيم وذكاء مفرط وحس صائب⁽³⁾ ولشدة ظهوره ولطفه وتمام بساطته، تعلمه وكأنك ما علمته، وتراه وكأنك ما تراه؛ كما قال القائل: "كثر العيان على حتى أنه صار اليقين من العيان توهماً"⁽⁴⁾. وكما قال الآخر: "أنكرتهم نفسي وما ذلك الإنكار إلا لشدة العرفان"⁽⁵⁾. ولكون النفس في جوهرها وذاتها ظهوراً مطلقاً غير متعين ولا متشخص ولا متقدر ولا متشكل ولا متصور بصورة ولا مقيد بقيد ولا تترك بل ازمن من اللوازم، بل هي أمر روحاني كاليولي، التي هي في حقيقة ذاتها عربة مجردة عن جميع الصور التي لا يتعين ولا يتشخص إلا بالصور، وهي في ذاتها غير متعينة ولا متشخصة، فيكون إدراكها مجرداً عن الصور متقدراً كاليولي، غير المدركة على حليتها، وغير المتعينة إلا بالصور. فالنفس لخلوها في ذاتها²⁰⁴ عن الصور، كالخلاء الصرف غير المتناهي وغير المتشكل والمتقدر، ولكن يتعين ويتشخص ويظهر في كل عالم بصور ذلك العالم، فظهورها وتعينها في عالم الحس يكون بالصور الحسية وفي عالم المثال⁽⁶⁾ بالصور المثالية وفي عالم العقل بالصور العقلية. وظهور هذه الأشياء في النفس كظهور الصور في المرايا، فكما أن الصور ليست في المرايا مع تخيلنا إنها فيها، فكذلك ظهور هذه الصور في النفس تتخيل أنها فيها وإن لم تكن فيها، بل النفس مجردة قائمة

(1) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(2) في المخطوط (س) اليقين، وفي المخطوط (ن) النفس، وهي الأصح.

(3) في المخطوط (س) حايب، وفي المخطوط (ن) صائب، وهي الأصح.

(4) هذه المقولة ذكرت في: أحمد بن محمد ابن عجيبة الحسيني (المتوفى 1266هـ)، إيقاظ الهمم في شرح الحكم للعارف بالله تعالى الشيخ تاج الدين أحمد بن محمد ابن عطاء الله السكندري (المتوفى 709هـ)، ضبطه وصححه ونسقه وعلق عليه

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي (دار الكتب العلمية، بيروت، 2013) فقرة 215 ص 402

(5) أحد ستة أبيات للشاعر العباسي أبو تمام: حبيب بن أوس بن الحارث الطائي أحد أمراء البيان، ولد سنة 188هـ

وتوفي سنة 231هـ (الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، أبو ظبي).

(6) في المخطوط (س) عالم المثالي، وفي المخطوط (ن) عالم المثل، وهي الأصح.

بذاتها، (كذلك هذه الأشياء قائمة بذاتها)⁽¹⁾. فالنفس كمرآة لا صور لها ولا تعين، وإنما تعينها وظهورها بما يظهر فيها عند غير المستبصرين، وأما الفضلاء المحققون فإنهم ينتزعونها ويجردونها عن جميع الصور والعوالم وكل ما هو غريب عنها، ويدركونها بذاتها لا بصورة ولا بمثال ولا شيء غير ذاتها، بل بذاتها الروحانية المعرية عن سائر الصور والعوارض فلا تجدها حينئذ تزيد ذاتها على نفس الظهور فقط ولا شيء غير²⁰⁵ نفس الصفاء والخلاء المحض المحذوف عنه جميع العوارض الغريبة والصور المتشخصة والنهايات والحدود، وبالجملية عن كل ما هو من توابع الأجسام والأحكام والأوهام، وحينئذ لا يبقى رسم ولا اسم ولا خبر ولا عين ولا أثر ولا معدود ولا محسوب ولا كثرة بوجه من الوجوه وكل جوهر مجرد هذه حاله؛ فيشكل على البشر إدراكه ولا يهتدي إليه إلا الأولون⁽²⁾ من العقلاء (أولي الألباب)⁽³⁾ ووجودهم عزيز جداً. قال بعض إخوان الحقيقة والتجريد في وصف علة العلل ونور الأنوار وأصل كل مجرد والعقل والنفس داخلان تحت هذا الوصف (وإن كان هذا الوصف)⁽⁴⁾، في حق الباري تعالى، أشد⁽⁵⁾ وأتم وأعظم، فهيئات أن حقيقته تحدد وصف أو تخبر عنها (بعلم)⁽⁶⁾ أو يقتدر عليها ذهنه أو تكيفها العقول أو تقف في الأوهام أو تدخل في الأفهام. فمن كانت هذه نعوته وعز وجوده وعز مطلبه. وقال أيضاً²⁰⁶ عند إرادة إدراك الحقيقة: "أقل⁽⁷⁾ الكلام، وغيب عن الأوهام، وارفع الأقاليم عن (الرأي والأفهام)⁽⁸⁾، واقطع منه النظم والنظام وكن هائماً مع الهيام، (واطلع ليكون طيراً بين الجبال والأدام. وجبال الوهم، وأدام السلام لترى ما أدى من المعنى النوري والصفاء الروحاني، والبحر الذي لا ينتهي إلى ساحل، والفضاء الذي لا ينتهي إلى حد ولا قطر، والهواء الذي لا طول له ولا عرض، والعبارة لشرف المعنى وارتفاعه ضيقة جداً ومقصرة عن أنفى المعنى حقه من العبارة، ليكون الألفاظ غير موضوعة لهذه المعاني المجردة العقلية، بل موضوعة لأشياء أخرى. فإذا نقلت عن تلك الأشياء إلى المعاني المجردة عن المواد، يكون ذلك الإطلاق

(1) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(2) في المخطوط (س) الأقلون، وفي المخطوط (ن) الأولون، وهي الأصح.

(3) في المخطوط (ن) الألباء، وفي المخطوط (س) أولي الألباب، وهي الأصح.

(4) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(5) في المخطوط (س) أقعد، وفي المخطوط (ن) أشد، وهي الأصح.

(6) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(7) في المخطوط (ن) أقل، وفي المخطوط (س) أقل، وهي الأصح.

(8) في المخطوط (ن) الورا والأوهام، وفي المخطوط (س) الرأي والأفهام، وهي الأصح.

مجازاً ومتشابهاً ويقع النفس عند سماع تلك الألفاظ في حيرة وضلالة، إلا من شاء الله تعالى من ذوي العناية والمؤيدين من السماء، وهم نادر الوجود. واعلم أن العلم بالأجسام الحسية وأعراضها هو ظهورها²⁰⁷ للنفس بواسطة الحواس الظاهرة، مثلاً ظهور الأضواء والألوان والأشكال والمقادير للنفس بواسطة مقابلة هذه الأشياء للقوة الباصرة المودعة في العين، وكذلك الأصوات بواسطة الأذن، والروائح بواسطة الأنف، والطعوم بواسطة الذوق، والملموسات بواسطة اللمس المنبث في سائر البدن. وكل هذه الأعضاء وآلات النفس تدرك النفس بواسطتها جميع العجائب الموجودة في الأجسام فتقوى بإدراك هذه المعاني على إدراك المعاني العقلية، ويستعد للنهوض إلى ذلك العالم الروحاني البسيط؛ وذلك عناية من الله ورحمة. أعني وقوف النفس وشعورها في عالم الغربة لعجائب الأجسام والمعاني المودعة فيها بواسطة الحواس الظاهرة حتى لا يفوتها من العلم بها شيء. وأما العلم بالعالم المثالي فبظهور تلك الأشباح القائمة بذاتها للنفس؛ كأنواع الأجسام وأعراضها، إلا أن المعاني العرضية في الأجسام²⁰⁸ الحسية لا تقوم بذاتها، بل قوامها بحواملها التي هي الأجسام. ففي العالم المثالي تقوم بذاتها لا تحتاج إلى حامل ومحل. وظهورها للنفس بواسطة الحواس الباطنة التي هي آلات ووسائط لظهور هذا العالم للنفس قائماً بذاته لا في محل ومكان. فكما أن هذا العالم ألطف وأنور من عالم الحس، وأبعد عن المواد الجسمية، وأقرب إلى المبدأ الأول فكذلك القوى المدركة لعالم الحس. فإعطاء النفس هذه القوى الباطنة نعمة عظيمة وعناية شريفة؛ لتذهب وتصفى وتعتاد التجرد وتألف التعود بواسطة تمرنها للإدراك المثالي المتصل بأفق العالم العقلي وكثرة تصفحها لأحوال هذا العالم واعتبارها لدقائقه وحقائقه وشدة الخوض والانتقال في معرفته والوقوف على معانيه؛ تجعل النفس صافية نقية مجردة قوية على إدراك الأمور العقلية المحضة، فيستبعد بذلك الاتصال بالعالم الروحاني للدخول في زمرة الملائكة²⁰⁹ الأعلى وعشرة إخوان الصفا. فهذا البدن الإنساني الذي هو بيت للنفس وسبب لاستكمال ملأه الباري جل جلاله بالقوى والحواس، لتدرك بكل قوة شيئاً من المعاني القريبة العجيبة بالأكيف إلا كثف وبالألطف إلا لطف حتى لا يفوتها معرفة شيء من العوالم الموجودة والمحققة إلا وبخبره وتحيط به⁽¹⁾ فبظهور هذه الأشياء للنفس بعدها لإدراك ذاتها وإدراك المجردات المحضة من النفس والعقل. والعلة الأولى إدراك هذه العوالم الثلاثة المجردة عن المواد الجسمانية ليس كإدراك العالم الحسي والمثالي؛ لأن في إدراكه لهذين العالمين يحتاج إلى حضور الصور

(1) ذكر في المخطوط (ن) فقط.

وظهور الأشباح المتناهية الأقطار ذوات الرسوم بخلاف إدراك النفس ذاتها. وهذه العوالم الثلاثة فإن إدراكها لا يتصور إلا بالخلو عن الصور والرسوم والغيبة عن الأقطار والجهات²¹⁰ وبالجملية فالتجرد التام عن الأجسام بالأعراض والتطهر البالغ عن ميل الأشباح والتعرف العظيم في عالم الأرواح والتفقه في معرفة ذوات المجردات والبحث المستقصي في صفات البسائط المفردات فالمحو والغيبة عن العالم الحسي والمثالي عن إدراك العالم النفسي والعقلي ومعنى كون النفس عالمة بذاتها هو تجردها عن المواد ولواحقها فمتى تركت النظر عن الجسم وتوابعه فأنت ناظر إلى ذاتك المتصلة بما فوقها من المجردات المتحدة بها، ويكون حينئذ مفارقاً لجميع الأجسام والجسمانيات فإدراكها هو نفي الإدراك الصوري، ومحو العلم الرسمي التصوري والتصديقي، فلا تجد يبقى بعد هذا الحذف إلا الخلاء الروحاني غير المقيد بشيء من الأجسام وعوارضها والوجود والعماء المطلق، والفضاء العام، والبحر غير المنضبط، والنور²¹¹ والهواء البسيط غير المتخصص. وليس بعد هذا عبارة ولا إشارة ولا لسان ولا حرف ولا صوت ليدل بها على شيء، ولا اسم ولا رسم ليخبر عنها بشيء والأمور التي لا تدرك إلا بالمحو والتلاشي؛ كيف يمكن أن يعبر عنها بعبارة أو يشار إلى حقائقها بإشارة، واللسان والحرف والصوت والإشارات الحسية، بل البدن جملة، بل الأطلس وما في حشوه من جملة ما يغني عنه ويغيب، ولهذا قال القائل: "من عرف الله كل لسانه"⁽¹⁾. أي لم يجد عبارة تؤدي حق ذلك المعنى الروحاني البسيط، ولا لفظاً يبني عن تلك الذوات النورانية المحضة القائمة لا في أين. وأكثر ما عبّر عنه أرباب الاستبصار وأهل المعرفة من الأنبياء وأساطين الحكمة والولاية وأصحاب الذوق والكشف، عبارات وإشارات رمزية وأمور جمالية تمثيلية²¹²؛ لعلمهم بقصور أفهام الخلق عن احتمال سماعه وضيق حواصلهم عن فهمه وإدراكه. والغالب أن إدراك أمثال هذه الأشياء يضر بأكثر الخلق. واعلم أنك إذا علمت صورة من الصور؛ كالسماء والأرض وغيرها، فالمعلوم شيء وهو صورة السماء مثلاً، والعلم شيء آخر وهو حصول صورة السماء في الذهن، والعالم هو النفس. وهذه الأمور الثلاثة متغايرة بخلاف إدراك النفس ذاتها، فإن العالم هناك هو الظهور والإشراق المحض والنور والحضور الصرف الذي هو حقيقة النفس، والعلم بها هو الظهور العقلي أيضاً، وكذلك المعلوم هو الصفاء والظهور والإشراق. فقد اتحد في علم الإنسان بذاته العالم والمعلوم والعلم، ولم يبق

(1) محمد علي بن علي محمد التهانوي الحنفي (المتوفى بعد سنة 1158هـ)، كشف اصطلاحات الفنون، الجزء الثالث

(دار الكتب العلمية، بيروت، 1998) ص263

تغاير كما في الإدراك الصوري لشدة البساطة ودقة المعنى ومحو الرسم²¹³ وطمس الصور والأشباح وزوال الهموم والأفراح والوقوف بعد المحو الجسماني على الصحو البسيط الروحاني الثابت الظهور على حالة واحدة، وهو الفضاء الظهوري الواحد غير المتكرر والمتجزي يدرك الجسم الممتد الذاهب في الجهات، فيمتد معه وهو شيء واحد غير ممتد في ذاته ولا متحرك⁽¹⁾؛ لأن الامتداد والذهاب في الأقطار والجهات من خواص الأجسام وهو غير جسم ولا جسماني، بل ذاته وحقيقته نفس المعنى الواحد النوري الإشرافي الخالي عن جميع الصور والأشباح، بل حقيقته وإدراك حقيقته كما علم شيء واحد وهو نفس الوجود لا غير، وإذا لم يكن له امتداد ولا جهة ولا صورة؛ لأن كل صورة جسمية يلزمها النهايات وهو لا يتناهي ولا ينضبط ولا يتخصص، بل هو عبارة عن أمر²¹⁴ عام وشيء مطلق يشبه الخلاء المحذوف عنه جميع الصور ولا يضيق عن جميع الصور الجسمية ولا عن المثل الخيالية، بل يظهر كل الوجود في فضاء فسحته الذي لا يتناهي ولا يتصور ولا يتشبح، بل هو كالهولي الخالية في ذاتها عن الصور القابلة لها على سبيل البديل، ومعنى لكون الأشياء الحسية في النفس كونها مثال لها وظهور لها. أي صوري الظهور، معنوي، خال من الصور. ومعنى كون الأشياء العقلية في النفس أنها علم لها وظهور عقلي لا صورة له ولا مثال، وإنما قويت النفس على جميع هذه الإدراكات العجيبة المختلفة؛ لأنها بسيطة روحانية بين الأشياء العقلية غير المتحركة (والحسية المتحركة)⁽²⁾ المتجزئة، فتدرك الحسيات والمثالات بما لها من القوة البدنية التي هي بسبب ظهور الضوء والأشباح التي لا صورة له ولا شبح ولا اسم ولا رسم. وليس إدراك النفس للحسيات²¹⁵ والمثل الخيالية بانتقالهما إلى النفس أو بتحريكهما أو بتحريك النفس أو بغيرهما، بل النفس جوهر بسيط وذات روحانية لا مثال لها ولا صورة خالية عن جميع الرسوم تدرك كل عالم في مقامه، إن كان مكانياً فتظهر بواسطة الحواس في المكان للموجود المطلق البري عن المكان، وإن كان مثالياً فبظهوره {قائماً بذاته}⁽³⁾ لا في مكان ومحل لظهور موصوف بذلك أيضاً؛ لأن المثل الخيالية {متشخصة متصورة}⁽⁴⁾ متفردة متناهية الأقطار والنفس منزهة مطهرة عن جميع ذلك {وتدرك

(1) في المخطوط (س) لا متجزأ، وفي المخطوط (ن) لا متحرك، وهي الأصح.

(2) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(3) مطموسة من المخطوط (س).

(4) مطموسة من المخطوط (س).

الظهورات⁽¹⁾ الروحانية والمجردة عن المواد والمكان والصور والأشباح لا بقوة {ولا بحاسة بل بالمعنى}⁽²⁾ الظهوري الذي هو حقيقة ذاتها. ومعنى قولنا: إن النفس هي العدم المحض، أي جوهرها (وإدراك جوهرها)⁽³⁾، وهو عبارة عن عدم الأشياء الحسية والخيالية واستهلاكهما، الذي هو ²¹⁶ عبارة عن عدم شعورها وذهولها عن جميع الصور والأشباح. فمتى قطعت النظر عن غير ذاتك من العوالم، فإنه لا يمكنك قطع النظر عن غير ذاتك ولا الغفلة والذهول عن ظهورك وإشراقك المعنوي الوجداني، بل في هذه الحالة يشتد {ظهورك}⁽⁴⁾ ويقوى وجودك ويغشو نورك الذي كان مستهلكاً ومنطمساً ومشغولاً بظهورات أعيان الموجودات عنده، فإذا قطع النظر عن إدراكها وتصوراتها وحذفها جملة عن ذاته، فيحصل له الشعور بذاته على وجه أقوى وأشد (وَأْتَم)⁽⁵⁾ وأعظم دائم ظهوراً لانفكاك ظهوره عن الظهورات الأخرى التي بعضها متحدة بظهور ذاتها وممزوجة ومخلوطة بها، وبعضها يتمثل بظهورها بذلك الظهور الحاضر عندها ويشغل بالظهور المحض المتخصص عن ظهورها المطلق غير المتخصص والمنضبط²¹⁷ [في معرفة]⁽⁶⁾ متعلق النفس الناطقة، إنما هو الروح النوراني النفساني المبيثوث في جميع البدن. وهذا الروح هو حامل القوى البدنية، التي هي بعضها مقالات ومظاهر محضة، (وبعضها ميول ودفع وجذب)⁽⁷⁾، وبعضها له حكم وتصرف ما، وهذا الروح يتغير مزاجه بحسب وصوله وتردده في أعضاء متعددة مختلفة، ولشدة مناسبة هذا الروح للنفس الناطقة من وجوه عدة مذكورة في الإشراق، وكونه مظهرًا ومرآيا للموجودات بواسطة البدن، اشتد عشقها للبدن وميلها إليه وعكوفها على مصالحه، حتى توهم أكثر الخلق أن النفس هو البدن؛ لقوة الاتحاد والممارسة للبدن وأجزائه، وكونه مظهرًا لها ومنزلًا تسكنه، وإن لم تكن فيه إلا أن النفس لما لم تكن لها صورة هيولانية امتدادية مقدارية، بل كانت نفس الوجود والظهور المطلق فحسب إذا حذف الزائد على هذا، وكان البدن مجمعًا لأثاره وأفعاله²¹⁸ وسببًا لذاته ومحلاً لتصرفاته، وكانت المظاهر والصقالات التي يظهر بها للنفس عالم الحس وأعراضه أشد وأتم وأقوى وأعلق من المظاهر

(1) مطموسة من المخطوط (س).

(2) مطموسة من المخطوط (س).

(3) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(4) مطموسة من المخطوط (س).

(5) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(6) ممحاة من المخطوط (ن).

(7) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

الخيالية والعقلية وأعظم ألفاً (وتشابهاً)⁽¹⁾ لا جرم ذهلت النفس عن ذاتها الروحانية النورانية، ولشدة ألفها لما ذكرناه من الصور الحسية والخيالية والمعاني المتعلقة بها توهمت أن النفس لذلك إنما تحل في البدن أو في جزء منه، فإذا تهذبت بالحكمة والرياضة والاستبصارات المختلفة والاعتبارات وتقطنت كما ينبغي للعوالم العقلية والنفسية وألفتها والامتداد بها وداومت على ذلك زماناً يلحظ ظهورها النوراني الفردي البسيط، فإن صفا لها ذلك من الخيالات والتصورات الوهمية التي تخيل أن النفس الناطقة كالدائرة المحيطة بالبدن أو المحيطة بالأفلاك والعناصر؛ لشدة تصور العالم الجسماني، فإن النفس من حيث²¹⁹ التوهم والتخيل لا ترى صورة شيء إلا كانت تظن أنها متشكلة بشكل ذلك الشيء أو متصورة بصورته، لشدة لطفها وكمال روحانيتها وسريانها في جميع العوالم الروحانية والجسمانية والخيالية، وذلك يدل على كونها غير جسمية وغير متشكلة ولا لها صورة وإلا لو كان لها شكل أو صورة لكان شكلها وصورتها متعياً متشخصاً، فما كان حينئذ تدرك جميع الأشياء ولا كان يمكنه إدراك المخالف ومطابقته؛ لاستحالة إدراك المخالف للشكل والصورة وعدم المطابقة وإحاطة الصغير بما هو أعظم منه. فالنفس والعقل والحق تعالى لا يدرك بالصورة والمثال والشبح والخيال. والعلم بها خارج عن التصور والتصديق لخروج هذه العوالم المذكورة عنها، وكون إدراكها إنما هو بالحضور الإشرافي والظهور المعنوي النوراني. فإن قلت: إذا علم أحد شيئاً ولم يحصل فيه أثر، فما أدركه. وإن²²⁰ حصل منه شيء لابد من المطابقة فلا بد في هذا الإدراك من الصورة قلب هذا، إنما يكون في العلوم التصورية. وأما العلوم الإشرافية فلا يحتاج إلى ذلك، بل الذي يحصل لها بعد أن لم يكن، إنما هو الإضافة الإشرافية لا غير، ولا يحتاج إلى المطابقة المذكورة؛ وذلك لأن (الشيء)⁽²⁾ المعلوم إن كان مادياً فيكون العلم به مادياً بالصورة كما ذكرنا، بل بالحضور الإشرافي. فإن لم يكن يعلم كذلك فلا يكون ذلك علماً بذلك الشيء؛ لأن الشيء إنما يعلم بحسب ما تقتضي ذاته والأمور الروحانية الباطنة الغائبة عن الحواس والأوهام المحيطة بعالم الأجسام إحاطة حقيقية، قد تظهر في العالم الحسي بمظاهر تتحد بها نوعاً من الاتحاد، وذلك كالنفوس البشرية البارزة إلى العالم العنصري كالهياكل الطينية، ولأجل كمال الاتحاد، ويطلق في العرف، ويقال: "رأيت محمداً، ورأيت موسى، ورأيت عيسى". وتطيب النفوس بروية²²¹ تلك الهياكل التي للنفوس الفاضلة حتى أنه لا يريد وراء تلك المشاهدة شيئاً آخر، فإذا عرفت هذا الأصل مع معرفتك بأن النفوس ليست في

(1) في المخطوط (ن) وأنسابها، وفي المخطوط (س) وتشابهها، وهي الأصح.

(2) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

الأبدان، ولكن لها بها علاقة شوقية عشقية بواسطة مرايا ومظاهر مودعة في تلك الأجسام تنظر النفوس من تلك المرايا إلى عجائب الموجودات فعلى هذا يصدق أن يقال: "زيد نفس عمرو"؛ إذا كان بينهما تعلق وعشق وربط يوجب الاتحاد، فيلطف جواهر النفوس وشفيفها وشدة ظهورها ودقتها وعدم نهايتها وتمازجها، لا يخلو عنها مكان ولا جهة ولا ظاهر الأجسام ولا باطنها ولا ذواتها ولا هيئتها، فهي سارية في جميع الأجسام والمجردات، فأى موجود تصوريته وتمثله ونظرت إليه، اتحدت به نوعاً من الاتحاد كما قلنا في الأبدان. فيصدق حينئذ أن النفس هي تلك الصورة المتصورة التي قد لبستها النفس وتشكلت (بشكله)²²²⁽¹⁾ وسرت فيه بالكلية واستحضرت استحضاراً تاماً يصدق عليها ما صدق على بدن الإنسان. فإذا تصورت العالم الجسماني بما فيه من الأجزاء والأبعاد، كنت أنت العالم حينئذ وعند ذلك تتحد نفسك بنفس الكل لا محالة، المتحدة بما فوقها من الجواهر النفسية. وإذا علمت معقولاً لم يكن قبل ذلك تعقله فبالصورة تكون بعد قد اتصلت بمعلم يعلم ذلك، وإلا فكيف يتصور العلم بعد، والمتعقل بلا أستاذ ومرشد، وأنت حينئذ متصل ومتحد بمجرد عنده علم تلك المعقولات التي أدركتها، وهو أيضاً، أعني العقل، متصل ومتحد بمعلم وأستاذ يعلمه ذلك حتى ينتهي التعلم إلى معلم وواهب للعلوم، ولا معلم فوقه، وهو الباري جل جلاله. فعلى هذا نفسك متصلة ومتحدة بجميع العوالم وأنها تصوير حقيقة واحدة، فإذا علمت هذا فلنشرع في بحث أدق وأجل منه، فنقول: إن الباري²²³ تعالى غير خفي في ذاته، ولا يخفى عليه ما في عوالمه، بل هو متجلي وظاهر (ذاته لذاته فظاهر له جميع مخلوقاته)⁽²⁾ ومصنوعاته على نمط واحد غير متغير ولا متبدل ولا متجدد، أي لم يكن قبل ذلك، فهو تعالى ظاهر له كل صورة ويظهر أيضاً في كل صورة بحسب استعداد الرائي وقوته وصفاء نفسه وجودة حواسه واستعداداته على الأمور الجسمانية وتصدق حينئذ، أعني عند ظهوره في بعض الصور والحجب والملابس والمظاهر أنه رأى الباري تعالى بالمرآة البصرية، إذا الوهم كما يصدق قول القائل: "رأيت محمداً وإن لم يرى محمد إلا هيكله وترايه وقشوره". كذلك (تراه في بعض صور العالم)⁽³⁾ وقد تراه في كل العالم، فإذا قطعت النظر عن الصور الجزئية ورأيت في العالم الجسماني والروحاني فقد اتحد بها نوعاً من الاتحاد وصارت هي هو، وكلما

(1) في المخطوط (س) بصورتها، وفي المخطوط (ن) بشكله، وهي الأصح.

(2) في المخطوط (س) بذاته، وفي المخطوط (ن) ذاته لذاته فظاهر له جميع مخلوقاته، وهي الأصح.

(3) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

كانت النفس أقوى²²⁴ وأتم رأته⁽¹⁾ في صورة أجمل وأحسن حتى أن بعض السلاك يراه تعالى في صورة من عالم المثل لم يطق وصفها، ولا يمكنه التلفظ بذكر جمالها وبهائها. فإذا علمت اتحاد النفس بالعوالم على ما ذكرنا، وعلمت اتحاد الباري تعالى بالعوالم واتصاله بها على ما وصفنا ذلك من جهة العلو وهذا من جهة السفلى فيتحدان معاً؛ لاشتراكهما فيما ذكرنا وفي أشياء كثيرة (يطول)⁽²⁾ شرحها وبيانها وأعرف منه ما يرمزه الحكماء والمشايخ في شطحاتهم، فإن⁽³⁾ كل ذلك راجع إلى شدة قرب. واعلم أن الباري تعالى لما كان مبدعاً للعالم وخالقاً وموحداً وصانعاً له، وفيضه غير منقطع عنه؛ فهو متصل به وبكل أجزائه غير منفصل. وهذا وإن كان من جهة النظر العقلي فيه غير مسامحه من جهة إن العلة الأولى مجردة عن جميع المواد الجسمانية²²⁵، فهو غير متصل ولا منفصل، ولكن نحن في بحث ذوقي وجداني أرق وأعلى من ذلك. إذا علمت أنه تعالى متصل نافذ في جميع أجزاء العالم غير منقطع الفيض عن شيء، ولو كانت خردلة، وكذلك هو الحافظ للعالم وأجزائه؛ فالعالم بأسره صورة للباري بها يظهر ويتجلى في عالم الأجسام، ولولا ذلك لما قامت صورة في مادة أصلاً، وإذا كان كذلك فيكون الأفلاك والكواكب والعناصر والمركبات: كالأعضاء المصورة الكلية العالية الإلهية، وتكون العقول المفارقة كالقوى المفارقة لهذه الصورة الكلية اللاهوتية⁽⁴⁾، ويقرب من ذلك في العالم الأصغر، أعني الإنسان المماثل للعالم الأكبر، أعني كلية القوى الفكرية التي تفارق مع الإنسان فتكون أرباب الأصنام والنفوس السماوية والإنسانية²²⁶ والقوى المنطبعة في جميع الأجسام كلها قوى العالم الذي هو صورة الله سارية ومنبثة في جميع الأجسام. وهذه العقول المجردة والنفوس الناطقة السماوية والأرضية التي هي قوى الباري الموجودة السارية في صورته مختلفة في الشدة والضعف والصفاء والقدرة وكل قوة أشد ظهوراً وأتم نوراً، فهي أقرب إلى صاحب الصورة ويكون رب الصورة، أعني الباري، يفعل ويتصرف في بعض هذه⁽⁵⁾ القوى في العالم الذي هو صورته وفي أجزائه، كما تتصرف النفس الناطقة في بدن الإنسان وفي أجزائه بواسطة بعض القوى، وكل واحد من قوى هذه الصورة العالمية لا تستقل بالفعل غير رب الصورة والكلية²²⁷، بل لو فرضنا عدم رب

(1) في المخطوط (س) فإنه يراه، وفي المخطوط (ن) رأته، وهي الأصح.

(2) في المخطوط (س) يمكن، وفي المخطوط (ن) يطول، وهي الأصح.

(3) في المخطوط (س) إن، وفي المخطوط (ن) فإن، وهي الأصح.

(4) في المخطوط (س) الإلهية، وفي المخطوط (ن) اللاهوتية، وهي الأصح.

(5) في المخطوط (س) في كمية، وفي المخطوط (ن) في بعض هذه، وهي الأصح.

الصور لعدم العالم وما فيه من القوى المجردة والمنطبعة وأصحاب العنايات، فعلم من ذلك أن شيئاً من ذلك لا يستقل بشيء؛ فهي بالحقيقة أعراض وقوى العلة الأولى فكأنها قائمة به. وكما أن العرض إذا فارق الحلول لا يبقى له وجود ولا فعل، فكذا الحال ههنا. فعلم أن العالم صورة الله تعالى وجميع ما هو دونه من العقول والنفوس والقوى المنطبعة من الشهوة والغضب والقوى النفسانية وغيرها؛ كلها قوى لهذه الصورة الكلية العالمية، وإن أعضاء هذه الصورة وأجزائها هي أجزاء العالم الكلي، فهو تعالى يظهر في هذه الصورة ويتجلى فيها وتتحد ويرى كسريان النفس الناطقة ونفوذها واتحادها بالبدن²²⁸ الإنساني، وكما أن ظهور النفس وأثرها في بعض الأعضاء الرئيسية أكمل وأتم: كالدماع، والقلب، والكبد؛ فكذا ظهور الباري وأثره في بعض أجزاء العالم أتم وأكمل وأظهر كالعقول والعرش والكرسي وما في الأفلاك، وكما أن أعظم (قوة من قوى الإنسان وأشرفها هو القوة الفكرية الفطينة فكذلك)⁽¹⁾ أعظم قوة الباري في هذه الصورة وفي غيرها، هو العقل الأول؛ وفي الجملة الصورة البشرية نظير الصورة العالمية والنفس الناطقة مماثلة لرب الصورة الكلية. فقد خلق الباري تعالى آدم على صورته وأشبه شيء خلق الله إليه آدم، وسنبين كيفية التشبيه بين الصورة والصورة، ورب الصورة (والنفس الناطقة)⁽²⁾، إن شاء الله تعالى. فهذا حكم الصورة الكلية من حيث إنها كلية، وأما الصورة الجزئية، أعني أجزاء العالم، فإذا اعتبرت من حيث هي صورة جزئية مع قطع النظر عن الأمر الكلي فتكون أيضاً صورة الباري، وله فيها²²⁹ ظهور وتجلي خاص مماثل لظهوره وتجليه في الصورة الكلية، لكن يختلف تجليه وظهوره بالنسبة إلى القوابل، وكل صورة كائنة لها حياة فيها والبسيط أتم من المركبة، فإذا كان تعالى نافذاً في العالم متصلاً لا مفارقاً له فبحسب الأشياء المستعدة وقوة قبولها يتجلى الحق تعالى فيها ويظهر ظهوراً بيئاً، وتصير تلك الصور الجزئية صورة الباري تعالى، كما كان (جسم)⁽³⁾ العالم الأكبر بكلية صورة الباري تعالى، (لكن)⁽⁴⁾ لضعف استعداد الصورة (الجزئية)⁽⁵⁾ لقبول أثر الحق، فظهر ذاته فيها بالنسبة إلى قوة قبول الاستعداد الذي للعالم الأكبر ونسبة قبول أثر الباري وظهوره يكون قبول الصورة الكلية للباري وتجليه فيه وظهوره فيه أتم

(1) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(2) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(3) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(4) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(5) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

230 وأكمل من الصورة الجزئية، ثم إن السالكين ينظرون إليه من حيث هو مجرد عن المواد والصور الجسمانية مُعْرِى عن التلبس بالأجرام والجزئيات، فيكون قائماً بذاته منزهاً عن جميع العلائق البدنية مقدساً⁽¹⁾ عن أن ينسب إليه أن له صورة كلية أو جزئية جسمانية أو خيالية؛ فحينئذ يكون كل شيء هالك إلا وجهه فيستهلك العالم في نوره الكامل غير المتناهي قوة وشدة، ويصير العالم⁽²⁾ بالنسبة إلى جلال النور المحيط القَيُّوم كأنه⁽³⁾ شبح خردلة في نفس المفارق المثاله، وتارة أخرى ينظرون إليه من حيث تجليه وظهوره في العالم الجسماني وسريانه فيه وظهور أفعاله وآثاره في صورة كلية أو جزئية بحسب قوة قبول تلك الصورة الكلية أو الجزئية للباري تعالى فيها أتم وأكمل⁽⁴⁾، ويظهر كمالاته فيها من الحسن والبهاء والسناء والقهر والعز والمحبة، وبالجملة كلما كان القبول أتم كان ظهور الباري وصفاته من جميع²³¹ كمالاته فيها أشد وأوضح وتجليه فيها أبهى وأجمل، وإن كان استعداد القبول ناقصاً فيكون ظهوره فيها أنقص وأضعف؛ وكذلك يظهر فيها من النعوت والصفات ما يليق بضعف الاستعداد، أعني من الصفات المذمومة والمنحوسة والمردولة، ثم إن الباري، عز سلطانه، إذا كان ظهوره يختلف في الصور الجزئية بسبب القبول، فيكون ظهوره وتجليه ذاته وصفاته في الصورة مدبر غير متساوي، فتكون الصورة مسجونة بالقوى العقلية والآثار النفسية والجسم اللطيف والاعتدال التام الطريف إن كان فلكياً وإن كان عنصرياً فاعتدال مزاج الإنسان؛ بسبب اعتدال أرواحه الضارية إلى شبه الأجسام السماوية، يوجب قوة الاستعداد وشدة القبول وظهور الحيوية والنور وسريان القوى العقلية الموجبة ظهور النفس فيها، وبسبب ذلك يصير²³² الباري روحاً ونفساً لهذه النفس المتعلقة بهذه الصورة فيكون الصورة صادقة عليها إنها صورته ويظهر لها ويتجلى⁽⁵⁾ اللاهوت في ناسوت جسماني، وإن لم تكن الصورة ذات نفس مجردة كالعناصر المحضة وبعض المركبات الجسمانية⁽⁶⁾، فهو أيضاً صورة للباري ومظهر ولابد من تجليه فيها وظهوره، ولكن لا يبلغ ذلك الظهور والتجلي السابق لقدم القوى العقلية المنطبعة والحياة والنور وغير ذلك، ورب الطلسم المؤثر له كان قوة عقلية لهذا الجسم والصورة كأنها نفس لهذه الصورة، والباري روح هذه القوة بل

(1) في المخطوط (ن) يتقدس، وفي المخطوط (س) مقدساً، وهي الأصح.

(2) في المخطوط (ن) العوالم، وفي المخطوط (س) العالم، وهي الأصح.

(3) في المخطوط (ن) كأنها، وفي المخطوط (س) كأنه، وهي الأصح.

(4) في المخطوط (ن) وأجمل، وفي المخطوط (س) وأكمل، وهي الأصح.

(5) في المخطوط (ن) أنه صورة ومظهرها ومجلى، وفي المخطوط (س) إنها صورته ويظهر لها ويتجلى، وهي الأصح.

(6) في المخطوط (س) الجمادية، وفي المخطوط (ن) الجسمانية، وهي الأصح.

هو روح جميع العقول والنفوس؛ فهو روح الأرواح ولباب اللب ونور الأنوار وظهور المظاهرات مبدع الصور والأشباح وكل صورة شبحية أو جسمية لا يخلو عن مدبر مجرد متعلق بها بواسطة سقوط قوى تلك النفوس في تلك الصورة. وإما غير متعلق كأرباب²³³ الأصنام؛ فإنهم على الحقيقة أرواح لتلك الأجسام وهو روح لجميع الأرواح، بل هو روح العالم وليس له تعالى أن يخلو عن ظهور ذاته وصفاته وتجلياته مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض إليه يرجع الأمر كله له الحكم وإليه ترجعون. واعلم أن الأجسام حُجب وستر وقشور ولباس للنفوس المجردة النورانية الظهورية الروحانية، التي هي عبارة عن الظهور المحض والخلاء الصرف والنفوس متفاوتة بصفاء الظهور وشدته وضعفه، فكلما كانت النفس أشد ظهوراً وأتم نورية وأكمل روحانية، فهي بالنسبة إلى العالم الجسماني ومدركاته من الحواس والقوى، والإدراكات النفسانية المستعملة للقوى الحسية والخيالية أتم بطوناً وأشد خفاءً، وبالنسبة إلى الأمور الروحانية الصرفة أشد ظهوراً، وكلما كانت النفس بالعكس، أعني نوريتها غير شديدة²³⁴(1) فبالعكس وتكون النفس النورانية الشديدة كروح النفس ضعيفة النور، (وتكون النفس الضعيفة)⁽²⁾ لتلك النفس الشديدة الظهور كقالب وجسم وقشور، وهكذا يأخذنا هذا الترتيب وتحكم هذا الحكم حتى تنتهي في الصعود والعروج إلى نفس الفلك الأعلى المحيط بجميع الأجسام (كلها؛ فتكون تلك النفس روح جميع الأرواح الأرضية والسماوية ومحيط بها وظاهرة عليها كما كان جسمها الذي هو الفلك الأعلى محيطاً بجميع الأجسام)⁽³⁾ وظاهراً عليها. والنفوس المتعلقة بالأجسام التي في مقعد هذا الفلك بأسرها كأنها قوى لنفسها المسماة بنفس الكل، وكذلك الحكم في المجرّدات الصرفة، التي هي العقول حكمها كذلك، أي العقل الأدنى بالنسبة إلى الأعلى، إلا ظهر لباس وقشور وصورة وجسم له، وهو بالنسبة إلى الأدنى روح الروح ولب اللب، وهكذا يمضي إلى فوق في العروج والصعود حتى ينتهي إلى العقل الأول والعنصر الأعظم والحجاب الذي ليس وراءه ممكن أصلاً، فيصير هذا العقل بالنسبة إلى جميع الممكنات من العقول والنفوس والأنوار العارضة²³⁵ للأجسام وغير الأجسام روح جميعها وظهور ظهورها ونور نورها، وتليها وحافظها، وهذا العقل بالنسبة إلى جلالة النور المحيط القيوم السبوح القدوس نور الأنوار ولب الألباب وروح الأرواح كأنه قالباً وجسماً كثيفاً وحجاباً مانعاً عن أن يحدق سبحانه ما أدرك بصره فيخلص من هذا

(1) هذه الصفحة مكررة في المخطوط (ن) مرة أخرى.

(2) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(3) ذكر في المخطوط (س) فقط.

البحث أن العالم بأسره هو الله الحي القيوم، فالجسم الكلي صورته الكلية والأجسام الجزئية كالأعضاء والجوارح والمجردات؛ كالقوى على حسب قوة تجردها وضعفها. وهذا الوجود ونور الأنوار وروح الأرواح ولب اللب وجميع الأنوار المجردة والعارضة شعلة منه وأشعة، والأجسام كلها ظلمة، وليس في الوجود غيره وليس في العالم إلا الشمس وأشعتها البارزة؛ منها المتحدة بها، "فتبارك الله أحسن الخالقين"⁽¹⁾، "إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون"⁽²⁾.

[فصل لـ]⁽³⁾ اعلم أنه إذا كانت²³⁶ النفوس معنى من المعاني الروحانية اللطيفة (القائمة) لا في أين؛ فلا تكون مكانية ولا ذات جهة، فهي لا متكمة ولا متكيفة ولا ذي وضع، بل هي مسلوقة عنها جميع صفات الأجسام، وهي نفس الظهور البصيص الإشرافي الروحاني فقط، وهذا القدر مدرك لكل أحد بالضرورة لا يحتاج الإنسان فيه إلى دليل ولا يحتاج إلى حجة؛ لأن من شأن الدليل أن يكون واضح وأجلى من المدلول عليه ولا شيء أوضح وأجلى وأبين وأظهر من الظهور النفسي والصفاء النوري الروحاني، وهذا يسهل إذا صار الوهم مذلاً منقاداً لأحكام العقل، وإلا فعند غلبة الوهم واستيلاء الخيال، فيصعب على الإنسان معرفة ذاته وإدراك ظهوره؛ لأنه كما علمت مراراً تجرد النفس عن المواد والمقادير والجهات والأقطار والانطباع (والوهم)⁽⁴⁾ في الأجسام؛ فالوهم والقوى البدنية ظهورات ما متناهية لا تدرك²³⁷ إلا ما هو في حقيقة ذاته متناهياً ذا مقدار ما يتعلق به، فإذا أدرك الجوهر النفساني الوجداني ذاته المنزه عن الأجسام وتوابعها الذي هو عبارة عن الظهور والصفاء الروحاني والمعنى البسيط الفردي غير المنضبط والمتكيف وغير المتخصص والمتعين بصورة والمتكلم بكم القائم بذاته، لا في أين، فحينئذ يحمل الوهم والخيال فيصور أن للنفس معنى ينفذ في أقطار السموات والأرض ويذهب إلى غير النهاية، ولا يخلو هذا التصور عن جهة ما وتكيف وتكلم ما لأن فعل الوهم والخيال لن يتمثل المجردات كذلك وليس في قوتها تصور المجردات ومعانيها على ما هي عليها، فلا يطلب معرفة النفس الناطقة بالوهم أو بقوة بدنية، فإذا أردت أن تعرف أن الطالب هو الوهم فعلاية ذلك أنك تجد القوة الطالبة لا تقطع النظر عن الأجسام²³⁸ وصفاتها، بل تجدها تطلب النفس في جهة وفي حشو الفلك وخارجة

(1) سورة المؤمنون، آية 14

(2) سورة النحل، آية 40

(3) ممحاة من المخطوط (ن).

(4) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

وتتصور في الهواء المحض شيئاً تتوهم أنه غير جسم حتى يتم تدنسه، فجميع تصورات الوهم وتمثلاته للنفس ولأحوال المجردات كاذب. فقد علم أن النفس لا تعرف ذاتها بصورة ولا مثال، بل تعلم ذاتها عند محو الصورة بالظهور الباهر والصفاء القاهر التام الظهور والنورية الثابت القائم بذاته لا في جهة ولا أين ولا يحويه شيء من الأجسام ولا تمثله الأوهام ولا يتسلط عليه جريان الأقلام. وكيف يتصف بشيء من ذلك من هو في حقيقة ذاته، ومعنى من المعاني وظهور من الظهورات الروحانية، فعند إرادتك إدراك هذا الجوهر، اسلب الجهة عنك بالكلية، وارفع عالم الأجسام عن العين؛ فإن تم لك هذا الفعل وقطع النظر عن جميع الرسوم، ومكن فعل الوهم واستقر إدراك الخيال، فليس يبقى إلا الظهور²³⁹ العقلي الذي هو نفس الوضوح والصفاء الروحاني الذي هو نفس الهواء المحض الذي لا جهة له ولا قطعة ولا حد ولا رسم، بل نفس الصحو الفضائي والوجود والهوائي غير المتناهي. وهذا الظهور البسيط المشتمل على جميع الموجودات ليس إلا النورية المحضة الذي ذاتها وإدراكها لذاتها عبارة عن شيء واحد لا يتجزأ ولا يتبعض ولا يتكيف ولا يوصف بشيء مما عندنا ولا يدرك بلفظ ولا يعرف بحرف ولا صوت ولا ينعته الألسن ولا تضبطه الأذهان ولا تخصصه الأعيان، بل هو الأمر الروحاني والمعنى البسيط الفردي الذي إذا حذفت الخواطر الخيالية عنك وقطعت النظر عن الحواس الظاهرة والباطنة رأساً وسكنت تحريك الوهم ومداعبة الخيال، تجد يبقى بعد هذه الأشياء هواء معنوي لا تتناهى ولا يتجدد ولا يتخصص ولا يتكيف، هو نفس الوجود الصرف²⁴⁰، أي الموجود عند نفسه، أي المدرك لذاته، أي الظاهر. فيرجع التحليل في الأخير إلى نفس الظهور والنورية المحضة المسلوب عنها الجسم المتناهي وما يتعلق به من الأعراض واللاواق الغريبة، وكذا تسلب عنه المعاني المتعلقة (بالمخصوصات، وإن كانت في ذاتها غير محسوسة لكنها لتعلقها)⁽¹⁾ بالمحسوسات تكون ضيقة الأرجاء. فالفسحة متى لإدراكها الوهم أو النفس، انتقلت منها إلى الأجسام المدركة بواسطتها، فلا تدرك صافية مجردة، بل مغمورة بالمادة ضرباً من ملازمة اللازم (من الملزوم)⁽²⁾، ولو كانت النفس الناطقة والجوهر العاقل بجميع الأشياء لو كان جسماً أو معنى قائماً بالجسم لا يشتمل عليها أقطار الكل، فما كانت تقدر على إدراكه ولا تتمكن في تصويره وإحضاره، وكيف يتسلط الجزء على الكل ويقهره بالإحاطة والإحصاء، ثم ينبعث إلى طلب ما لا يتناهى وراءه؟ ثم كيف يستمر الشعوري، أي الظهور بالظهور مع نسيان أجزائه؟ فهي نفس الصفاء²⁴¹ غير المحدود ونفس الظهور

(1) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(2) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

المعنوي القائم لا في أين من الله مشرقها وإلى الله مغربها، وأكثر الخلق ضل عن معرفتها وعمي عن الشعور بها وذُهل عن إدراكها وغفل عن إشراقها، وبالجمله فإنه يرجع حامل النفس الناطقة إلى مجرد الظهور القائم لا في الخالي عن جميع الكيفيات، وكذلك يرجع حاصل علم الشيء بنفسه إلى ظهور ذاته لذاته ظهوراً روحانياً عقلياً لا يناسب هذه الظهورات الجسمانية مرتبة ومتفاوتة بالشدة والضعف، فأقواها وأشدها نورية وظهوراً. فظهور نورية الشمس فإنه أتم الظهورات وأنورها وأكملها، يلي الشمس من الظهور الجسماني ظهور القمر ونوريته، ثم ظهور الزهرة، ثم المشتري، ثم زحل على الترتيب، يلي ظهورات الأجسام الفلكية من الأجرام العنصرية ظهور النار، ثم الهواء، ثم الماء، ثم الأرض، وهو أضعف الموجودات ظهوراً؛ لكثافتها²⁴² وظلمتها وكونها أثقل العوالم الإلهية والموجودات الصادرة عن الباري جل جلاله وتعالى كبرياؤه. وأضعف الظهورات الروحانية والأنوار المجردة هو ظهور النفس الناطقة البشرية، وهي أيضاً مختلفة بالشدة والضعف، فأقواها ظهوراً نفوس الأنبياء والأولياء والحكماء، ثم الذين يلونهم على تراتبيهم، ثم الذي يلي النفوس البشرية في القوة نفوس الأفلاك وهي متفاوتة أيضاً فأعظمها ظهوراً وأتمها نوراً هو ظهور فلك الأفلاك الذي هو العرش العظيم المحيط بجميع عالم الأجسام، ثم الذي يليه في الضعف، (ظهور)⁽¹⁾ نفس فلك الثوابت الذي هو الكرسي الكريم، ثم باقي نفوس الأفلاك على الترتيب إلى فلك القمر الذي هو الغاية (الذي)⁽²⁾ يلي النفوس الأفلاك في القوة والشدة ظهورات الأنوار المجردة عن العلائق البدنية بالكلية، وهم الملائكة، وهم مرتبون ومختلفون بالشدة والضعف، فأقواها²⁴³ وأتمها ظهور العقل الأول، وهو أول المخلوقات والمبدعات ولا يكون في الممكنات أعظم منه ولا أتم ظهوراً منه، ثم يليه العقل الثاني والثالث، وهكذا على الترتيب إلى أن ينتهي لما أخرها. وهذه الظهورات من المبدأ الأول تعالى مرتبة في الشدة والضعف إلى آخر الموجودات وهو عز سلطانه وعظم كبرياؤه نور الأنوار والظهور المحض والوجود الصرف وسائر الظهورات منظمسة في ظهوره انطماشاً، ومنغمسة في نوره كانغماس الأنوار الجسمانية في ظهور الشمس ونورها، والأنوار المجردة بالكلية والمجردة ذوات العلائق البدنية من الأفلاك والإنسان أشعة منه ومتعلقة به وتابعة له كتعلق شعاع الشمس بالشمس، فتتحد الأشعة بالنور الأزلي وتتثبت به حتى تصير نوراً واحداً، لكن يكون لكل واحد من تلك الأشعة والظهورات امتياز وتشخص عن المبدأ²⁴⁴ الأول وعن بعضها بعضاً بالكمال والضعف، وكون كل واحد

(1) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(2) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

له شعور بذاته وإشراقاته والنفوس البشرية يمتاز أيضاً بالهيات المكتسبة عن الأبدان وعن غير ذلك، وبالجمل فالوجود كله ظهورات مختلفة ومرتبطة بعضها بالحقائق كالظهورات الروحانية والجسمانية وبعضها بالكمال والضعف كالظهورات المتساوية في النوع المختلفة بالشدة والضعف، وهذا كالظهورات الروحانية والظهورات النيرة العرضية والجسمية المترتبة أيضاً. فإن الأجسام أيضاً هي نور وظهور، لكون النور هو الظهور، والظهور قد يكون ظاهراً في ذاته، ولكن لا يكون ظاهراً لذاته، وهذا كالنور العارض والجسم. فالوجود كله نور وظهور، فإذا أدركت الوجود المطلق، وإذا أدركته مقيداً بجسم أو بعرض من الأعراض الجسمانية أو الروحانية فقد أدركته بحسب ذلك. فافهم²⁴⁵ فإن لهذا البحث غوراً عميقاً وكان سمتة. واعلم أن جوهر النفس لما كان غائباً عن الحواس الظاهرة والباطنة والقوى البدنية جملة، فهو لا يدرك بشيء مما في البدن؛ لأن القوى البدنية لا يدرك إلا ما له وضع أو علاقة بوضع، وبالجمل لا يدرك إلا بالجسم وعوارضه والمعاني المتعلقة بالأجسام والنفس غائبة عن البدن وقواه فلا جرم لا يمكن للقوى البدنية والأوهام إدراك ما غاب عنها، فتعين أن يكون إدراك النفس بذاتها وذلك عند قطعها النظر عن جميع الظهورات الجسمانية والروحانية وإدراك شخص للظهور والصفاء غير المقيد بشيء من الأشياء، ولو كان جوهر النفس في عالم الأجسام، فكيف كان يدرك ذات البارئ تعالى والعقول المجردة عن المواد الجسمانية والروحانية؛ لأنها ليست في عالم الأجسام، وكذا ما كانت تدرك العلوم العقلية؛ لأنها²⁴⁶ أيضاً غائبة عن حواس الأجسام وإن كانت مقيمة في العالم العنصري، فكيف كانت تخرق الأفلاك وطبقات السماوات وتدرج ما فيها من العجائب وتعرف مقاديرها وأبعادها وسائر أحوالها، فهي إذاً جوهر نوراني روحاني غير جسماني لا في داخل العالم ولا في خارجه ولا متصلة به ولا منفصلة عنه، وإذا كان كذلك فالطالب لمعرفة النفس من الإنسان: إما أن يكون الوهم والقوى البدنية، أو النفس الناطقة. فإن كان الأول؛ فالقوى البدنية منطبعة في البدن لا تدرك إلا الأجسام والمعاني المتعلقة بالأجسام، فإذا شرعت في طلب النفس فتطلبها إما في الهواء أو في السماء أو في الأرض أو تطلب معنى متعلقاً بشيء من الأجسام وجوهر النفس منزّه مبرئ عن جميع ذلك فلا جرم لا يظفر من الطلب إلا بمحض الحيرة والضلالة والدهشة فتحرم حينئذ بصعوبة²⁴⁷ معرفة النفس، بل بالاستحالة والعجب بعد ذلك تبع النفس لهذه الأحكام الباطلة وادعائه لهذه الخيالات الفاسدة، والقهر لمدرجات الوهم وباقي القوى وشدة اتصاله بالبدن وعشقه له وتلذذه بمدرجاته ومحسوساته من الصور الجسمية الجزئية والأعراض الجزئية الحالة فيها والمعاني الجزئية المتعلقة بها، فلذلك تسلم تلك الأحكام وتخضع لتلك الأوهام. وإن كان الطالب هو النفس الناطقة، وهي جوهر لطيف

مجرد عن الأجسام والأعراض وله تعلق بالبدن وامتزاج واختلاط بقواه، وهي غير متناهية لا مكان ولا حجة لها، فطلبها وإن كان باستعانة، فهي لا تقدر على إدراك ذاتها؛ لغلبة القوى البدنية التي لا تدرك إلا ما يتعلق بالأجسام فتجذب القوى البدنية النفس عن عالمها وتقلبها عن الإدراك العقل الصرف المختص بها إلى الإدراك الصوري الجسماني²⁴⁸ الجزئي الضيق الفسحة اللائق بالقوى الجسمانية، حتى أنها تطلب ذاتها بالقوى الجسمانية في المكان والأجسام وخارج الجسم، وإذا لم يكن جوهرها في عالم الأجسام ولا خارجاً عنه؛ فكيف تجد ذاتها بهذا الطلب الكاذب غير المؤدي إلى المطلوب، فالحاصل أن النفس لا تنظر بذاتها مادامت تلاحظ شيئاً من القوى البدنية والأقطار والجهات، والمراد أن تقطع النظر عن جميع ذلك وتراقب ذاتها وتجتهد عن التخلص من البدن وأحواله، وربما وصل إليها فيض العقل الفعال فتخدم القوى وينقطع عنها شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس، فتلاحظ حينئذ حقيقة ذاتها البريئة عن جميع متعلقات الأجسام فتجدها هواءً محضاً ونوراً صرفاً، وهو عيد الظهور الروحاني المرتفع عن جميع الظهورات الجسمانية، لا ظهور مكاني ولا خارجاً عن²⁴⁹ المكان، بل قسمًا ثالثاً يدرك بالتجرد المحض عن المواد وبالفكر اللطيف والوهم الصافي، وإن كان طلبها لذاتها لا بالقوى البدنية والحواس الجسمانية، بل لمجرد الذات المجردة عن جميع متعلقات البدن وأحواله، وهذا لا يتم ولا يستكمل إلا باستيلائها على القوى البدنية وإدخالها تحت حكم العقل وأسلال الوهم وانقياده لأوامره؛ فإن استقام ذلك فيسهل عليه إدراك ذاته ومعرفة نفسه، فيجدها ذاتاً نورانية محضة وروحانية صرفة، ليست حالة في البدن بل نافذة فيه وفي جميع الأجسام؛ لنفوذ جسم لطيف في جسم لطيف، بل أشبه شيء به من الأمثلة الجسمانية نفوذ قوة الشعاع ونوره في جميع الأجسام، فإن ذلك النفوذ ليس باتصال كاتصال الأجسام وليس منفصلاً كاتصالنا، بل أمراً آخر وحالة أخرى. فإن الأمور الروحانية المجردة لا تشبه الأجسام²⁵⁰ ولا أحكامها (أحكام الأجسام)⁽¹⁾، بل نقول ذلك ظهور محض روحاني، فإن قطعت عند هذا (التصور)⁽²⁾ النظر عن الأجسام رأساً ودامت هذه الحالة هنية، فيمكن أن تفهم هذا الظهور وتتصور خيالك هذا الإشراق الذي عجز (أكثر الخلق)⁽³⁾ عن كنه حقيقته مع شدة ظهوره وقوة إشراقه ووضوح جلانه، فأول الإدراكات وأوضحها على الإطلاق؛ إدراك الإنسان نفسه وشعوره بذاته النورية المحضة، لكنها لما كانت

(1) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(2) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(3) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

مغمورة في قشور البدن وشواغل القوى المختلفة وملابس الحواس الظاهرة والباطنة ذهلت عن ذاتها وعميت عن نفسها، وصارت تنظر إلى جميع الأشياء بالآلات المختلفة. والناظر والسامع والذائق والشام واللامس والمتخيل (والمتهم)⁽¹⁾ والمفكر واحد من جميع الوجوه، فالنفس كملك عظيم يصل إليه أخبار العالم من أحوال مختلفة وأشخاص متعددة، وقد ألف تحصيل الأخبار وإدراك العلوم من الغير²⁵¹ وعجز عن علم نفسه لأجل دخوله تحت الملابس المختلفة الطبيعية وليس لأحد من جنده وعساكره ومتعلقاته من القوة والمعرفة أن يخبره عن نفسه ويوصل إليه معرفة ذاته، إذ ليس لأولئك القوم هذا الاستعداد ولا لهم الوصول إلى هذه المرتبة، فلا جرم صعب ومعرفة الإنسان بنفسه. واعلم أن إدراك النفس لكل واحد من الموجودات الروحانية والجسمانية وأحوالهما ومعرفته به، إنما هو على ما يليق بحاله، فإن كان المدرك ذا صورة جرمانية فإدراكها له إنما يكون بالمقدار والحدود والأبعاد والكميات وسائر عوارض الجسم. وإن كان روحانياً وقد علم بالبراهين العقلية خلو المفارق عن المواد وعوارضها، فإذن إدراكها للمفارق إنما يكون بمجرد ذاته النورانية والظهورية. وهذا الإدراك يخالف الإدراك الجسماني (الحواس)⁽²⁾ فيلزم بالضرورة أن تكون أعراضاً وهيئات تقوم بالأجسام²⁵²، وهي كأنوار الشمس والقمر وسائر الكواكب، فتكون النسبة بين هذه الطبقة السافلة من العقول وبين أنوار النيرين والكواكب نسبة عظيمة، بحيث لو تكاثف العقل قليلاً ظهر للحس وصار نوراً كبعض الكواكب، وظهر للحس وكذا لو لطف أنوار الكواكب يسيراً صارت عقولاً من هذه الطبقة السافلة وغابت عن الحواس، فالفصل المشترك بين الأنوار المجردة والأنوار العرضية الجسدية، هو نور الشمس⁽³⁾، وكما أن الأنوار المجردة يضعف (نورها)⁽⁴⁾ وينقص لكثرة بُعدها عن العلة الأولى حتى ينتهي إلى الطبقة السافلة التي هي في أفق الشمس والكواكب فكذا يتصاعد النور ويشد في الظهور، وإذا ابتدئنا من أضعف كوكب من الثوابت إلى أشد كوكب منها إلى الزهرة إلى القمر إلى الشمس الذي هو غاية في الظهور الحسي، (الذي هي الشمس)⁽⁵⁾، وهي في أفق العقل، وكما أن العقل في أفق الشمس وهي كادت أن تكون²⁵³ عقلاً، والعقل كاد أن يكون شمساً؛ فلذلك صارت الشمس خليفة الله في

(1) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(2) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(3) في المخطوط (ن) الحسية بين الشمس، وفي المخطوط (س) الجسدية هو نور الشمس، وهي الأصح.

(4) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(5) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

العالم الجسماني وإلهًا لها، فهي وجه الله الكبرى. واعلم أن كلما أراد الإنسان أن يتفطن لذاته ويشعر بها ويدرك حقيقتها، فعند رجوعه إلى ذاته وحضور ذاته لذاته يتوهم أنه قبل هذه الحالة كان غائبًا عن ذاته غير مدرك لها، بل زاهلاً غافلاً عنها، وذلك ظن كاذب؛ لأنه قد تبين في مواضع متعددة أنه لا حقيقة للنفس إلا الظهور والصفاء النوراني الصرف القائم بذاته. والشيء إذا كانت حقيقته نفس الظهور والنور المحض المجرد فلا يمكن أن يغيب عن ذاته؛ لأن من خاصية الظهور المحض والنورية الصرفة المجردة عن جميع المواد عدم الغيبة، وكيف يمكن غيبته النور المجرد عن جميع الجسمانيات والظهور المفرد المعري⁽¹⁾ عن سائر الماديات والصفاء البسيط²⁵⁴ الروحاني، والفضاء المحيط النوراني⁽²⁾ عن ذاته، وبالنور والظهور يظهر كل شيء، وظهور الأشياء الخارجية إنما هو بالنور وهو فرع على ظهور النور للنوراني (على ظهور)⁽³⁾ ذاته، وإذا لم يتصور الغيبة وعدم الشعور فأنت دائماً مدرك لذاتك عارف بها؛ لأن من أدرك شيئاً فقد عرفه إلا أن استيلاء الوهم والخيال يعمي الإنسان ويضله⁽⁴⁾ عن معرفة نفسه ويذهله عن إدراك ذاته ويخيل الوهم للنفس أنه لا يمكن أن تدرك ذاتك ولا يتصور أن تعرفين صفاتك، وتبقى النفس أسيرة في يد الوهم داخله تحت أحكام الخيال وسبب هذه الحيرة وعلة ضلالها وعماها عن إدراك حقيقة ذاتها، أن الوهم والخيال المستوليين على جوهر النفس لا يتصور أن الأمور المفارقة ولا يدركان المجرد عن المواد بالكلية، والنفس المفارقة للأجسام المدبرة لها هي لا تتشكل ولا تتصور²⁵⁵ بصورة جسمانية ذات حدود وأقطار ونهايات وجهات وغير ذلك من خواص الأجسام، بل هي صافية روحانية نقية من سائر الصور (والأعراض والأشباح والالواح)⁽⁵⁾ الجسمانية، وقد بينا أنها لا يمكنها ولا يتصور لها غيبتها عن ذاتها، فعند الرجوع إلى ذاتها وطلبها إلى معرفة ذاتها يحمل الوهم والخيال على النفس ويمثلان لها أشياء غير مفارقة من الأشكال والصور والأنوار وغير ذلك من الأمور الجسمانية ويحكمأن بأنها حقيقة النفس وكانت النفس قد أدركت من جهة النظر والبرهان أنها ليست شيئاً من هذه الأشياء، ولشدة استيلاء القوى البدنية على جوهر النفس لا يمكنها (الخروج)⁽⁶⁾ عن أحكامها والتخلص عن

(1) في المخطوط (ن) العري، وفي المخطوط (س) المعري، وهي الأصح.

(2) في المخطوط (س) الروحاني، وفي المخطوط (ن) النوراني، وهي الأصح.

(3) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(4) في المخطوط (س) ويظلمه، وفي المخطوط (ن) ويضله، وهي الأصح.

(5) في المخطوط (س) الأشباح والعوارض، وفي المخطوط (ن) الأعراض والأشباح والالواح، وهي الأصح.

(6) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

تغليظها وإدراك حقيقة ذاتها المسلوقة عنها جميع الأجسام وصفاتها، فلا تجد عند ذلك الأفضل غير متناه، وصفاتها يشمله بعد ولا يحيط به (حاوي)²⁵⁶ ولا تجد ذاته إلا ظهوراً مطلقاً ونوراً مشرقاً لا جهة له ولا حد فإذا⁽¹⁾ قاس هذه الحالة (بالنسبة)⁽²⁾ إلى الحالة الأخرى الطالب منها معرفة ذاته المستولى فيه الوهم والخيال ذو الصورة والأشباح، يجد الحالة الأولى كأنها عدم، فكأنه كان فيها غائباً عن ذاته ذاهلاً عن صفاته، وذلك صحيح بالنظر إلى الحالة المستولى فيها الوهم والخيال، وليس بصحيح بالنظر إلى إدراك الإنسان ذاته الحقيقية أو غيرها من العوالم ضرورة أنه ليس في هذا الإدراك رسوم الأجسام ولا أشباح المواد ولا تصور ومثال، بل هو محض الظهور والإشراق (والحضور)⁽³⁾ المنزه عن جميع الأشكال والمقادير وإدراك النفس لذاتها دائماً إنما يكون مشوباً مخلوطاً بالأمور البدنية. أعني أنها عند تصور إدراك ظهورها وإشراق ذاتها لذاتها يظهر معها إدراكها للبدن كأنه شيء معلق بها، وكأنها هواء طلق، والبدن كالطير المعلق في الجو، أو كأنها بحر مطلق لا ساحل له، وكأنه البدن كالمركب المتوسط فيه، وإذا كانت ذواتنا عبارة عن نفس الظهور المطلق وعلمنا بها هو (أيضاً)⁽⁴⁾ عبارة عن نفس²⁵⁷ الظهور، وذلك الظهور المطلق ليس مثلاً لشيء ولا صورة له على ما قدر تلك إدراك الذات، أعني الظهور بنفس الظهور، فإدراك النفس للنفس هو بظهور ذاته لذاته وظهور مطلق غير مقيد ولا محصور بشيء من المواد، وهذا الظهور، أعني النفس والعلم بها جلي لا يحتاج إلى تعريف، وكيف يعرف الظهور والنور بشيء والتعريفات بأسرها في (النفس)⁽⁵⁾ ترجع إليها، فحقيقة النور والظهور بين نفسه، إلا أنه لشدة اتصال النفس بالبدن وتعلقها به وألفها للصور الجسمانية المحدودة المتناهية الأقطار، وكثرة استعمال النفس للآلات والحواس البدنية واشتغالها بما يؤدي إليها (الحواس)⁽⁶⁾ من الأجسام وأحوالها يعسر عليها إدراك ظهورها الروحاني اللطيف؛ لأنه مغاير لجميع الإدراكات الجسمانية المألوفة، وهي وإن كانت طرفة عين لا يغفل²⁵⁸⁽⁷⁾ عن هذا الظهور، إذ لا يتصور لمن هو في حقيقة ذاته ظهور مطلق أن يغيب عن

(1) ذكر في المخطوط (ن) فقط.

(2) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(3) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(4) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(5) في المخطوط (ن) اليقين، وفي المخطوط (س) النفس، وهي الأصح.

(6) في المخطوط (س) الحس، وفي المخطوط (ن) الحواس، وهي الأصح.

(7) في المخطوط (س) تغيب، وفي المخطوط (ن) يغفل، وهي الأصح.

ظهوره، وإلا لما كان ظهوراً، بل خفاءً محضاً ولو كان كذلك لكان معدوماً غير موجود، وقد تبين أنه لا حقيقة له وراء الظهور، ولكنها تترك ظهورها مشوباً بالأمور البدنية غير مصفى عن الأشباح الجسمانية، فلا جرم لا يصفو لها إدراك ذاتها مجرداً عن (تلك)⁽¹⁾ الشوائب، وإذا كان ذلك الإدراك ممزوجاً فيكون معرفة الإنسان بنفسه ممزوجاً، وقد علمت النفس أيضاً من جهة البرهان أنها مجردة من الأجسام غير متصورة ولا متشكلة ولا متعددة ولا متقدرة، فإذا يعسر عليك إدراك ذاتها مجرداً على جليته للعلاقة، فحينئذ تظن وتحكم أنها لا تعرف ذاتها، بل قد تحكم لشدة الجهل وتبعاً لأحكام الوهم. إن ذلك محال، وذلك جهل عظيم؛ إذ لا يلزم من عدم إدراك شيء على جليته²⁵⁹ مجرداً عن المواد أن لا يكون الإنسان مدرَكًا له مع أشياء أخرى مخلوطاً بها وممزوجاً معها، وإذا كان الإدراك على ما قيل هو عدم الغيبة والنفس لا تغيب عن ذاتها أبداً ولا عن بدنيتها ولا عن قوى بدنيتها جملة، فيكون إدراكها لذاتها (إنما)⁽²⁾ مخلوطاً مع إدراكها لبدنها ولقوى بدنيتها، فبهذا المجموع من الإدراك الذي صار لشدة اتحاده كالشيء الواحد، والذات الواحدة فلا جرم يحكم لعدم إدراكها لذاتها مجردة بلا صورة بأنها لا تعرف ذاتها وإدراكها لخيالها ووهما وشهوتها وغضبها وسائر قوى بدنيتها، وكذلك لبدنها ليس بمثال ولا صورة كإدراك الشيء الغالب صورته، بل إدراكها لهذه الأشياء إنما هو نفس الحضور والإشراق وذلك لا يكون (بالمثال)⁽³⁾ والصورة، بل بالمشاهدة الحضورية المستغنى عن المثال والرسم. وإذا كان إدراك النفس والقوى²⁶⁰ والبدن لا يحتاج إلى صورة ومثال وهي مخلوطة نوعاً من الأخلاط فتتحد حينئذ الإدراكات وتصير لقوة الاتحاد إدراكاً واحداً. ولشدة اتصال النفس بالقوى واشتراكها في الروحانية واللفظ وكونها لا صورة جسمانية لها ولا شبيهة يعسر التمييز بين النفس والقوى على ما ينبغي، وكذلك بين إدراك كل قوة على حدتها، إلا أن تكون النفس قد قويت بالرياضيات والأفكار في أسرار الموجودات، فإنه يسهل على مثل هذه النفس ما يعسر على غيرها فتدرك ذاتها النورانية المجردة عرية عن تغاير الملابس الطبيعية مجردة عن جميع المظاهر الحسية الصافية مفردة عن الشوائب المادية، والشيء الموصوف بهذه الأوصاف هو نفس الوجود والظهور المحض المنزه عن جميع المدركات، وهي نفس الحياة العقلية المحيطة الثابتة، فهي مرآة يظهر فيها كل الوجود²⁶¹.

(1) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(2) في المخطوط (س) أبداً، وفي المخطوط (ن) إنما، وهي الأصح.

(3) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

[فصل—ل⁽¹⁾] واعلم أن النفس الناطقة عرفوها تارة بالحد (وتارة بالوهم)⁽²⁾ وتارة بالرسم على ما جرت به عادتهم من تعريفات المجهولات ليحصل بذلك في النفس صورة المحدود والمرسوم على ما هو عليه مطابقاً للأمر نفسه، لكن معرفة الإنسان لا تدخل فيما يتضمنه تعريف النفس بالحد والرسم؛ أما أولاً: فلأن النفس جوهر بسيط لا تركيب فيه، فلا مقوم لها ولا أجزاء ليكون لها حد حقيقي كلي. وأما ما اخترع العقل لها أمر كالجنس لدخولها تحت الجوهر وأمرًا كالفصل هو أمر اعتباري ذهني لا وجود له في الخارج. وغرضنا معرفة الشيء الخارجي على ما هو عليه، والنفس بسيطة، فكيف تعرف بشيء فيه تركيب، بل قد يكون رسمًا ما، والرسم لا يحصل به (معرفة حقيقة الشيء)⁽³⁾، بل تمييزًا ما. وأما ثانيًا: فلأن معرفة الإنسان بنفسه (بغير مميز وترتيب على النمط المذكور²⁶²)⁽⁴⁾؛ فلأن معرفة الإنسان بنفسه بغير تمييز وترتيب على النمط المذكور، لأن معرفة الإنسان بنفسه أوضح وأقدم من معرفة كل ما عداه. فإنه لو فرض الإنسان نفسه معطلاً عن جميع الإدراكات البدنية الظاهرة والباطنة وعن كل حركة وأذهلها من كل سكون. لقد كان لا يغيب عن ذاته الحسية الدراكة، بل هي عين الحياة والإدراك والظهور الحضورى الإشراقي، فعلم أن شعور الإنسان بذاته يتقدم على شعوره بغيره، ولكن معرفته التامة على ما ينبغي والتفطن للوجود الخاص الذي لها وكيفية أحوالها يتأخر عن معرفتها للأشياء، وكلما ازداد العالم وضوحاً في النفس ووقف عن كنه حقائقها، ازداد العارف بنفسه استبصاراً واشتد بذلك نور النفس وزادت حينئذ معرفته بربه وملأئكته. والمعرفة الجدية إنما هو بحسب المعرفة الأولى المتداولة بين المسمين من الجلاء والعلماء، فإذا²⁶³ ارتقى الإنسان في (نظره)⁽⁵⁾ ومعرفته ونظر قليلاً، عرف بدليل النظر العقلي أولاً فأولاً من نفسه معرفة بعد معرفة، وذلك أنه إذا عرف جميع البراهين والاستبصارات وكلام الخطابي والشعري الذي يدل على النفس وعلى وجودها وتجردها، ازدادت (معرفته)⁽⁶⁾ بذلك قليلاً، وبالإعراض عن الأجسام والتفطن (لما)⁽⁷⁾ يبقى بعدها من الشعور أمرًا أو آخر حتى يحصل له بنفسه المعرفة التامة

(1) ممحاة من المخطوط (ن).

(2) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(3) في المخطوط (س) معرفة الشيء بالحقيقة، وفي المخطوط (ن) معرفة حقيقة الشيء، وهي الأصح.

(4) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(5) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(6) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(7) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

الكاملة، فحينئذ يصير من (السعداء)⁽¹⁾. اعلم أن (معنى كون)⁽²⁾ النفس الناطقة نورًا مجردًا، هو نفس الظهور غير الخافي. فإن كان كل أحد يدرك ظهور ذاته دائمًا لا غيبة له عنه، ولكن لشدة استيلاء المحسوسات يتخيل له أنه غير مدرك لظهوره. وكيف يمكن أن يغيب الإنسان عن ذاته التي لا تزيد على نفس (الظهور)⁽³⁾، لكن الفيلسوف يدرك²⁶⁴ الظهور المحض المجرد الذي هو عبارة عن حقيقة ذاته، ولا يمكن عند رجوعه إلى ذاته أن لا تتفطن له، ولكنه لما كان هذا الظهور المحض الإدراكي متعلقًا بالبدن وقواه، ومن بعض قواه المتخيلة التي يحضر عندها المثل المتخيلة فهي، أعني الظهور (النوراني)⁽⁴⁾ والإدراك الروحاني والنور المجرد والإظهار المحض غير المتناهي إشراقه وظهوره؛ لأجل التعلق المذكور، يلحظ تارة بدنه الكثيف، وتارة أخرى صورًا (مثالية)⁽⁵⁾، بواسطة المتخيلة المستمرة التصور، فبواسطة إدراك البدن والصور الخيالية يظهر للنفس العامية عدم إدراك الذات مجردة؛ لأن إدراك الظهور لذاته لما كان مستمرًا، وكذا إدراك البدن وكذا الصور الخيالية الحاصلة على سبيل البدن، غالبًا لا يمكن انفكاك (إدراك)⁽⁶⁾ هذه الأمور الثلاثة بعضها عن بعض، بل كان²⁶⁵ إدراك الظهور مخلوطًا بهذه الأمور مشوبًا بأنها توهم أنه لا يمكن إدراك الظهور مجردًا عن هذه الشوائب الحسية والخيالية، ولا يمكن إدراك الظهور المجرد، ولما لم يكن غالبًا هذه الأمور الثلاثة أن تتفك (وتتفصل)⁽⁷⁾ بعضها عن بعض، ولكن أطفها إدراك النفس النفس لتجردها. وكان إدراك الحسيات هو الغالب على جوهر النفس غابت وذهلت عن (إدراك ذاتها)⁽⁸⁾ ذات اللطيف وبقي إدراك البدن والصور الخيالية حاصلاً فيها، فتوهمت أن النفس هي البدن المدرك أو بعض الصور الخيالية الثابتة والمقصورة في النفس للعادة المستمرة. وأما النفس الفاضلة فإنها تدرك ظهورها دائمًا وصفائها، لا تغيب عنه، وتدرك البدن، وهي في المحل الأعلى (المجرد)⁽⁹⁾، كإدراك بعض الصور الخيالية، أعني أنها تدرك البدن للعلاقة وتدرك الصور الخيالية بواسطة

(1) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(2) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(3) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(4) في المخطوط (س) النوري، وفي المخطوط (ن) النوراني، وهي الأصح.

(5) في المخطوط (س) مثاله، وفي المخطوط (ن) مثالية، وهي الأصح.

(6) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(7) في المخطوط (س) ينفعل، وفي المخطوط (ن) تتفصل، وهي الأصح.

(8) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(9) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

الخيال²⁶⁶(1) في عالم المثل، كما تدرك البدن في عالم الحس (والخيال المحض المجرد)⁽²⁾. فالظهور المحض المجرد يظهر له ظهورات أخرى حسية في عالم الحس، وظهورات أخرى في عالم المثل المتعلقة للعلاقة المذكورة بين النفس والبدن وقواه، وهذه فائدة عجيبة، إن أخذت الفطنة بيدك كان إدراك هذا المعنى سبباً لاستكمال السعادة الحقيقية. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. فالظهور المحض المجرد غير المتناهي المعلق بالمحل الأعلى، لا في أين ينبغي للحكيم العاقل أن لا يذهل عنه ولا يغيب ويجهل هذا الظهور المحض غير المتناهي مرآة لظهور سائر العوالم من الحسية والخيالية والعقلية الظهورية النورية، فإذا ظهر فيها عالم الحس أو بعض أجزائه فإن كانت النفس النورية مستبصرة جداً أدركت العالم الحسي أو بعض الأجزاء كشيء غير متناه وتعلق به ذرة كثيفة من الذوات ولا يعقل مع ذلك²⁶⁷ عند ظهورها المحض، وإن كانت غير مستبصرة وجهلت ذاتها مع حضورها؛ لعمامها (وأدركت)⁽³⁾ العالم الجسماني أو بعض الأجزاء، سواء كان البدن الذي لها أو غيرها توهمت أن النفس إما العالم أو بعض أجزائه، وإن أدركت العالم المثالي أو بعض أجزائه. فكذلك للحكم، إلا أن العالم المثالي طبقات، وكلما (ارتقيت)⁽⁴⁾ إلى فوق كانت الصور أصفى وأتم روحانية وأكثر تجرداً وأقل وأخف سطوحاً حتى تنتهي إلى آخرها من الطبقات المتصلة بالعالم العقلي الصائر إلى أفقه. وإن أدركت العالم العقلي أو بعض أجزائه، فإن كانت مستبصرة جداً حصلت الحالة المسماة بالاتحاد، يعني أي شيء أدركت منه (سواء)⁽⁵⁾ كان الباري (تعالى)⁽⁶⁾ أو بعض العقول (المجردة)⁽⁷⁾ أتحدث به وصار هو هو، بمعنى أنها لا تدرك إلا ما حصل فيها وانقطع نظرها عن ذاته+، وهنا يحدث غريبة عجيبة لا يمكننا ذكرها، وإن كانت غير مستبصرة؛ فالإدراك جاهل²⁶⁸ لها، ولكن لجهلها وعمامها لا تتفطن لا لذاتها ولا لغيرها أعادنا الله عن ذلك (ومن ذلك)⁽⁸⁾. عن أرسطو لما سُئل: ماذا ينبغي للحكيم أول ما يتعلم، فقال: أما إذا كانت النفس

(1) هذه الصفحة كررت مرة أخرى في المخطوط (ن).

(2) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(3) في المخطوط (س) وإدراك، وفي المخطوط (ن) وأدركت، وهي الأصح.

(4) في المخطوط (س) ارتفعت، وفي المخطوط (ن) ارتقيت، وهي الأصح.

(5) في المخطوط (س) سوى، وفي المخطوط (ن) سواء، وهي الأصح.

(6) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(7) في المخطوط (ن) المجموعة، وفي المخطوط (س) المجردة، وهي الأصح.

(8) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

معدن الحكمة، فأول ما ينبغي لطالب الحكمة أن يتعلم معرفة النفس، فقليل له بما يطلب علمها بها، فقال: بقوة نفسها، فقليل له: وما قوة نفسها، فقال أرسطو: القوة الشاملة لنفسها، فقليل له: وكيف يسأل الشيء غيره عن نفسه؟ فقال: كسؤال المريض الطبيب عن حاله، وسؤال الأعمى من حوله عن لونه، فقليل له: وكيف تعمى النفس عن نفسها وهي أم الحكمة؟ فقال: إذا غابت حكمة الفلسفة عن النفس عميت عن نفسها وعن غيرها كما يعمى البصير عن نفسه وعن غيره إذا غاب عنه المصباح، فقليل له: لا يحصل علم النفس بنفسها وبغيرها إلا من قبل الفلسفة التي هي أم الفضائل وأصل السعادة، فقال أرسطو: الأمر كذلك.

[فصل (1) واعلم أن²⁶⁹ النفس حادثة مع حدوث البدن؛ لأنها لو كانت متقدمة على البدن، إما أن تكون متعلقة ببدن آخر قبل هذا البدن، وإما أن تكون مفارقة قائمة بذاتها. والأول: يوجب القول بالتناسخ وسنبطله، والثاني: يوجب كون الأنفس إما كثيرة وإما واحدة، وهما باطلان. أما كونها غير متكررة؛ فلأن تكثر الحقائق إما أن يكون من جهة الماهية والصورة، وإما من جهة النسبة إلى المواد. والنفوس لا تتكرر بالمعنى الأول لكون ماهيتها وصورتها واحدة لا يفارقها بالنوع ولا بالمعنى الثاني، أعني الاختصاص بالقوايل والنسبة إلى المواد الجسمانية؛ لأن فرضناها مجردة مفارقة بالكلية ولو كانت كثيرة لم يكن تمايزها لعدم التمييز، وهذا تمام في كل ما ذاته وحقيقته معنى محض: كالأعراض والهيئات، فإنها إنما تتكرر وتتمايز بعضها عن بعض بالحوامل أو بنسبة ما إليها²⁷⁰ إلى أزمنتها. وإذا (بطل) (2) علة التكرر (بطلت الكثرة)⁽³⁾. وأما كونها غير واحدة؛ فلأنها لو كانت كذلك لكانت عند تعلقها بالأبدان، إما أن تنقسم وتتجزأ في الأبدان أو تتعلق بجميع الأبدان وتدبرها مع وحدتها وعدم تجزؤها. والأول: يوجب كون الأنفس جسمانية، إذ التجزؤ والانقسام من خواص الأجسام وصفاتها، والثاني: يوجب أن يكون نفس زيد بعينه نفس عمرو، وما أدركه واحداً يكون مدرگا للجميع، وأن تكون النفس في حقيقة ذاتها جاهلة عالمة خيرة شريرة، وذلك معلوم البطلان بالضرورة. ولنفصل هذا المعنى تفصلاً شافياً، فنقول: إن الأنفس البشرية تتشخص وتتمايز وتتكرر بأحوال وأعراض تلحقها من خارج، وتلك الأعراض والأحوال اللاحقة لا تكون لازمة لها من حيث هي أنفس بشرية، وإلا لوجب اشتراكها في ذلك فلا يمكن تمايزها²⁷¹ فتعين أن

(1) ممحاة من المخطوط (ن).

(2) في المخطوط (س) بطلت، وفي المخطوط (ن) بطل، وهي الأصح.

(3) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

يكون الشخص، (والتعين)⁽¹⁾ والتميز بالأعراض والهيئات اللاحقة غير اللازمة، وكل لاحق عن ابتداء زمني لكونه يتبع سبباً عرض لبعضها دون بعض، فيلزم أن يكون تشخص الأنفس أيضاً أمراً حادثاً فلا تكون قديمة بل حادثة مع حدوث الأبدان، وعند صلوحها واستعدادها لاستعمالها إياها في (مآدبها)⁽²⁾ ومقاصدها، ويكون نسبتها إلى هذا البدن الحادث نسبة الملك إلى مدينته، والريان إلى سفينته، وتكون في النفس هيئة نزاع طبيعي إلى الاشتغال بالبدن واستعماله واستخدامه والاهتمام به والانجذاب إليه، وتلك (الهيئات)⁽³⁾ والأعراض التي تتمايز بها النفوس إنما تلحقها وتعرض لها من قبل البدن، ولا يجوز تمايزها بنفس البدن وقواه؛ لمباينة البدن وحوامل القوى²⁷² لجوهر النفس، والشيء يتميز عن غيره بما له في ذاته لا بالجوهر المباين وصفاته، فالعلاقة الشوقية من النفس مع القوى المتخصصة بينها أمر ينال ذات النفس فيكون المميز والمشخص، إنما هي تلك العلاقة الشوقية المتخصصة بقوى متخصصة ببدن خاص، فإن قلت فهذا الذي ذكرته والمحذور الذي قررته يلزمك بعينه في النفوس بعد المفارقة لبقائها وعدم فسادها مع بطلان التناسخ، قلنا ليس حال ما بعد المفارقة كحال ما قبلها، وذلك أن النفس قد وجدت وتعلقت بالأبدان وامتازت بالمواد وحصل لكل واحدة منها ذات جسم مخصوص وصفات مخصوصة من الأخلاق الشريفة والخسيسة والملكات الفاضلة والرذيلة والعلوم الصحيحة والاعتقادات الصادقة وضدها كل ذلك بحسب²⁷³ المواد وقوة استعدادها وضعفها وكمال الأمزجة المتعددة وضعفها، فبهذه الهيئات المكتسبة من البدن مع شعور كل نفس بذاتها الوجدانية النورانية يحصل التمايز والتشخص بعد المفارقة، وإما لم يكن علاقة النفس بالبدن كعلاقة جسم بجسم، ولا كعلاقة عرض بجسم؛ لتجرد النفس عن المواد، فهي علاقة شوقية عشقية، هي إضافة ما لا غير. ونقول أيضاً من طريق آخر: لو كانت النفس قديمة موجودة قبل الأبدان مفارقة للمواد بالكلية، فلا تكون حينئذ بينها وبين المجردات العقلية حجاب ولا عائق لها عن مشاهدة عالم النور المحض ولا مانع لها عن الانتقاص بأفضل الكمالات؛ إذا القائم بذاته (ذاته)⁽⁴⁾ حياة وظهور وإدراك، وليس هناك أبدان شاغلة ولا قوى مانعة عن اللذات القدسية والراحات فمنها لازمة وهي إدراكه لذاته والعلم بغير ذاته وأعراض مفارقة²⁷⁴، فبعضها أقرب من اللزوم وبعضها أبعد، وعلوم النفس ومعارفها وعلمها

(1) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(2) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(3) في المخطوط (س) الهيئة، وفي المخطوط (ن) الهيئات، وهي الأصح

(4) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

بجميع (أحكام)⁽¹⁾ الموجودات قد يكون حاضراً فيها وقد لا يكون، فإذا لم يكن فيها فيجب أن يكون دائماً في غيرها. يفيض ذلك الغير ذلك العلم المخصوص على النفس عند الاستعداد وتحصل المناسبة، وذلك الأمر هي النفوس السماوية. واعلم أن علوم العقول والنفوس إنما هو بالإشراق والمشاهدة والحضور لا بالصور والمثال.

[فصل لـ]⁽²⁾ واعلم أن العلة الأولى أكمل الموجودات وأشرفها وأتمها وأشدّها ظهوراً وإشراقاً، فخفاؤها عنا لكثرة، وإشراقها وظهورها لا لخفائها في نفسها، وحصول الأنوار المجردة منها على الترتيب الموجود فوجب قلة ظهورها وإشراقها؛ لأن نور المعلول أضعف من نور العلة وأنقص وأقل²⁷⁵ إشراقاً وظهوراً، إلا أنها لا تنتهي إلى حد يظهر للحس لأنها بعد لطيفة، ولطفها الروحاني يوجب غيوبتها عن الحس حتى ينتهي البعد (فيها)⁽³⁾ إلى الطبقة السافلة التي هي الغاية في نقص الأنوار المجردة وضعفها وميلها إلى الأنوار الحسية المناسبة (لها)⁽⁴⁾ إليها في الكثافة، وكونها قريبة إلى الظهور الحسي، وتكون هذه الطبقة السافلة متفاوتة في شدة الظهور وضعفه وكمال الإشراق ونقصه، فحينئذ إذا صدرت عن هذه الطبقة أشياء فلا ينبغي أن تكون تلك الأشياء مجردة عن المادة لضعف جواهرها الروحانية ونقصها من أن يحصل فيها مجردات، فيلزم حينئذ أن تكون تلك الأنوار الحاصلة عنها كثيفة جسمانية يظهر منزّه عن العواض المادية غير غائب عنه أبداً، ويستحيل أن يغيب²⁷⁶ الظهور الإدراكي المحض عن ذاته فلا جرم يكون الإدراك للذات منا مشوباً بإدراك الغير ومشغولاً به وبأحواله فيتوهم لذلك أنها غير مدركة لذاتها وهي مدركة لا محالة، إذ إدراكها للغير وظهوره لها فرع عن ظهورها لذاتها وإدراكها لماهيتها ولظهورها الشعاعي اللطيف غير المتكيف والمنقدر بظهور الأشياء لها. ولو كان للسراج إدراك لصدق قوله: إن ظهور الأشياء التي في البيت فرع على ظهوري في ذاتي، فإني ظاهر لذاتي مطلقاً مع الأشياء التي في البيت وبدونها، لكن إذا قطعت النظر عما في البيت ظهر لي ذاتي فقط، وإن لم أقطع النظر حصل الشعور بذاتي مشوباً مع الأشياء التي في البيت، فأنا ظاهر لذاتي في جميع الأحوال، فالنفس كالسراج، والعالم كالبيت، وجزئياته كمتاع البيت، وهي مدركة²⁷⁷ لذاتها دائماً مع إدراك العالم وأجزائه

(1) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(2) ممحاة من المخطوط (ن).

(3) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(4) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

وبدون ذلك، لكن إذا تهذبت بالرياضيات والعلوم مدة وتعودت إدراك المعاني المجردة والحقائق البسيطة سهل عليها إدراك ذاتها مجردة ومفارقة عن العوائق والعلائق والأحوال المادية ويرتفع عنها قناع الحيرة والضلالة ويكون لها مقام وأحوال حسنة عند إدراكها ذاتها مفارقة محضة. وأما إدراكها لذاتها منزهة عن غيرها فلا يكون كما ذكرنا مرارًا كثيرة بصورة ومثال وشبح، بل إدراكها لذاتها هو بنفس الظهور الإدراكي، وهذا الظهور ليس كظهور الأشعة والأنوار الجسمانية والصور المادية، فإن ظهور هذه الأشياء متعدد ومحدود وممتناه معدود ومتكيفة بالكيفيات والأمور الجسمانية الكثيفة، والظهور النفسي الروحاني اللطيف الذي هو نفس الإدراك ومحض المعنى وعين²⁷⁸ التجلي لا يوصف بذلك، ولا يخلو هذا الإدراك عن حيرة ودهشة لمن لم يتمرن بإدراك الحقائق، فإن إدراك النفس على ما عليها إنما يكون بالصفة التي ذكرناها، وإن لم يجد الطالب هذه الصفة فليس مدرِّكًا لذاته.

[فصل——ل⁽¹⁾] اعلم أيُّدك الله وإيانا بأن كل مجرد عن المادة لا صورة له محدودة بشيء من الحدود الجسمية ولا تعين له بالتعينات الحسية ولا مثال له بالمثل الخيالية والرسوم الشبحية. فالباري جل جلاله في حقيقته النورانية لا يوصف بالصور والأشباح ولا يدرك بالقوى والأرواح الممزوج باستعمال الحواس وكذا العقول المقدسة والنفوس المطهرة مشتركة في هذا الوصف السني والنعت العلوي. فإثبات المثل والأجسام محو المجردات الكرام، ونفي الصور²⁷⁹ والأشباح إثبات المبادئ والأرواح، وهكذا إثبات النفوس محو العقول، وإثبات العقول محو الربوبية، وإثبات الربوبية وإيجابها محو المجردات والأجسام وسلبها. فالنفس لا صورة لها ولا مثال، فإذا غابت عنها فقد ثبت الثبوت المعنوي اللائق بها، ومن العجائب المتعلقة بإدراك النفس وما فوقها؛ أنه إذا لم يكن للنفس صورة حسية ولا مثالية وإدراكها لذاتها على ما علم ليس بالصورة والمثال، ولم يكن فيها شيء من الصور والأشباح يلحظها ويتوهم في هذه الحالة أنها كالأمر المعدوم الذي لا وجود له؛ لشدة ألفها للمدركات الحسية والوهمية المتناهية الحدود والأقطار والشمول بالحواس والأفكار والخواطر والأنظار، وليس الأمر كذلك بل الإدراكات يختلف بالنسبة إلى المدركات²⁸⁰، فإن كان الأمر المدرك جسمانيًّا أو خياليًّا فلا بد في هذا الإدراك من صورة ومثال تحصل للمدرك، وإن كان أمرًا عقليًّا كإدراك النفس ذاتها وإدراكها لمبادئها العالية، فلا يحتاج ها هنا إلى الصورة والمثال، بل هذا النوع من الإدراك لا يكون إلا بطمس الأمثلة والأشباح بالكلية، بل لا يتم هذا

(1) ممحاة من المخطوط (ن).

الإدراك المخصص إلا بترك الملاحظات الوهمية وكل القوى الحسية والخيالية، وبعد هذا يكون محض الإدراك الحقيقي وحقيقته العلم اللدني المعنوي، ويقع النفس حينئذ في بحر لا ساحل له وصفاء لا ضابط له، وعندها تتحد بالعوالم العالية والمجردات الثابتة الفاضلة ويصير العاقل والعقل والمعقول واحداً، وها هنا تظهر قوة النفوس والتميز بين العقول والنفوس. واعلم أن الباري²⁸¹ جل جلاله، وكذا العقول والنفوس المجردة إنما لم يكن لها صورة وشبح ومثال وكيفية محصورة في شكل وحدود وأقطار مرسومة وضوابط مضبوطة وتعينات متعينة معلومة (وعلامات)⁽¹⁾ وقوانين محدودة محصورة توجب تلك الأشباح ضبط المجردات عن المواد المذكورة وحصرها والإحاطة بها⁽²⁾ والعلم بكيفيتها؛ لأن كل هذه الصفات من خواص الأجسام والجسمانيات المتناهية الأقطار والمتباعدة الأحوال ذوات الكيفيات المحدودة المضبوطة المحاط بذواتها المحدودة المتناهية لتناهي موضوعاتها الجسمية، فلا جرم يكون العلم بها هو إحاطة النفس بذواتها المحدودة المتناهية الذوات والكيفية، فيكون علم النفس بها أعلى وجه الصورة والمثال والمشاهدة والعيان²⁸² على الوجه الحضوري الصوري والتصور المثالي بخلاف الماهيات والذوات غير المتناهية الحقيقية، والذوات التي لا صورة لها ولا مثال ولا رسم ولا خيال ولا خلاء ولا أشكال ولا كفيات مضبوطة ولا كميات متعينة معلومة، فلا يكون العلم بما هذا صفته بالصور والمثال لكون المعلوم ليس موصوفاً بذلك، بل العلم الحقيقي بما هذا صفته لا يكون إلا بما يناسبه، أعني يكون إدراكه لا بصورة ومثال بل بنفس الحضور الشهودي والظهور الإدراكي والإشراق النوري، وبقطع النظر عن كل ما يوصف به الأجسام وأحوالها وإدراك ما ذكرناه فقط، فإنه هو حقيقة الإدراك الحقيقي والوجود الشهودي؛ وذلك لأن إدراك لغير المتناهي والذي لا صورة له ولا مثال إنما يكون هو أن يدرك هذا الحضور²⁸³ المتناهي الموصوف بما ذكرناه، والنفس لألفها المحسوسات المتخيلة والمتصورة والمشبعة والمتعينة المضبوطة تعجز عن هذا الإدراك البسيط غير المتكيف بكيف والموصوف بوصف مما ذكرناه اللهم إلا أن نتدرب ونعتاد هذا الإدراك المخصوص الذي هو على الحقيقة إدراك إلهي وشعو ملكي وحضور شهودي ومحو طمسي دقته ذوقية. اعلم أن السطح إذا اجتمع فيه بياض وسواد يتراءى البياض أقرب إلى الباصر؛ لأنه أتم ظهوراً من السواد المحض، فكلما كان بياضه أشد كان ظهوره أكمل وأتم وكان رؤيته أقرب. فالباري، جل جلاله، لما كان في مراتب العلل العالية الأقصى وفي الشدة والظهور أكمل وأوفى ولا يمكن للوهم أن

(1) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(2) في المخطوط (س) وإحاطتها، وفي المخطوط (ن) والإحاطة بها، وهي الأصح.

يتصوره أشد ولا أتم منه فيكون أظهر وأقرب إلى النفوس الناطقة البشرية²⁸⁴؛ لشدة ظهوره وكمال نوريته السنية من الأقرب والأدنى، فإذا قطع المستبصر النظر عن ذاته وعن عالم الأجسام بالكلية ولمح ما بعده من المجردات فلا يرى أولاً ولا يلمح إلا أتمها ظهوراً وأشدها نوراً؛ لشدة قربه ودنوه ولا أظهر وأتم كما ذكرنا من واجب الوجود فلا جرم أول ما يلمح ذاته الباري، جل جلاله، ولكون ذاته النورانية لا نهاية لشدة نورها ولا غاية لجمالها (وحضورها)⁽¹⁾ وظهورها تستغرق النفس في مشاهدتها للذات الأزلية الدائمة الضرورية ويفنى عن ذاتها وعن شعورها بذاتها، ولم يبق في هذه الحالة إلا ذاته الحي القيوم السبوح القدوس، كل شيء هالك إلا وجهه. وينبغي أن تعلم أن كلما يعجز اللسان عن التعبير عنه فهو من عالم الأمر المجرد، وكلما أمكن التعبير عنه فهو من عالم²⁸⁵ الخلق المتعلق بالمادة. فالباري تعالى والعقول والنفوس المجردة كلها من عالم الأمر فحري بها أن يعجز الإنسان عن التعبير عن ذاتها وحقيقة أحوالها، ولكن التعبير عنها إنما يمكن بالألفاظ المجازية المتشابهة وبالرموز والإشارات التي يفهم من ظاهرها أحوال عالم الخلق ومن بواطنها أحوال عالم الأمر، ولما كان أكثر الناس الغالب عليهم التجسّم والكثافة والمحسوسات المألوفة والأشباح المتخيلة المعتادة، فإذا سمعوا إشارة ورمزاً أشير به إلى عالم الأمر تبادر فهمهم وإدراكهم إلى حقيقة ذلك اللفظ الموضوع للعالم الخلق المعتمد عندهم، فيفهمون الأمور العقلية بالمثلثات الحسية المرتسمة في نفوسهم وأوهامهم، فيضلون ويبعدون عن الحق بعداً عظيماً، وأكثر الخلق هذه حالهم من استيلاء المحسوسات²⁸⁶ إلا من شاء الله في النواذر، ولذلك نهى عن ذكر الأمور العقلية وتدوينها في الكتب؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: "ما من أحد حدث قومًا بما لا يفهمونه، إلا كان فتنه عليهم". أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟ وقال (عليه السلام)⁽²⁾: "إن من العلم كهينة المكنون، ولا يعلمه إلا العلماء بالله، فإذا نطقوا به لم ينكره إلا أهل العزة. وقال عليه السلام: "نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم". وقال بعضهم: "كشف أسرار الربوبية كفر". ونحن في هذا الكتاب قد أطنبنا الكلام في الأمور المجردة وأكثرنا من الرموز والإشارات والألفاظ المتكررة والعبارات المعادة في اللفظ، لضيق العبارة ودقة المعاني، وإن كان كل واحدة من تلك الأشياء المكررة له معنى من جهة الفهم، وفائدة من جهة التعليم للأمور²⁸⁷ العظيمة الهائلة التي لم يسبقنا إلى تبسيطها وتجريدها وتهذيبها أحد، فلا ينكر علينا

(1) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

(2) ذكرت في المخطوط (س) فقط.

أحد ذلك الإنكار. فإنه رحمة للمستبصرين الطالبين الذين يفهمون الإشارات والرموز إلى المعاني العقلية فالمجال ضيق والميدان ليس به فضاء أكثر من هذا ولا تسمح القريحة بأعظم منه. واعلم، أرشدك الله، أن النفس الناطقة جوهر صافية نقية مجردة عن المواد قائمة لا في أمن، وهي شعاع نوراني عقلي، بمعنى أنها معنى محض لا يظهر للحس، وهي نفس الظهور والصفاء، وإنما يكدره ويظلمه الهيكل الجسماني وما فيه من المرايا المختلفة اللاحظة فيه أمور مختلفة تُذهلها وتشغلها عن ملاحظة صفائها النوري، وإلا فهي ليست جزءاً من البدن ولا منطبعة فيه، بل مفارقة للأجسام ولها نظر عشقي إلى الصور الملائمة²⁸⁸ لها بواسطة تلك المرايا، فتصور نفسك صفاء لا نهاية له ولا حد ولا جهة وتصور فيك، أعني في الصفاء صورة بدنك كما تتصور في ذاتك صورة العالم أو بعض أجزائه، وكما أنه لا يلزم من تصور السماء في ذاتك كونها ذاتك أو جزءاً منها، كذلك الحكم في بدنك، وكذلك تصور نفسك دائماً في عالم الإدراكات⁽¹⁾ وعند إرادتك التجرد، وإنك فضاء وهواء لا يقف عند حد ولا يتناهي مع قطع النظر عن جميع الأجسام، وإن اتفق تصور جسمك أو شيء من العالم، فتصوره منفصل عنك كطير يحلق في جو الفضاء والهواء فلا يسلك نظر الفضاء المدرك إلى ذلك الطائر أو البحر (المحيط)⁽²⁾ غير المتناهي إلى المركب السائح فيه. فأنت هواء محيط بالأشياء وذاتك فضاء حامل²⁸⁹ لجميع الأمور وبحر محيط لا يتناهي، وجميع الموجودات تسبح فيك أو تطير في جوك. وأنت بيت نوراني وفلك روحاني محيط بالأشياء. أي شكيت نظرت إلى بعض الساكنين فيك، فتتحد به ويقوى الاتحاد معه حسب قوة الشوق، فتوهم أنك تلك الصورة، وليس كذلك إن شكيت قطعت النظر عن يسكن فيك أو يطير في جوك أو يسبح في بحرك أو يدور من الأفلاك وغيرك في حشوك فيكون نوعاً محضاً وحقاً صدقاً لا يتناهي ولا يتبعض ولا ينقسم، بل يكون وحدة صرفه وفضاء محضاً هو نفس الإدراك اللطيف والظهور لا غير. واعلم أن الإنسان على ما قيل في التورية مثال الإله تعالى وصورته، فإنه قيل فيها: إن الله تعالى خلق الإنسان على مثاله وصورته، لما فيه من القوة العقلية التي هي جوهر إلهي، فمن عرف هذا الجوهر حق المعرفة عرف جميع الموجودات العقلية والجسمية. واعلم أن أحكام الأمور الموجودة من أي العوالم كان سواء كان كلياً أو جزئياً، يجب أن تكون موجودة لكنها ألا تكون كلها محسوسة، بل قد يكون²⁹⁰ معقولة كالكليات، فإنها كلها من أعراض

(1) في المخطوط (ن) تمام الأوقات، وفي المخطوط (س) عالم الإدراكات، وهي الأصح.

(2) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

النفوس البشرية، فمتى حضر في بعض النفوس كلي ما، فذلك موجود حينئذ في الخارج، أعني في النفوس، فإذا انشغلت النفس بغيره فارق عنها.

[فصل لـ⁽¹⁾] الموجود ينقسم إلى: روحاني، وجسماني، ومثالي، وكل عالم من هذه الثلاثة له أعرض بعضها لازم وبعضها مفارق وبعضها قسطة من الوجود أكثر ممن بعض، والذات إن كان جسمًا فلا تصلح أن يكون علة للعرض، بل تكون العلة خارجة فيكون الذات علة قابلة، وإن كانت روحانية فعلة الصفات هي بعينها علة الذات، لكن صدر عن العلة بتوسط الذات وإلا فمحال أن يكون شيئًا موصوفًا بالإمكان له هوية مقررة ولا يحتاج إلى علة؛ لأن الحادث موجود بعد ما لم²⁹¹ يكن، وكل موجود بعد عدم يحتاج إلى موجود، فإن كان الحادث أمر جزئيًا فمقتضيه النفوس السماوية لأن الحركات معدة للحوادث لأن سبب الحوادث حركات الأفلاك، لأن كل حادث فلا بد له من علة محدثة، وليس هناك إلا الحركات السماوية (فإذا حصل شكل فلكي يقتضي حدوث حادث أفاض المفارق ذلك الحادث، فإن كان جزئيًا فمقتضيه النفوس السماوية)⁽²⁾، وإن كان كليًا فمقتضيه العقول. ولنشرع الآن في تفصيل الأعراض، فنقول: أما الأجسام وأعراضها التسعة المسمى بالمقولات، فقد فصلها الحكماء. وأما الأعراض النفسانية، فهي العلوم والمعارف والأخلاق والملكات الشريفة والخسيسة، بأنه لا صورة له. كذلك الإدراك، فكذا لا يتصرف بحدو لا بمقدار ويعد²⁹² وسائر ما ذكرنا، وهذا الإدراك هو الذي يليق بالمجرد على ما ذكرنا؛ ولأن المجردات معان صرفة وأنوار محضة وظهورات قائمة بذاتها، فإدراكها إنما يكون بنفس حضور ذلك المعنى البسيط اللطيف في النفس لا غير، والنفس وغيرها من المجردات لما كانت مجردة عن الصور الجسمية، كانت كالهولي التي لا صورة لها، وإدراكها للمدركات وقبولها لها إنما هو كقبول المادة للصورة، وكما أن المادة إنما تظهر بالفعل بالصورة وبها يتحقق وجودها ويتم إيجادها، فكذا النفس إنما يتم ظهورها ويكمل إيجادها بحصول صور الموجودات العقلية والحسية فيها، وقد آل الأمر فيها بسبب استعمالها لصور الموجودات العقلية والحسية المختلفة والمعاني المتكررة وألفها لذلك، أنها إذا تجردت في بعض الأحيان عن جميع ما في الوجود وقصدت إدراك ذاتها مخلص²⁹³ ذاتها عن العلائق والقيود، توهمت ذاتها كأنها عدم وكأنها لا وجود لها وكأنه لا يبقى إلا الهواء المحض الروحاني غير

(1) ممحاة من المخطوط (س).

(2) ذكر في المخطوط (ن) فقط.

المتناهي وغير المتغير والمنضبط لجل ألفها الصور وإقبالها عليها بلا فتور، فلا جرم إذا تجردت عنها توهمت ما ذكرناه، والمستبصر الفاضل لا يلتفت إلى أمثال هذه العادات ولا يغلبه أمثال هذه الخيالات الباطلة والأخلاق السيئة، بل يجتهد ويميز بين الإدراكات الخارجة عن ذاته روحانياتها وجسمانياتها وبين إدراكه لذاته مع الصور تارة ومجردًا عن جميع الأشياء أخرى. فإدراكه لما خرج عنه هو بحضور ذاته وشعوره بماهيته لا غير، وهو بالضرورة لاحظ ذاته في هذه الحالة لكون ذاته ظهور معنوي محض لطيف العلوية، فكانت تشتغل بمشاهدة الروحانيات المحضة والأنوار الصرفة²⁹⁴ وما كانت تتجذب إلى الأبدان الضعيفة، كأبدان الأطفال وتدبر الأجسام المريضة المظلمة وتقاس في ذلك من الآلام والأسقام المختلفة المتنوعة ما لا يحصى، والذوق السليم والفطرة الصحيحة يشهد بهذا، فيتقطن له بأهون السعي، فصح أن الأنفس حادثة متعددة بتعدد القوالب الأنسية في حال التعلق وبعد المفارقة بالهيئات المكتسبة من الأبدان غير المنفكة، إذ العرض اللازم لا يتصور زواله تنتمه في كيفية ظهور النفس وتعلقها بالبدن عند كماله. اعلم أن النفس إنما تتعلق بالبدن عند كماله واستعداده لإشراق نور العقل عليه، وذلك لأن البدن كالفتيلة والهيئة المزاجية التي تتعلق النفس بالبدن بواسطتها كالهيئة المخصوصة التي للفتيلة من الابتلال بالدهن والوضع المخصوص وغيرها. وتقرير هذا أن قوى النفس مطيتها الأولى ومركبها جسم لطيف²⁹⁵ تجاري ساري في جميع البدن، نافذ في سائر منافذه ولولا لطفه وروحانيته ما نفذ في الأعصاب والعظام. وهذا الروح فيه من المناسبات العقلية الكثيرة (ما أوجب)⁽¹⁾ تعلق النفس به وتدبيرها للبدن بسببه، وهو علة حياة للبدن، وبه يحصل الحس والحركة لكون العضو الممنوع عنه هذا الروح، فيبدأ وغيره يموت، وهو حامل لقوى مختلفة فتكون أمزجته أيضًا مختلفة. فإن المزاج الروحي الذي به يغضب غير الذي به يشتهي، والمزاج الذي به تحصل الحركة غير الذي به يبصر ولو اتفق مزاجه لاتفقت القوى المحمولة، (وليس)⁽²⁾ فليس وإذا كان كذلك فيجب أن يكون أول تعلق النفس بالبدن إنما هو بواسطة تعلقها بالعضو الذي يتولد فيه هذا الروح، وهو القلب؛ فهو المتعلق الأول، وإذا تعلقت النفس به يصير البدن إنسانيًا دفعة واحدة، وليس أنه يتعلق بالقلب أولًا²⁹⁶، ثم بالدماغ ثانيًا، ثم بالكبد ثالثًا، ثم بسائر الأعضاء، بل متى حصل التعلق بالقلب صار البدن ذا حياة، والنفس تحيي الحيوان بالقلب، لكن يمكن أن تكون الأفعال الآخر تفيض من القلب إلى جميع الأعضاء الأخرى، يكون الفيض يجب أن يكون صادرًا عن أول متعلق. وأما

(1) في المخطوط (س) ما لوجب، وفي المخطوط (ن) ما أوجب، وهي الأصح.

(2) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

الدماغ فيصلح لأن يتم فيه مزاج الروح اللائق بحمل قوى الحس والحركة إلى جميع الأعضاء حملاً لائقاً بصدور الأفعال، وكذا حال الكبد بالقياس إلى قوى التغذية والنمو والتوليد، إلا أن القلب يكون هو المبدأ الأول ومنه يسري إلى غيره، ويكون الفعل في أعضاء أخرى، وإذا تمت البنية وكملت الخلقة تميزت الأعضاء فظهرت التخاطيط وتجوفت التجاويف وترقى الروح الحيواني من القلب إلى الدماغ واعتدل فيه واكتسب به الحس والحركة ونفذ إلى جميع البدن. فعند هذا يستحق²⁹⁷ البدن من فيض العقل نفساً (مفارقة)⁽¹⁾ قائمة بذاتها مجردة عن المواد والجهات، وهي عبارة عن نور عقلي وشعاع قدسي وظهور مطلق فقط، ومعنى عام روحاني فحسب محذوفاً عنه جميع التقييدات الشخصية، وهذا النور النفسي مشارك للأنوار العقلية الظهورية في حقيقة الذات ومناسب لها في الصفات، فينبغي أن تعلم أن إشراق نور العقل على هذا الهيكل وحصول ظهور عقلي منه له يشبه حصول الأنوار للأجسام وظهور منها لها، فأول ما يظهر ضوء الصبح ثم يزداد ضوءاً ونوراً قليلاً قليلاً إلى أن تطلع الشمس على الأفق ويتم النور والظهور، فهكذا يتصور حال النفس وحصولها من المفارق العقلي، فأول تمام استعداد البدن للمعنى العقلي النفسي يحصل من العقل نور معنوي مفارق للجهات كأنه نور الصبح، ثم يزداد (ظهوراً)⁽²⁾ ونوراً بحسب كمال الاستعداد وقوة مزاج الروح إلى أن²⁹⁸ تطلع شمس النفس ويتم إشراقها وظهورها المعنوي المحض من أفق الأنوار العقلية. وهذا الظهور المطلق المسمى بالنفس الناطقة لا يتصور ذهوله عن ذاته ولا غيبيته وخفاؤه عن نفسه، إلا أن كثرة اشتغاله بما يظهر عنده في المرايا البدنية الظاهرة والباطنة وتصرفها في تلك الأشياء واستغراقها في التدبير البدني يتوهم خفاء ذاتها (على ذاتها)⁽³⁾. وكونها لا شعور لها بذلك وكثرة تصرف النفس في البدن واستعمالها القوى الجسمية تنسيها ذاتها فتتوهم أنها خفية غير مدركة لذاتها وهو فاسد، بل هذا عين الشعور والإدراك وكيف يكون الأمر العدمي المخفي لهذا الإدراك والحكم الظهوري العيني في كثير من الأمور الواقعة، إلا أنه يتفق في بعض الأشياء أن تحكم أحكاماً غير صحيحة وتتصرف تصرفات فاسدة؛ لكدرها وضعف نورها وضوئها وشدة التفاتها ونظرها²⁹⁹ إلى المحسوسات الكثيرة المتشعبة مع وحدتها الظهورية المطلقة تعجز عن إدراك بعض الحقائق وتخطئ في الحكم عليه إلى أن يقوى نورها ويتألاً إشراقها وتتجلى أوساخها وقاذوراتها، حينئذ يقع بصرها الروحاني

(1) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(2) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

(3) ذكرت في المخطوط (ن) فقط.

على حقيقة ذات الشيء وماهيته وتقوى على ظهور الأمور أنفسها على ما هي عليه في الوجود، وكلما أضمن الإنسان في هذا العالم واجتهد في تكميل قوته النظرية والعملية دائماً، فيزداد الإشراق والظهور (النفسي)⁽¹⁾ والنور العقلي ويظهر عندها الحقائق على ما أوجدها موجدتها. وكلما أوغل في العلم والعمل ازداد البخلاء والصفاء والظهور الإشراقي حتى تعود شمسها من شمس عالم العقل الشريف الكريم، فبعد المفارقة تتحد بها وتصير واحداً منهم وتتغمس في الذات الأبدية وتصل إلى السعادة السرمدية وتعاين الجمال العقلي والنور الربوبي³⁰⁰ الأزلي، فانية عن النظر إلى ذاتها متلذذة بما اكتسبت من صفاتها هائمة بالذات العقلية وباهية إلى الخباب الأعظمي الإلهي، غرقت في بحر بهائه "والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون"⁽²⁾. وأما أحوال شقاوة النفوس وسعادتها وتجودها بعد مفارقة الأبدان. فأمر أخرى دقيقة يطول فيها البحث والنظر فتركناها إلى موضع آخر يليق بها، لنبحث هناك أتم بحث ونصرح بأمور أهملت، إما تعمداً أو غفلة عنها. فهذا المختصر لا يليق به أكثر مما ذكرناه والذي يمكنه أن يستخرج به ويستكمل استكمال الحكماء الإلهيين والعلماء السابقين، والله يهبنا وإياه وينفعنا ويكفينا شر الآفاق النفسانية والبدنية، إنه ولي ذلك وقادر عليه.

خاتمة الكتاب: في ذكر الشروط الواجبة على الشخص المنتفع بما سطرناه في هذه الأوراق³⁰¹

وكيفية فهمه وتحصيل معانيه. اعلم أنه يجب على من أراد الاطلاع على معاني هذا الكتاب والوقوف على أسرارهِ وكشف رموزه وإشاراتهِ؛ أن يكون موصوفاً بصفات أحدها: قمع الأخلاق الرديئة الحاصلة من العلائق البدنية: كالجهل، والشهوة، والغضب وفروعها؛ لأنها أوساخ للنفس وحُجب تمنع أن يتجلى فيها شيء من الحقائق وأن تشاهد ذاتها أيضاً، لكونها كالصدأ على وجه المرأة، وثانيها: اتصاف النفوس بالأخلاق الشريفة الكريمة: كالعلم، والحلم، والسخاء، والشجاعة، وغيرها من الأخلاق المحمودة المفصلة أحوالها في كتب الأخلاق. والأولى تسمى تخلية، والثانية تحلية. وثالثها: أن يكون قد أتعب نفسه في طلب الحكمة وتحصيلها وفهم مقاصد الحكماء والمشائين، ولم يجد نفسه قانعة ولا راضية بما ذكره، بل يجدها متشوقة إلى أمور أعلى من ذلك وأعظم قدراً من كشف ذوقي يختص بها خواص الحق تعالى. ورابعها³⁰²: أن يكون لطيف المزاج شديد الذكاء تام الاستعداد لشروق الأنوار القدسية عليه، عظيم الميل

(1) في المخطوط (س) الحسي، وفي المخطوط (ن) النفسي، وهي الأصح.

(2) سورة يوسف، آية 21

إلى معاينة الجواهر العقلية والذوات العلوية. وخامسها: أن يكون من أولي العزم والصبر على الخلوات والرياضيات والاستئناس بنفسه. فإذا أوجدت هذه الشروط في شخص، فهو أهل للالتحاق به وخطابنا⁽¹⁾ هذا إنما كان له ولأجله، وإذا خلا بنفسه واقتصر على مقدار {الضرورة في جميع الأمور فليجعله}⁽²⁾ إمامه وقدوته، وليتصفح أثناء الليل {والنهار مفكرًا في معانيه مكبًا على}⁽³⁾ استخراج زبده من مباينه حتى تصير ألفاظه {محفوظة فيعين}⁽⁴⁾ حينئذ بعض مباني الإشراف، ثم يتم له الأمر. ونسأل الله عز وجل أن يؤيدنا بالملكوت وتبصرنا من أفق الجبروت بمنه {وكرمه وجوده ونعمه}⁽⁵⁾. والحمد لله رب العالمين والصلاة على من لا نبي بعده.

(تم الكتاب والحمد لله رب العالمين³⁰³ والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين. وقع الفراغ

من تنميته في منتصف شوال من سنة تسع وعشرين وسبع مائة)⁽⁶⁾. تم كتاب "الرموز والأمثال" للحكم الإلهي والعالم الإشرافي للشيخ شمس الدين الشهرزوري، قدس الله ثراه وجعل الجنة منقلبه ومنقلبه ومثواه بجاه محمد وآله وأصحابه والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين آمين آمين آمين.

-
- (1) مضموسة من المخطوط (س).
 - (2) مضموسة من المخطوط (س).
 - (3) مضموسة من المخطوط (س).
 - (4) مضموسة من المخطوط (س).
 - (5) مضموسة من المخطوط (س).
 - (6) ذكر في المخطوط (ن) فقط.

1. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، ميزان العمل (مكتبة الجندي، القاهرة، 1973)
2. _____، المنقذ من الضلال، تحقيق عبد الحليم محمود (دار المعارف، القاهرة، 1999)
3. إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، المجلد الثاني (طبع بعناية وكالة المعارف الجلييلة في مطبعتها البهية، إستانبول، 1955)
4. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مجلد 12، تحقيق عمر عبد السلام تدمري (دار الكتاب العربي، بيروت، 1997)
5. إسماعيل بن محمد العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس (مكتبة القدسي، القاهرة، 1351هـ)
6. أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الطبراني (ت 360هـ)، المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي (مكتبة العلوم والحكم، العراق، 1404هـ)
7. أبو الوفاء المبرش بن فاتك (ت 500هـ)، مختار الحكم ومحاسن الكلم، تحقيق عبد الله محمود محمد عمر (دار الكتب العلمية، بيروت، 1971)
8. أبي عبد الله محمد بن علي ابن شداد، الأعلام الخطيرة، تحقيق دومينيك سورديل (المعهد الفرنسي، دمشق، 1953)
9. أحمد بن محمد ابن عجيبة الحسيني (المتوفى 1266هـ)، إيقاظ الهمم في شرح الحكم للعارف بالله تعالى الشيخ تاج الدين أحمد بن محمد ابن عطاء الله السكندري (المتوفى 709هـ)، ضبطه وصححه ونسقه وعلق عليه الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي (دار الكتب العلمية، بيروت، 2013)
10. خير الدين بن محمود الزركلي، الأعلام، ج 7 (مطبعة دار العلم للملايين، بيروت، د.ت)
11. زين الدين، الرسالة القشيرية للإمام زين الدين إلى القاسم القشيري عليها تعليقات لشيخ الإسلام القاضي زكريا بن محمد الأنصاري رضي الله تعالى عنهما (دار جوامع الحكم، القاهرة، 1940)

12. شمس الدين الشهرزوري ت 511هـ، تاريخ الحكماء قبل ظهور الإسلام وبعده نزهة

الأرواح وروضة الأفراح، تحقيق د/ عبد الكريم أبو شويرب (دار بيبيلون، باريس، 2007)

13. شمس الدين محمد بن محمود الشهرزوري، نزهة الأرواح وروضة الأفراح في تاريخ

الحكماء والفلاسفة، صححه السيد خورشيد أحمد (مطابع وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية

تحت إدارة شرف الدين أحمد، ط1، الهند، 1976)

14. ضياء الدين أحمد بن مصطفى بن عبد الرحمن الكمشخاني النقشبدي المجددي الخالدي

المتوفى عام 1300 هـ، جامع الأصول في الأولياء وأنواعهم وأوصافهم وأصول كل طريق

ومهمات المريدين وشروط الشيخ وكلمات الصوفية واصطلاحهم وأنواع التصوف، تحقيق أحمد فريد

المزدي (دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، 2010)

15. عباس القمي، القنى والألقاب، ج2 (المطبعة الحيدرية، النجف، 1965)

16. فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، تحقيق محمد أديب الجادر (مكتبة العطار النيسابوري،

1439هـ)

17. محمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفى: 1250هـ)، الفوائد المجموعة، كتاب

الفضائل، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1995).

18. موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة

(ت 688هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ضبطه محمد باسل عيون السود (دار الكتب

العلمية، بيروت، 1998)

19. ياقوت الحموي شهاب الدين أبي عبد الله، معجم البلدان، ج3، تحقيق فريد عبد العزيز

الجندي (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت)

ثانياً: المراجع العربية والمترجمة إليها: -

1. حسن شميمساني، مدارس دمشق في العصر الأيوبي (دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983)

2. زين الدين مصطفى الخطيب، الشهرزوري وآراؤه في النفس الإنسانية من خلال مخطوط الرموز

والأمثال اللاهوتية (دار الحضارة للطباعة والنشر، طنطا، 1995)

3. عبد الرحمن بدوي، شخصيات قلقة في الإسلام (دار النهضة العربية، الطبعة الثانية،

القاهرة، 1964)

4. علي سالم النباهين، نظام التربية الإسلامية في عصر دولة المماليك (دار الفكر العربي، مصر، 1981)

5. قاسم غنى، تاريخ التصوف في الإسلام، ترجمه عن الفارسية صادق نشأت (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970)

6. محمد علي أبو ريان، أصول الفلسفة الإشراقية عند شهاب الدين السهروردي (مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، القاهرة، 1959)

7. محمد علي بن علي محمد التهانوي الحنفي (المتوفى بعد سنة 1158هـ)، كشف اصطلاحات الفنون، الجزء الثالث (دار الكتب العلمية، بيروت، 1998)

8. هنري كوربان، تاريخ الفلسفة الإسلامية منذ الينابيع حتى وفاة ابن رشد 1198، ترجمة نصير مروة، حسين قبيسي، راجعه وقدم له الإمام موسى الصدر، الأمير عمارة تامر (دار عوידات للنشر والطباعة، بيروت، 1998)

ثالثاً: الموسوعات والمعاجم العلمية: -

1. زوني إيلي ألفا، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، قدمه الرئيس شارل الحلو، مراجعة جورج نخل (دار الكتب العلمية، بيروت، 1992)

2. محمد شفيق غريال، الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الأول (أ- س) (الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، دار الجيل، 1990)

3. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء الثاني (دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982)

رابعاً: الرسائل العلمية: -

1. محمد صالح فوزي الخطيب، الحافظ محمد عبد الحي الكتاني وجهوده في الحديث وعلومه (رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة أم درمان، جمهورية السودان، 2009)

2. محمد محمود محمد أحمد، منهج الشهرزوري وآراؤه الكلامية، (رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة المنصورة، مصر، 2017)

خامساً: معلومات مستقاة من شبكة المعلومات الدولية: -

1. عبد الوهاب فريد التتكاني 2010/3/25 www.islamhouse.com تاريخ الدخول على

الموقع: 11 يونية 2019

3		مقدمة: -
4		أولاً: المبحث الأول: مدخل.
4		التعريف بالمخطوط وصاحبه: -
7		تلاميذ الشهرزوري: -
7		مصنفاته: -
9		أساتذة الشهرزوري: -
10		أهمية المخطوط: -
10		الحياة الثقافية في القرن السابع الهجري في دمشق: -
221		النفس عند الشهرزوري: -
223		وصف المخطوط: -
226		منهج التحقيق: -
227		كشّاف الرموز والإرشادات المستخدمة في التحقيق: -
23		ثانياً: المبحث الثاني: متن المخطوط.
358		قائمة المصادر والمراجع: -
362		الفهرس: